







﴿ اللطائف الاصبهانية والمنن التوفيقية ﴾

﴿ في رحلة ﴾

﴿ الحاج بابا الاصبهاني داخل الممالك الفارسية ﴾

﴿ ترجمت بقلم ﴾

﴿ حضرة محمد افندي لطفي تلغرائي المعية السنية ﴾

للحاج بابا رحلة \* فيها بدائع للادب  
كانت براوية الخـو \* ل من اللغات لها حجب  
فسلوتها لنا طريق \* بحسن الفاظ العرب  
فأنت تهادي كالعرو \* من عيس في حل  
فاغنم أخي وصالها \* كي ماتن سال

﴿ الجزء الاول ﴾

﴿ لا يجوز طبع هذا الكتاب بدون اذن ﴾

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ بالمطبعة الخيرية بجمالية مصر المحمية ﴾

﴿ سنة ١٣٠٨ هجرية ﴾

﴿ الموافقة سنة ١٨٩١ افرنكية ﴾



(ما شاء الله كان)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد والابناء  
والمرسلين أجمعين \* (أما بعد) \* فيقول الراجي عفوره الكريم محمد  
لطفى بن ابراهيم اننى لما انتهيت من ترجمة كتاب تحفة المريد فى زواج  
أودت بفريد وزها بعد الطبع نشره حتى عم البلاد بطيب نشره لما  
احتوى عليه من الفكاهات الغزلية واللطائف الادبية قد عثرت  
الا ن عند من كنت أثق بوطيد صحبته على كتاب فتصفته فاداهوآت  
من غرائب السياسة بالعجب العجائب بل زهه لاولى الالباب وروضة  
شرقية معجبة للطلاب جمع من لطائف الاخبار ما يحير الالباب فكنت  
كلما انتهيت من باب رأيت الذى يليه أعجب منه فى الاغراب فانبعث  
قاي كشف دره المكنون واستخراج ما فى كنوزه من جواهر  
الآداب والفنون لارفع عنه القناع وان كنت فى هذه الصناعة قصير  
السمع ورأيت ان أبذل فيه جهد الاستطاعة وأنقله من اللغة



الانكليزية الى لغة الراحمة لتتولى عرائسه من الاآداب بتاج من  
الزبرجد مهداة الى الكوكبين النيرين والبرنسبن الفخيمين سلالتي  
المجد والسود (البرنس عباس وشقيقه البرنس محمد) ادام الله مجدهما  
واقام على المشتري سعدهما متمتعين بوجود سماء المجد وبحر الجود وغرة  
الدهر عزيز مصر المليك الاكرم والحدوي الاعظم من حاز كل فصل  
على التحقيق ولي نعمتنا اقدينا (محمد توفيق)

يا اهل مصر اني ناصح \* فاستمعوا نصحا كظم الجحان  
بلادتكم قد اصبحت جنة \* في عصر توفيق المفدى المصان  
اذ نحن في ظل المليك الذي \* تشملنا منه النوايا الحسان  
وما زال يولي العدل من فضله \* حتى تبسدي قطرنا في امان  
وكم زها للعالم من روضة \* للمحتفى منها قطف ودوان  
ان قصر النيل فلا تياسوا \* يعني ابي العباس خصب الزمان  
ادام الله دولته واجلاله وخلده الى الابد ذكره وحفظه انجباله وآله  
ما طلعت ورعت الغزاة فشمسوت اذ ذاك عن ساعد الجدد واخذت  
اشرع في ترجمته وتنقيحه بحزم اسد وعزم اشد ولكني أقول متأسفا  
انه قد عارضني في اثناء الترجمة صاحبه فنظر لي شذرا واختطفه مني قسرا  
فجيت وما عجب من منعه كتابا مطبوعا قد انتشر في عالم الوجود باعجب من  
اعتقاده باستحالة وجوده وجعله في حيز المفقود وعاودت استعارته منه  
وتلطفت جهدي وطالما توسطت اليه باخص اصحاب فما كان يجدي  
فلما يئست من احباء ميت وداده وعلمت ان نجم المشتري اقرب من  
استجلاب مودة فؤاده عجمت كل حيلة في احضار الكتاب بما وئد احد  
الاصحاب المسمى المسيو اسكندر بيا نكردي حتى ارشدني على رجب  
كبار تجار واعيان الانكليز فاطن بلندره المدعو المستر جيمس برنسر



فكانت به على انه لم يرفى ولم أره ولحمت اليه بمشاحة صاحبي به على ومذتحقق  
 انها بليّة اهتم بتحصيله وأرسله لي هدية فخدمت الله وشكرت هذا  
 الفضل على حسن معاه وما غرسه في قلبي من الجليل الذي لا أنساه  
 ثم عرضته على صاحب العزة والسعادة والمجد وسلالة الشرف والسيادة  
 رئيسنا الهام الصادق المحرز قصب الفضل السابق (مصطفى بيك صادق)  
 فشجعني وقواني على العمل فشكرته واستبشرت بحسن مستقبل الامل  
 وسأشرع في ترجمته وتعليقه وأبذل الجهد في توضيحه وتقريره  
 وبما ان فيه من المعاني الرقاق ما يفوق الدر في الاتساق فرمت أن أحليها  
 بالأشعار وأجلاوها عروسا للنظار فقد تكرم على حضرة الماهر الاديب  
 والشاعر المتفهم اللبيب زميلي اللغوي الفاضل أحمد أفندي كامل  
 بنسج بردها ونسق عقدها وعلى الله حصول المأمول فاقول

### ﴿الفصل الاول﴾

(في منشأ الحاج بابا وترتيبه)

حدث الحاج بابا عن نفسه فقال ان والدي المدعو كرك بلي حسن كان  
 أصهباني المنشأ وكان من أشهر الحلاقين به المهارته في هذه الصناعة  
 وانه لما بلغ من العمر السبع عشرة سنة تأهل بابنه شجاع بجوارده كانه  
 الا ان هذا الزواج كان منغصا لمعيشته لانه لم يعقب منها نسلا فلذلك  
 هجرها وغض طرفه عنها ولم يل اليها الا قليلا ولما اكتسب ما لا عظميا  
 من اتقان صنعة وتوفر أداها واشتهاره بين التجار ونال ما لا يحصى  
 من الثروة والاقتدار وما لم ينسله أحد من أبناء حرقته في تلك الاعصار  
 فبعد ان مكث مع زوجته عشرين سنة وهو يكلمها كالذي اعتراه من  
 النوم ستمتزوج بامرأة أخرى خطبها من أبيها الذي كان من أشهر صيارف



زمانه ونسأهل في تزويجها إياه بالنسبة لكونه كان يحاق له طول هذه المدة  
 بمهارة وصناعة تحصل بهما على هذه الصناعة وبعد ان دخل بها أتته  
 الافكار من كل جانب بالاهوال وكل أمر مشيب وذكرته ما يحصل من  
 زوجته الاولى من النزاع والغيرة عند كشف ما وراء القناع فتشاور فيما  
 يجريه فحوز ذلك مع نسيبه الجديد لانحدار نار الغيرة حتى تصبح كبارد  
 الحديد فاستقر رأيهم أن يتوجه به للحج في هذه السنة لزيارة قبر سيدنا  
 الحسين في كربلاء وبذا يتخلص من تنغيصها وينجم من كيدها فاطاع  
 الأمر وجهر نفسه وأخذ زوجته الجديدة معه تاركاً الصديعة في منزله بدون  
 ان يوقفها على خبر أو تلحظ أدنى إشارة من هذا الأثر فحملت بي ووضعتني  
 أثناء الطريق فكنت لهما ثالث رفيق

وكان اسم والدي المشهور قبل سفره حسن المزين ولما ان تشرف بزيارة  
 القبر الشريف الذي في كربلاء فبالنسبة الى محبة والدتنا سميتنا بالحاج  
 وقد أطلق أيضاً على هذا اللقب مدة حياتي وهو السبب في منحي الشرف  
 السامي بدون استحقاق لندرة اطلاقه على أي انسان الاعلى الذين أدوا  
 الحج الشريف الى بيت الله الحرام وقبر النبي عليه الصلاة والسلام  
 وكان والدي آناب عنه في دكانه أكبر صيانه مدة غيابه ومذحضر أقام  
 في صنعته بهمة ونشاط زائد لانه كان يحترف بصنعتة أثناء السباحة حتى  
 اكتسب اسم (مسلم غيور) اذ كان ذلك داعياً لجذب قلوب الاعيان  
 والتجار اليه أكثر من قبل وأما أنا فقد رأيت ان في عزم والدي أن يجعل  
 مستقبل تربيته قاصرة على صناعة القايش واني لا أتحصل على شيء من  
 المعارف سوى بعض أشياء دينية تختص بالعبادة والصلاة فلو لا ما تداركني  
 الله به من تسخير أحد فضلاء ذلك العصر بارشادي لبقيت مغملاً من كل  
 المعارف وذلك ان الفاضل السالف الذكر كان يتردد الى والدي ليجلوسه



مرة في كل أسبوع وكان من دأبه اظهار رغبته وميله لتعليم الاولاد  
 بخاصة نبيه ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى فطلبني منه فقبل والدي  
 وأوصاه بالالتفات نحوى فأنجز الفقيه وعده ووفاه هذه وعلمنى القراءة  
 والكتابة ومازلت أعلو درجات التجاح تحت لوائه طالبا للصلاح لا أنرج  
 من كينته حتى انه في مدة يسيرة صرت أفسر القرآن وأشرح معانيه  
 وأكتب خطا جيلا وبعد خروجي من مكنتي كنت أنوجه يوما بعد خلاص  
 الدرس الى دكان والدي حيث فيها تعلمت أول حرفتي حتى اذا اضطره الحال  
 يأذن لي بالمساعدة معه رغبة في تمريني على هذه الصناعة بخلق رؤس  
 المكارية والجمالة الذين كانوا من أول الامر يدفعون لي أجرة عظيمة لما  
 كانوا يرونه من الراحة ومراحة يدي

ولما بلغت سن الستة عشر سنة كان يشق على الوقوف على حالي وهمل  
 أتممت صنعتي أو ما زلت صيبا قابلا للتعليم لانه بخلاف ما تعلمته من حلاقة  
 الرأس وتنظيف الأذان وقص اللحية وما أوتيتها اكتسبت الشهرة التامة  
 في اتقاني وظائف الحمام حيث لا يوجد خلافي له معرفة تامة بالدلك والتكبيس  
 المختلف أجناسه كالى تعلمته في الهند أو كشمير أو بلاد التل وصناعة  
 خصوصية أيضا لا يعرفها أحد في قطعة المفاصل ورنه أصوات كفوفى  
 على بعضها وكذا شكر الاستاذى الفقيه فانه علمى الاشعار والقصائد  
 الكافية التى بهم امكننى احياء وتزيين المحاوره بين الاصحاب بواسطة  
 ابراز بعض اقتباسات مستخرجة من مؤلفات سيدى حافظ وخلافه حتى  
 ان هذا الفن الذى كان يخرج من فم بصوت رفيق صيرنى محترما وأعظم  
 رفيق عند جميع أولئك الذين كانت رؤسهم وأعضاؤهم في قبضة يدي  
 وبالاختصار فاني أقول الحق عن نفسى ان الحاج بابا هو الرجل وحيد زمنه  
 وقريب عصره بين الناس أصحاب الذوق والرقه والانباط كما قيل فيه



لا تحقرن الدهر حلف نباهة \* ولوانه يعزى لا يسر محترف  
 فالحاج بابا وهو حلاق غدا \* من صغره بالجدة قد حاز الشرف  
 كالدرما بين الجواهر قد رقى \* جيد الغواني بعد آيات الصدق  
 ولمناسبة ان دكان والدي كانت بالقرب من الخان الملوكي وهو أعظم محل  
 في المدينة تتردد عليه الناس من كل فج فكانت ملجأ للجانِب والسكان من  
 تجار وأعيان وعلى اني ما كنت أنتفع منهم بسوى أجرة الحلاقة المعتادة  
 فانهم لازالوا يزجون بدكائه بالظن لتسليتهم بما يجدونه من نجابتى  
 وفصاحتى وعذوبة ألفاظى التى أطرب منها السامعين وشرح بها قلوب  
 المتفأكهين

بنى ان البرشى هين \* وجهه طليق وكلام لين

هذا فى يوم من الايام حدث ان أحد التجار الذين كانوا يأتون الى الدكان  
 وهو تاجر بغدادى اشتد عليه نحوى وكان على الدوام يلح ويشدد على  
 بالصغاء اليه أكثر من التفاتى لمصالح والذى الخبير بكل أمر ثم أراد أن  
 يكلمنى باللغة التركية ولمعرفة بعض ما كنت أناط به بها قلب لا فلما علم  
 ما أنا عليه من المعارف ابتدأ بهج أفكارى ويدهش حوامى باوصاف  
 جملة مدن مختلفة جميلة المنظر بهجة الرونق ساح فيها حتى اشتاقت نفسى  
 للسياحة وكان التاجر اذ ذاك محتاجا لكاتب يضبط حسابه ويدبر أشغاله  
 وعمار آه منى من الدراية فى صنعة الحلاقة وفن الكتابة قدم لى مرتبا وافر  
 للدخول فى خدمته فلذلك قبلت منه لتكرار طلبه وشدة رغبته وبوقتها  
 أخبرت والدى بهذا العزم فلما سمع منى ذلك غضب غضبا شديدا واجتهد فى  
 معي عن هذا المشروع الذى مآله الاخطار وتحملى تقلبات الزمان فارىته  
 ما فى ذلك من عظيم الفائدة فلما سمع ما قدمه لى التاجر من المرتب الجسيم  
 العائد عليه بالمنفعة خطر بفكره انه لا بد ان يأتى وقت يستحيل فيه انى رادى



بمجردى فاذن لى فى السفر وودعالى بالبركة وأعطانى صندوق أمواس وودعنى  
وعلامات الحزن ظاهرة على وجهه ولكنه كان مخفيا له

أخفيت عنه الحزن جهدى رافة \* منى عليه ورجة لقوادرى

سكى لأراه أسفا فيزيدنى \* حزنا طريفا فوق حزن تلادى

وقد اشتد على والدتى الأسف والحزن حين بلغها خبرى وتلبست بالخوف  
العظيم والجزع لان الشقيق بسوء الظن مولع وبالنسبة لما كنت آمنيا به  
واسكن خاطرها مما أبشده لديها من رجاء مستقبل سعادتى بهذه الرحلة  
فما كان ذلك ينتج منه أدنى تسكين لخاطرها أو تلطيف لغضبها لان الحجم  
لا يعتقدون نجاح حالة مبدؤها خادمة رجل سنى وصعبت عليها هذه الحالة  
ولكن لما لم تتمكن من ابطال هذا العزم فلمحببتها الاموية أعطتنى صندوقا  
ملا نانا من البقسماط وعلبة كبيرة داخلها من هم من المراهم ذات القيمة  
وقالت انه دواء لشفائك اذا لاسمع الله حصل جبر فى عظامك سيما من الآلام  
العصية

ولما أردت قبيل يدها عند الوداع قام بها من الشفقة ما أوجبها ان تمسكنى  
بكلتى يديها فلم استطع ان ألفت بوجهى الى باب المنزل ولم أتخلص منها  
الا بصعوبة زائدة وهى ترجو عودتى سالما غير مصدقة بنجاتى فى هذه  
السياحة التى تشاءت منها ثم ودعتها وهى باكية العين شاكية غراب البين

فلاندين عليك جهدى دائما \* ولا هجرن الاهل والاصحابا

كيف التصبر بعد بعدك انه \* قد غال عقلى والفؤاد اذا با

فارقتنى فأرقت لا تبعد فكم \* بلقالك قد لذ المنام وطابا

### ﴿الفصل الثانى﴾

(ابتداء سياحات الحاج بابا ومقابله مع التركمان وأخذه أسيرا)

فعمز عثمان أنا وهو سيدي التاجر على الرحيل الى مدينة مشهد جلب  
جلود غنم بخاري ثم توجه بها الى اسلا مبول ليبيعها هناك وكانت هيئته  
قصير القامة غليظ الجسم ذات أنف اسفنجية كبيرة وأما أطواره فكان رجلا  
مسلم صالحا للغاية متمسكا بالديانة وأداء الفروض ولم أره يوما يتأخر عن خلع  
جواربه مهما بلغت درجة البرد انما القرائض الوضوء ولهذا يذكره  
الطوائف التابعة للإمام على كرم الله وجهه كراهة تامة وكنت أشاهد  
فيه هذه الحالة مدة اقامته في بلاد العجم وله ميل زائد الى التكسب ولا ينام  
ما لم يكن في أمان من وضع دراهمه في محل لا يخشى منه الا انه مع هذا  
كاه لا يتساهل في لذة نفسه فكان يكثر من شرب الدخان والطعام الدسم  
ويتعاطى التبغ خفية مع انه كان يندرويه بدب باللف والهالك الاخرى  
الذين يراهم منهمكين في شربه جهارا فهو كما قيل

يحرم فيكم الصهباء صمعا • ويشربها على عمد مساء

اذا فعل الفتي ما عنه ينهى \* فن جهتين لاجهة أساء

وبعد أن أمر القافلة بالتجمع في فصل الربيع أخذ يجهز نفسه للرحيل  
فاشترى بغلة قوية مرهونة خاصة تركوبه وقدم لي حصانا أركب عليه  
ولم يكن خاصا بي بل كان عليه الكليان (وهو نوع من شبكات الدخان يشبه  
الشيشة الهندية) وقلاية وزعفران مية جلد وشم وزياذة على ذلك خرجي  
أيضا وكان معنائه دأ سود يطبخ لتساوي فرش السجاجيد وينزل الاتقال  
ويحملها على البغال ولم يركب كان يسيط رجله على البغل لما عليه من  
جملة الادوات والسجاجيد وآلات المطبخ والبغل الثالث عليه صندوقا  
السفر داخلها خزينة سيدي وكافة الاشياء الضرورية وجميع ما يلزمنا  
ومن شدة حرص سيدي عثمان أن أقبل قيامنا بيوم خاط في حشولبدته  
التي تحت عمامته الثقيلة خمسين دينارا بدون ان يعلم بها أحد سوانا



والقصد من ذلك صرفها عند حصول حوادث تطرأ عليه على حين غفلة وأما باقي النقديّة المخصوصة لمشترواته التجارية فمخططة في أكياس جلد أبيض صغيرة وموضوعة في وسط الصناديق محفظا عليها أما القافلة التي تجهزت للسفر فمحتوى على خمسمائة حصان ومائتي جمل وأغلبها محمل بالتجارة لشمال العجم ويصحبهم نحو المائة والخمسين رجلا بين تجار وخدم ومرشدين للقافلة وبخلاف ذلك استعجب هذه القافلة شريفة قليلة من الحجاج قاصدين زيارة قبر الإمام رضا في مدينة مشهد وكانوا يصفون هذا الموكب بالتقوى والطهارة وكل من يصحبه يتبارك به ويعتبرون أن أربابهم المقام الأعظم وذلك بالنسبة لعزمهم الممدوح لزيارة تلك الجهة كما يفعلون بالناس الذين يحجون

ولما استعدوا للرحيل أخذ كل إنسان يسلح نفسه أما سيدي الذي كان بمجرد سماعة صوت بندقية يميل برأسه ويصفرونه عند رؤيته سيفاً مسلولا ما أدرى الا وظهر أمامي متقلدا بقربانه طويلة معلقة بالعرض على وسط ظهره وسيف منحنى في جنبه وزوج طينجان كبير نافذ من منطقته وأما أمامه فأغلبه مغاول بعلب الخراطيش وآلاتها وأوعيه البارود ومدكات البنادق وخلافها كأنما عناه الهمزاني بقوله

توشحت أبا الفتح \* بهذا السيف محتالا

فاتصنع بالسيف \* إذا لم تل قتالا

وكنت أنا بالمثل متسلحا من الرأس الى القدم وزيادة عما يحمله سيدي كنت متزينا بحربة عظيمة وأما العبد الاسود فمعه سيف بنصف نصل وبندقية بدون زناد

ثم قفنا في طلعة النهار من جهة شمال أصهبان بدلالة چاويشيه الحجاج وقد أعلنوا بالقيام بواسطة أصوات عالية والضرب على طبالهم النحاس وفي

أقرب وقت تصاحبنا بمن كانوا معنا من السياح حين إذا جميع متسلحون ومع  
 كل هذه الاستعدادات الحربية أظهر والبعضهم علامات الهدوء  
 والاطمئنان بحالة التواضع والخضوع فسررت من هذه الهيئة اللطيفة  
 إلا أنه ما كان يمكنني الرماحة والقفر بحصاني خوفا من غضب سيدي الذي  
 كان بعض الأحيان لما يراني أفعل ذلك يصيح نحوي بنغمة مغضبة  
 ويأمرني بالسكون قائلا إن الحيوان لا يتحمل السفرية بأسرها إذا اتعبته  
 بهذه الأفعال الصعبة التي لا تتأني إلا من رجال حريسة أما أنا فصرت  
 محبوبا لدى عموم القافلة وحلفت لكثيرين ثاني يوم الرحيل وأما سيدي  
 فاني لا أقدر أن أصف مقدار ما سلبته وسروء الزائد مني بمجانستي له  
 فانه بعد حصول التعب الشديد له ونزوله من فوق بغلته كنت أستعمل له  
 صنعة الاستحمام لازالة خذل أعضائه بتكليس جميع جسمه وتدليك  
 يدي

هـذا وما زلنا سائرين بدون أن يعيقنا عائق أو يسوقنا سائق حتى وصلنا  
 مدينة طهران وأقنابها عشرة أيام لراحة البغال وازدياد عدد نواب الذين  
 يرغبون في السفر معنا من تلك الجهة

أما الخطر الذي سيحصل لنا فهو من قبيلة يقال لها التركمان وهي التي كانت  
 مع ملك العجم في إحدى الحروب وقد اشتهرت بقطع الطريق وتقديمها  
 هجمت على قافلة ونهبته وأخذت من بها أسيرا وهكذا كانت الأخبار  
 المخيفة التي تنقل عن التركمان حتى أن كثيرا من فريقنا ومنهم سيدي  
 بالاختصاص حصل لهم الفرع الأكبر من سفرهم إلى مشهد ولكن الأموال  
 العظيمة التي أخذها في ثمن الجلود المبيعة في أسلامبول أدخلته الغرور  
 والزمته جبرا عن أنفه بعدم الاتزاعا قط لما هو عليه من الميل الشديد  
 في حب طلب المكاسب حيث قيل



بقدر الكد تكتسب المعالي \* ومن طلب العلاء سهر الليالي  
 ومن طالب العلام من غير كد \* أضاع العمر في طلب المحال  
 وكان المعترف في أثناء هذه المدة يجمع الجحاج في طهران وما يجاورها  
 لانتظار حضور قافلتنا فلما وصلنا تلك الجهة أخبرنا أنه جهر فرقة عظيمة  
 للسفر معنا وأكد لنا أنها تقوية لنا وأوصانا بوجوب الترحيب بها نظر للخطر  
 الذي سيصادفنا عن قريب وكان هذا المعرف رجلا مشهورا بمعرفة  
 الطريق ما بين طهران ومشهد ولذا اكتسب الصيت بقطعه غير مرة رأس  
 تركاني حينما صادف في طريقه ويرى من هيئته أنه جسر شديد البطش  
 لطول قامته وعرض كك كتفيه وغباشة وجهه المحترق من حرارة الشمس  
 ومترين بالشعر المسترسل من رأسه على عارضيه هيئة اللحية ولا بس درع  
 حديد وعلى رأسه خودة بها جداول مفتولة من الحرير تهف على أكافه  
 ويجنبه سيف مقوس ومنطقة طينجات وعلى ظهره ترس وفي يده حربة  
 طويلة كأنه يطلب البراز والقتال وصار يتفاخر ببسالته ويتباهى بشجاعته  
 ويتكلم باحتقار كل من التركمان وبذلك عزم سيدي أن يركن على هذا  
 الرجل في سفره ويكون مرافقا له تحت حراسته ثم استعدت القافلة للقيام  
 بعد عيد النوروز بأسبوع وبعدها نأدوا صلاة الجمعة في أكبر جامع في  
 طهران تحتفل فيه الناس ذلك اليوم توجهنا لقرية الشاه عبد العظيم  
 حيث تقوم منها عموم القوافل للسفر ولما وصلنا تلك القرية قننا منها وكنا  
 غشى من أحل خفيفة حتى وصلنا لبادية جافة قفيرة وبها قسرت أعيننا  
 وهدأت قلوبنا وكك كما نصل لقرية أو نتقابل مع سياحين تنادي  
 الجاوشية (بسم الله والصلاة على النبي) بنغمات عالية طنانة ويردونها  
 بالضرب بسيف ورجل على طبولهم الموضوعة داخل منحنيات مروجهم  
 وكانت أغلب مسامرتنا عن التركمان

هذا وان كما أجمعنا آراءنا بانكسار العدو وكونه في تلك الجهات الا اننا صرنا  
نسلي أنفسنا ومالين انه مهـ ما بلغ عدده لا شيء يوقف عددنا ضده لما نحن  
عليه من الالهية والاستعداد ونحن نتادى (باسم الله الله أكبر) ونقول  
من هؤلاء الكلاب الذين يتجاسرون بالهجوم علينا ونحن الليوث  
الهوامر والاسود الكواسر والابطال الفوانك وصار كل مناية سفاحر  
ويجب بقوته وشدة بأسه اما سيدي الذي بخلاف غيره فاستأنه تخطيط  
بعضها لهذا المحذور والخطر رفع اقتضاره بما سيجريه من الشجاعة عند  
الهجوم فكان كل من يسمع كلامه يظن انه لم يشغل بشئ مدة حياته  
الاعمارية وقتل التركمان ولما رأى الجاويش ان صوت سيدي يعالو على  
جميع الاصوات داخله الغيرة العظيمة حيث رآه يظهر نفسه انه أقوى  
وأشجع هذه القافلة ولم يعلم انه كما قيل

واذا ما دخلا الجبلان بارض \* طلب الطعن وحده والتزالا

فصاح بصوت عال قائلاً لا يلزم أحد منكم التسكلم في حق التركمان ما لم  
تنظروهم ألم تعلموا انهم الملقبون بأكل السباع ولم يسلم أحد من ضرر  
قبضتهم ووقتها صار يرم في شواربه جهة أذنيه وما كان سيدي يقول  
الصدق الا عند قوله ان الشاب مهـ ما بلغ استعداد آلاته الحربية وكان عنده  
من القوة ما يضاهاى قوة الفيل فانه يكاد ان يمزق من الخوف جبال المكعب اربا  
أى قطع اليوم الحرب (وهى الجبال التى تستعمل في الشرق لصيانة الخيل)  
ولم ير سيدي عثمان أنما طريقة بها يأمن على نفسه من غوائل العدو في  
حال الهجوم يتنعم بها عن رفقاته في المسير أحسن من جعل نفسه من  
أتباع سيدينا عمر رضى الله عنه ولكي يشهر نفسه بهذا المذهب فزق  
قطعة شاش خضراء ولفها على عمامته وجعل نفسه على شكل أمير  
أورسول من النبي الكريم عليه السلام على انه ما كان يفارق بغلته التى



يركبها ولم يتقدم مع أحداً أكثر من اتحاده معها

ولما قطعتنا مدة أيام ونحن سائرون على هذه الحالة ما ندري الا والجاويش نادى بصوت مزعج يريد به أهمية التفاتنا اليه وقال اننا الآن واصفون الجهات التركمان الذين ينتظرون في القوافل وأوصانا بالسير جميعاً خرباً واحداً وبالاستعداد للمقاومة العنيفة اذا حصل الهجوم علينا فأول حالة جبرية حصلت لسيدي عثمان أفا عند سماعه هذا النداء هي كونه قفصل يندقيته ورفع طبججاته وأدخل سيفه في غمده ووضعها على إحدى البغال الحاملين العفش وتوقع من حصول ألم بعدته تاركاً جميع اشغاله الحربية التي كان في أوائل الامر مشغولاً بها وأدرج نفسه في عباءته وظهر على وجهه المسدلة والفرع وأخرج سبخته وصار يتلو عليها (سبحان الله واستغفر الله) وبهذه الحالة استعد لان يسلم نفسه للقضاء والقدر مع انه ظهران معظم اعتماده لمحاماة نفسه على الجاويش الذي رأى منه عدم مبالاة بالخطار لاسباب أخرى تحققت عنده وهي تحويطة بالطلاسم العديدة والتمائم المربوطة على ذراعيه وبذاتاً كدله ان ذلك يبعد عنه سهام التركمان في أي وقت كان

وما زال الركب سائراً على هذا المنوال يتقدمه الجاويش بحسامه ذي النصلين وبرفقته فارسان من أشجع القافلة متباعدون عنهما بمسافة قليلة بصفة غفراءها وصاروا يظهر قوتهم ويشجعون أنفسهم كل لحظة ويطلقون خيولهم في البطاح ويلعبون بالأسنة والرماح ويضربون بها الهواء وهم لا يباليون بأعدائهم وبينما نحن على هذه الحالة اذ سمعنا طلق البنادق والرصاص وأصواتاً وحشية خرقت آذاننا فقلنا شيء خفنا منه فوق عنا فيه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فعند ذلك وقف الجميع من تعبنا وتأخرت الرجال والابطال والحيوانات عن

المسير وصاروا يضطربون كفرقة العصافير عندما يرون صفراهم عليهم امن  
بعيداً فانضممنا من الخوف وصرنا بجسم واحد ونحن لا نجد مـاعدا  
الى أن تحققنا هجوم طليعة من التركان علينا وبوقتها اصفرلوتنا  
واقشعرجسمنا وتغير حالنا والبعض ممن كان ذاقوة فرهاربا من جهة  
والبعض من جهة أخرى ومن ضمنهم سيدى عثمان أغا ولكن كيف السبيل  
وقد أحاط بنا الهلاك الويل وتسلب عليهم الخوف الشديد وانحلت  
قواهم وهم يصيحون ويتضرعون ويقولون يا الله يا الله يا أمّة الدين ويا محمد  
يا نبي الله وخاتم المرسلين راحت أرواحنا وفقدنا أموالنا وأحاط بنا العطب  
وعن قريب يدركنا الموت المبين قيامغيث المغيبيين أغشاجحق الرسول  
الامين وفي أثناء ذلك نزلت المكارية الاجال عن البعال في هذه القـلاة  
وهربوا طالبين النجاة وكان العدو يتبعنا برحى السهام ويتساقط علينا  
كالغمام حتى لحقونا واحتاطوا بنا وأصبحنا غنـيمة باردة بين أيديهم أما  
الجاويز الذى خلص نفسه من جلة معارك كهذه فعندما رأى العدو  
فرهاربا ولم يزولم نسمع عنه شيأ هذا واستمر العدو ينهب العفش والاجال  
وانتشر بجيشه العرمرم فى الخلاء وملا بـعدده وعدده الصحراء

فلما رأى سيدى ذلك الامر الم هول ولم يجد له مـضرا من المقدور اندرج  
ضمن بالتي بضاعة لينتظر ما يكون من هذه الواقعة فاكشفه أحد  
التركـان ذوالهيشة الهائلة والمنظر الخيف بجسمه فى أول الامر على ظهره  
ضمن الطرود فلما أحس بشئ يتحرك على ظهره كالسوسة طرجه على  
الارض فقام مرعوبا مـفزوعا يتدال اليه وهو لا يصدق بالنجاة بغاية  
الخصوع والمسكنة واجتهد فى ملاطفته وتمـدته خاطره وهو يستغيث  
بسيدنا عـمرا لا اعتقادهم فيه وبسب الامام عليا كرم الله وجهه لكراهتهم له  
ولكن أين من يسمع ومن دوائه ينـجى فما ازداد التركانى الا صلابة



وقساوة وجرده من ملابسه ولم يترك عليه سوى عمامته لفتح لونها مع قبضه  
ولباسه وأخذ برنسه اللطيف ومرواله ولبسهما أمامه ولكون ملابسه  
رثة لا تستحق السلب سمح لي بعدم قلعها وبذلك استحوذت على صندوق  
أمواسي وهذه منه عظمة بالنسبة لما حصل لسيدى  
وعندما أتم التركمان السلب ابتدؤا يوزعون الأسرى على بعضهم وركب  
كل منا خلف خيال بعد أن غموا أعيننا لننزل عن الطريق ثم استقروا سائرين  
بنا طول النهار حتى أنزلونا ليلا في واد صغير واستراحوا فيه تلك الليلة وفي  
الصباح كشفوا غماتنا فوجدنا أنفسنا في مسالك لا يعرفها إلا التركمان ثم  
قاموا وما زالوا سائرين في أودية معرقة وجبال مقفرة حتى وصلنا إلى خلأ  
فسبح قدر مد البصر كأننا في آخر حدود الكرة فوجدناهم قد جابوا بخيام سود  
من خيام العدو وأغنامهم ومواشيهم وهناك أنزلونا ننتظر ما يكون من  
أمرنا

### ﴿الفصل الثالث﴾

(الكلام على من وقع في أيديهم الحاج بابا وما ناله من  
السعادة والخط الوافر بسباب أمواسه)

أما التوزيع الذي حصل في الأمر بين التركمان فكان في غاية الانتظام لأن  
من حسن البخت كوني أنا وعثمان أنا واقعا في يد سيد واحد وهو ذلك اللص  
الوحشي الذي ذكرته سابقا واسمه أصلا سلطان رئيس جردة عظيمة  
مبدؤها أول نزولنا من الجبل لغاية وصولنا للخلأ الفسيح وخيامه منصوبة  
على تخوم أخدود صغير ممتد وفي وسطه قناة ماء متفرعة لتلول مجاورة له  
وبه مراعى مخضرة مملوءة بالمواشي المنتشرة عليها بقدر ما يرى الإنسان  
أما رفاقنا المصابون معنا فمأواهم بلهية أبعد مناد داخل هذه البلدة

ووزعوه على قبائل التركان المختلفة القاطنة في هذا الاقليم  
وبمجرد ظهورنا في هذه البلدة قامت العساكر جميعها وأحاطت بنا من كل  
جانب للتفرج علينا أما قائدنا فاستقبلوا بالبشر والترحيب وهم يهتفون  
باصوات عالية فرحاً بقدومه منصوراً وأما عنا فحدث ولا حرج عما حصل  
لنا من استقبال كلابهم فأنهم لما رأوا أننا هجمت نخونا عصبية كبيرة من  
كلاب الغنم وظلوا ينجون علينا حتى كادوا يتسلعوننا حيث علموا  
أننا غرباء فقلت لا اله الا الله أهذا يقابل بالبشر والفرح ونحن نقابل بالذل  
والنج بين هؤلاء الاجرام والقوم اللئام فلعل الله يأتينا بالفرج القريب  
ويأخذ بناصر الغريب والحمد لله على هذه المصيبة

يأتائم الليل في جثمان يقظان \* ما بال عينيك لا تبكي بتهتان  
ان الليالي لم تحسن الى أحد \* الأساءات له من بعد احسان  
أما رأيت صروف الدهر ما فعلت \* بالهاشمي وبالفتح بن خاقان  
وفي هذا الوقت حصل لسيدى نوع احترام بالنسبة لشاله الاخضر المعهم به  
ولكن بمجرد ما رأته البانو (وهي الزوجة الاولى للقائد كما يليقها التركان)  
مالت نفسها اليه وأخذته بوقته فلم يبق على رأسه غير قاروقه المحشى  
الموضوع فيه دراهمه فاستحسنته احدى زوجاته الاخرى فأخذته قائلة انه  
ينفع لحشور حلى الذى أضر بظهر جلى وخذته بين الادوات في أحد أركان  
الخيمة بعد ان اجتهد غاية الجهد في عدم تسليمه لما فيه من الدراهم فلم يتمكن  
ذلك ثم ألبسوه بدلاً عنه قاروقاً من جلد الغنم كان يلبسه رجل من المصابين  
مثلنا كان مأسوراً عندهم ومات حزينا محصورا

وبعد أن ألبسوه هذا القاروق عينوه في وظيفة المتوفي وهي سوق  
الابل حال ارسالها للمرعى في الجبال حيث لم يتوهموا منه الهروب لسمته  
وثقل جسمه أما أنا فلم يسمح لي بالانتقال وترك الخيام وكانت وظيفة



يومئذ خض الـكـياس الجلد الموضوع فيها اللبن لاخراج ما فيه من الزبدة

ولشهرة انتصار التجربة أعد القائد دولة شائقة لعموم المعسكر وأحضر قرانا كبيرا ملائنا من الارز المفلقل وعليه شاتان مشويتان ودعا الرجال من الخيام المحيطة به وبعض الذين حضروا الهجوم على قافلتنا واجتمعوا في خيمة واحدة وأما النساء فاجتمعن في خيمة أخرى وبعد ان قدموا الارز واللحم للرجال وشبعوا جاءوه الى النساء فأكلن ما يكفين وأعطين الباقي لاولاد الرعاة فأكوا ولم يتركوا غير العظام وفضلات الصخون فاحضروها لنا كلها مع الكلاب ولا تنظاري هذه اللقمة مهما كانت بكل اشتياق لعدم أكلى من وقت أسرى الى الآن مكثت عليه بكل شهوة فرائى احدى النساء اللواتى أخذتها الشفقة على وأومات لى فتوجهت نحوها فاخفتنى خلف احدى الخيام وقدمت لى وعاء ملائنا من الارز وعليه قطعة من دهن الغم كانت أعطته لها احدى زوجات القائد ورجعة لمصيبتى أهله الى وأمرتنى بتشجيع نفسى ثم عادت لمحلها بسرعة بدون أن تنتظر ان تشكراتى

هذا وقد مضى النهار على الرجال بالتدخين وسرد خطراتهم لبعضهم وعلى النساء باغساء وضرهين على الطنبورة أما أنا وسيدة المسكين فكنا نتفكر ويتأمل فى حالتنا الكئيبة ولكن علامات الالتفات التى حصلت لى الآن من تلك المرأة أهدأت روعى وأسكنت خاطرى وأراقت فكرى لا شغل وعلمت من ذلك عدم اليأس كاية من تحسين مستقبل حالتى وما ذلك الا بداء والذى ووالدى

هى المقادير تجسرى فى أعنتها \* فاصبر فليس لها صبر على حال  
يوما تربك خميس الناس من تفعأ \* الى السماء ويوما تخفض العالى

ثم اجتمعت بلا طائل في تطيب خاطر صاحبي الذي لم يفتر عن البكاء لحظة على ما لحقه من هذه المصيبة العظمى وما زلت أسكن عقله وأسهل عليه أمره بقولي ان المسلم الحقيقي ليس له ملجأ سوى كونه يسأل الله الرحمة ويلتجئ لكرمه ويتنظر عفوه سبحانه وتعالى في حال الحزن والمصيبة

تعرفكم لك من سلوة \* تفرج عنك غليل الحزن

فوت النبي وقتل الوصي \* وقتل الحسين وسم الحسن

فما كان منه الا وأجابني بقوله مثلك الذي يقول (الله كريم الله كريم) لانك لم تفقد شيئا ولكن ها أنا نهبوني وضربوني وأصبحت لأملك قتيلا ولا قطميرا ولا تقيرا ثم سكت ولم يتكلم وجميع أفكاره متحولة نحو خسارته واعداد أمواله ومكث يحسب ماضع منه من الاموال والبضائع ولم يترك بارة مما خسره في هذه الواقعة الا وأدرجها ضمن الحسبية مع اننا كنا أيثسنا من الحياة ولم يحمد الله على نجاة نفسه ولم يعلم ان رزية المال خير من رزية العيال فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ثم أرسلوه ثاني يوم الى الجبال ومعه خمسون رجلا للمرعى بعد ان أصدر اليه القائد التنبيهات والتهديدات المشددة بالمحاذرة والحفظ عليها واذا ضاع منها جل قيمته يضاف على قيمة الفدية التي سيأخذها عليه فيما بعد فصعبت على حالته وكان وقتئذ شعره هائلا فأردت ان أحلق له لحيتي له وأجلسته على رحل رجل وأخذت جزءا من ينبوع بجاني وأحضرت قربة صابون ووضعتها داخل الماء وأخرجت أمواسي التي نجيت بها من نكبات المقدورات وحلقت به على رؤس الاشهاد فلما رأنا الناس دلي هذه الحالة أحاطوا بنا يتفرجون على هذه الحرفة العجيبة التي اتضح لي منها فائدة تبيحهم المسئلة لي حيث كنت أحلق لمن يريد من الامام لان من عادة العجم ترك جسد ياتين خفيف كل أذن كهيئة الضفيرة



وأما الأتراك فيربون لهم شوشة في منتصف الرأس فعند ذلك وصلت  
شهرتي للقائد فاحضرني وأمرني بحلق رأسه بلاتوان فباشرت العمل  
وقد وجدت برأسه جملة علامات من ضربات السيوف وشعره به خشونة  
كشعر كلاب الغنم السالفة الذكرو قد تراأى لي أنه متعود على قص شعره  
فقط وربما كان يقرطمه بالآلة التي كانوا يجرون بها غنمه حيث كانت  
أعظم لذة عنده بواسطة أحد حلاقى بلده فلما رأي ما رأي من حسن  
صنعتي وغريب حلاقتي استشعر من تحت يدي بالنعيم وأظهر لي بطلاقة  
وجهه ممنونة لا حساسه بخفة رأسه وقال لي كأنك خلقت طبقتين  
من تحت جلدي ومكافأة لي أقسم أنه لا يقبل مني فدية مهما بلغت قيمتها  
وسكن خاطري ولقبني بعزيزه المخصوص وهنا أنزل للقاري النبيل  
التنصيب على ما حصل لي من المسرة والانتعاش لهذه الحالة ثم جثت على  
ركبتي لتقديم شكراتي لسيدى الجديد على حسن تعطفاته نحوي إلا أني  
كنت أثناء ذلك أتدبر في انتهاء فرصة خلاص من مخالبهم وبالنسبة  
لتقربي للقائد ومحبتة لي صرت أدلل عليه شيئاً وأعالو بكلمتي  
وأمرى عليه مع غايه المحافظة على نفسي وما زلت على هذه الحالة مدة أيام  
وأنا أتدبر في الطرق المستحسنة لهروبي وفككي من أمر العبودية الكريهة  
التي وقعت فيها انظر الماء كابد من المشقة والعناء وإن كنت مستريحاً  
بالنسبة لغيري

### الفصل الرابع

(في حذافة الحاج بابا واحتياله في خلاص دراهم سيده من أيدي

التركان والطريقة في حفظها)

ومن ضمن مقاصدي التي تراءت لي أن الواسطة في اسمعاني ومساعدتي

على الهروب لا تكون الا بتدبير طريقة بها يمكن الحصول على دراهم  
سیدی الخیطة فی حشوعیامته القدیمة السابق حذفها فی احد اركان  
خیمه النساء وان الحصول علیها لا یكون الا بالمهارة التامة بشرط عدم  
شبهة اوتهمه خلا فی هذا وقد شاع ذکره واشتهر امری بین عموم الناس  
والعساكر المجاورة لتناوصرت محبوبا فقط لم یبق لی حيلة للدخول علی  
الباقی وباقی النسوة الا التشكر الیهن وابداء اشارات الممنونة الی بها ظهر  
لی صلة المحبة والمودة منهن الا انه لا یمکنی التطرف نحوهن لعدم لزومی  
عندهن بأی صفة من الصفات وانما لما تعلمه الرجال والنساء ان حلالی  
العجم لهم درایة تامة بالجراحة وذلك بخلاف ما یتقنونه من صناعة  
التكیس والتدلیك فی الحمامات خصوصاً فی الفصادة وخلع الاسنان  
وتجبر العظام فالتعطفات الالهیة والامن الی بانیة ارادت الباقی الفصد  
فی يوم من الايام فكان هذا غاية القصد وأرسلت وکیلها تستفهم منی عن  
مقدرتی فی اجراء هذه العملية فقلت فی سری کیف لا یمکنی وهذه هی  
الفرصة الی أتوصل بها الی وقوفی علی موضع الامانة وأخذها بأی حالة ثم  
أسرعت عجیبا (نعم) وقد كنت استعددت باحضار مشرط من أعظم الاسلحة  
أفصده به بمهارة عجیبة بغایة الدقة والاحتراس فلما أخرجت العدة من  
جیبی أتى رجل من كبار القبيلة یدعی انه منجم یعرف علم الفلك وحسب  
الطالع وقال ان النجوم السیارة الی یصلح فیها الفصد لا تكون الا فی  
الصباح فلما رأیت ذلك أکذوبة تركته فی اثناء حدیثه ولم أصغ الیه  
ودخلت خیمه النساء فوجدت الباقی جالسة علی سجادة مفروشة علی الارض  
تنتظر فی بلا صبر فلما تمثلت أمامها وسلمت علیها وجدت امرأة لا تمیل الیهما  
الجوارح البشریة ولا تهیج منها الشهوات الذاتیة سیمالشاب مشلی فی یانع  
شجویته وعلی کلا الحالات كنت أکره النظر الیهما السیین أولهما شدة



بخافة جسمها و قبح شكلها الذي لا تمواه النفس و ثانياً ما خوفي من زوجها  
 أصلان سلطان و بذلك ما كان يمكني التعلق ولا الميسل اليها وان كانت تظهر  
 محبتها مخوي خوفاً من أن يكون عاقبة هذا الأمر تمليص آذاني و اعدام  
 حياتي مع انها كانت تنظر الى نظرة رضا و تراعي في مزاجي كافي سيدها كما  
 أن النساء اللواتي يعجبنيها كن يعظمنني و يلتفتن الى كل الالتفات و جميعهن  
 يتمنين ان أحسن نبطهن لا تطرأ عينهن يلزمها الفصد و في اثناء تجهيزي آلة  
 الفصادة للبانو كنت أتطلع و أحول نظري في أركان الخيمة اعلى أقع على  
 هذه الامانة التي أتمنى أخذها و لا تنهاز الوقت الطويل للحصول على اتمام  
 الفائدة بالنسبة لا غراضى في هذه العماية خطر يفكرى اعادة تجربة  
 نبطها مرة أخرى فأمسكت يدها و أنا تأمل بشدة لنبطها و اتمام الغاياتي  
 أريت ان الدم معقد و فاسد و لا يصح اسالته على الارض بل يلزم جمعه  
 في وعاء لا تحماه عند الفضا حيث وقع نظري على موضع الامانة فكان  
 نتيجة قصدي ضحيج النساء و صياحهن مع بعضهن ولكن البانو لم توافقه  
 بل عدلت عن رأيهن و وافقت على آرائى و ذلك لما فيه من الصعوبة  
 الكبرى بما انه يشق على التركمان تعرض أى آنا للاتلاف بواسطة  
 استعماله بشئ ينشأ منه تلف الاناء بالكلية وعلى ذلك صرن يناقض  
 بعضهن بعضا و ينكرن وجود أوعية بطرفهن وكل ما يرونه يستحسن  
 رميه و اتلافه و يظهرن معارضة عندهن هذا و بينما أردد أفكارى  
 بالمجاسرة لتوجهي ذلك المحل الذي فيه القاروق فاصك ان من البانو  
 الا وافكرت و عاء قد يسا من الجلد و أمرت احدى النساء بالبحث عنه فلما  
 أحضرته و نظرتة قلت لها انه لا ينفع لما فيه من المناور الموجودة في قاعه  
 و هممت بخواب الخيمة و رفعتة امامى للكشف عليه و لا تمام من غوبي  
 شفقته بالسكين و مازلت كذلك حتى خرقتة فحوسته خروق ثم أريتها

عدم نفعه وصاحت البانوق على النساء أين القاوق القديم الذي كان يلبسه  
الامير المأسور فاجابتهما الزوجة الثانية انه تعلق وأخذته لاحشى به وحمل  
جلى فقالت لها بعنف شديد لا اله الا الله كيف يكون ملكك وتغنيبه عنى  
وأنت تعلمين انى سيدة هذا الحرم وكبيرة عليكى فالبسة من احضاره  
فاجابتهما الزوجة الثانية مغضبة وقالت لا أحضره

فهاجت النساء لذلك وعلا الصياح والضجيج وعند ها خشيت ان يأتى هذا  
المهبر لمسامع أصلا ان سلطان فيفصل المسئلة باستولائه على الشئ الواقع  
عليه المشاجرة من أيدي المتشاجرين

انما من حسن بختى وسعدى تداخل المنجم فى حل هذه المسئلة وأكد على  
الزوجة الثانية مشدد انه اذا استمر النزاع على هذا المتوال فحينئذ  
يهرب الدم الى رأس البانوق فيؤذيها فلما سمعت كلام المنجم انجبرت على  
ابطال دعواها وسلمت لها القاوق فخدمت الله على ما أنعم على به من  
التسهيلات وعلى ذلك أجريت الاستعدادات اللازمة لفصدها فلما ان  
تطرت المشرط والوعاء من تحتها انزل الدم فيه والاعين المتطلعة اليها من  
كل جانب المتشوقة لمشاهدة تلك العملية داخلها الفرع والخوف ولم تسمح  
لى بانعامها فلخوفى من ضياع الثمرة المقصودة تطرت اليها بعين الشفقة  
والحلم وجسست نبطها وقلت ان امتاعها مضربها وضرورى من فصدها  
والامتنال لما قدر عليها لان كل انسان لا يمكنه يعلم المانع لقضاء المقدر  
عليه من ابتداء خلقته فعند ذلك لم تحاو بنى بشئ بل اتفق آراؤهن جميعهن  
انها اذا عارضت الاحكام الالهية فتكون بذلك ارتكبت الخطيئة والاولى  
امتنالها لقضاء الرحمن فعدت ذراعها عريانا وثبتت بقوة ظاهريه لضرب  
مشرطى فلما انقطع سيلان الدم وانتهت العملية أمرت بنقل الوعاء الذى  
به الدم الى محل بعيد عن المعسكر بمسافة قليلة وان لا يسمح لاحد دق ان



يصل اليه خلا في حتى أعلم اصابة المريض من خير أو شر الناتج من الفصد  
بدم سيلانه وامتحانه بمفردي

ثم اني انتظرت حتى أظلم الليل ونامت جميع الناس وخرجت خارج المعسكر  
وهزقت بطانه القاروق وأخذت الخمسين ديناراً بفرح وسرور لا مزيد  
عليه وأخفيتهما في حفرة قريبة ثم حضرت الى حفرة أخرى أيضاً أخفيت  
فيها القاروق وعدت لمكاني فلما أصبح الصبح توجهت للبانو مظهر الاسف  
وأخبرتها اني لما خرجت بالامس خشيت حصول شئ منها يضر بالدم  
فدفنته مع القاروق في الارض فاقنعت بكلامي وحصل لهما الانبساط  
ومكافأة لي على خدمتي أرسلت لي صحناً صناعة يدها وعليه فوزي محشي  
بالارز والزبيب ويحلبه وعاء مملوء لبناً حامضاً ومشرر عليه الملح ثم يلزمني  
الاقرار بما ترا أي به كرى وقر عليه رأيي وهو اني لما استحوزت على  
الخمسين ديناراً خطر بي الى سيدي القديم الذليل الذي نعصت عليه معيشته  
بالمقت في الجبال برعى الجمال حال كوني في درجة مناسبة من اللذة وعزمت  
في نفسي وأما متقلقل النية على رده هذا المبلغ اليه وما زلت أحاول الافكار  
وأبداحت رويدا في الآراء المزار وأقول لولا شطارتي وحذاقتي لصاعت  
الدراهم ككلمية فمن ذا الذي حينئذ له الحق في أخذها خلا في ولو فرضنا  
واستحوذ عليها صاحبها بالثاني فلا تفيده فائدة بالنظر لوظيفته التي هو بها  
الآن لان واحداً بين تسعة وتسعين شخصاً لا يمكنه اعمال شئ ومن حيث انه  
لو أخذهم لا بد من سلبهم منه بواسطة الناس الذين يحببته فالاولى ابقاؤهم  
معي الآن بما انه موعود بفقدهم وأنا موعود بالاستيلاء عليهم وعلى ذلك  
انفصلت صعوبة هذه المسئلة ورأيت في نفسي بهذه الادلة كافي المالك  
الاصلي للخمسين ديناراً ولا يجوز لاحد في أي شريعة كانت ان يأخذها  
مني

وبعد انتهائي من هذه الورطة اجتهدت في ارسال نصف القوزي المشوي  
اليه الذي أهدي لي ليسد به رمقه ويرد جوعه فبادبت أحسد الرعاة وكان  
ذاهباً للجبل وأخبرته بتفاصيل المسئلة وما هدته بتوصيله اليه فوعدني بعد  
أن أقسم لي انه لا يمسه في الطريق بل يوصله له باكله ففعل هذا كله ما زلت أشك  
في كلامه ولكن بعدتهم هذا كره الدنانير السابقة قلت لا يهدأ خاطري ما لم  
بشارك في رقيق التعيس في اقتسام لذاتي وعلى ذلك سلمت للراعي نصف  
القوزي لتوصيله اليه ولكن يا ألف حسرة وخسارة ما حسبته وجدته فانه لم  
يستغرق هذا الشق بل جهة النهر الذي في حدود المعسكر الا ورايته يقطع  
فلذات من اللحم ويضعها في فيه ولا أشك في كونه أكله وخلصه قبل وصوله  
بل وتطف على عظامه من قبل أن يحتفي عن بصري وترأى لي عدم التبحر  
في اقتفاء أثره لطول المسافة التي قطعها ولم يفرج عن نفسي الا كوني  
التقطت حجراً من الارض ونشفت على رأسه وحذفته فلم يصل اليه ولا يتم  
مقصودي حتى أشقى غليلي فتركته وأنا كاظم الغيظ

### ❦ الفصل الخامس ❦

(صيرورة الحاج بابا بالصاوم محامياً لنفسه وانارته على وطنه)

أقول قد مضى الآن نحو السنة وأنا في أيدي الترك كما وتوصلت في أثنائها  
على محبة سيدي وميله الى حتى آل أمره الى أب يشاورني في جميع مصالحه  
الخارجية بل وفي داخلية وكنت أنا لا أنحر ملازماً ومصادراً له ومطيعاً لجميع  
أوامره فلما رأي صداقتي وحسن سيرى وعلم بذلك علم اليقين انه يركن الى  
في مهمات الامور المتعلقة بشؤنه مالت طبيعته الى أن يسمح لي بمرافقته في  
سياحته على قول التتره الى بلاد العجم بقصد السلب فقال ما بلغني هذا  
الخبر كدت أطير فرحاً حيث بهذا الاذن فرصة عظيمة لهروبي منه بغاية



الراحة فاني طالما ترددت وكررت عليه بان يأذن لي فما كان يقبل مني حتى  
 سمح الزمان وآان الاوان بمنتهى بغيتي ووصولي معزز البلدتي على أنه  
 ما كان يسمح الي هذه الساعة بالفسحة خلف المعسكر ولا بالتوجه خلف  
 المراعي المحيطة به خوفا من الفرار مع انه ما كان يمكنني ذلك لاني كنت عادة  
 أجهل الطرق التي داخل الصحراء العظيمة الماخلة الفاصلة بيننا وبين بلاد  
 العجم وعلمت أني لو اجتمعت في الفرار لا يفيدني شيأ بلهلي وعدم استدراجي  
 على هذه المسالك حيث اتضح ان كثيرا من الناس قبلي هربوا وأغلبهم  
 هلكوا والبعض عادوا لساداتهم فعاملوهم بشدة وعنف عن قبل وعلى ذلك  
 انتهجت سرور العلمى اني ملكت الفرصة لمشاهدة الصحراء التي سخر منها  
 وعزمت في نفسي ان لم أتمكن من الهروب أثناء هذه التجربة فما بمنعني  
 شي عند العودة عن الفرار بالنسبة لوقوفى على الطريق في الرحيل  
 ولكون أغاب سياحات التركان كانت في فصل الربيع لوجود المزارع  
 والمراعي في الاراضي العالية تحيواها واللال الناضجة في الاراضي السهلة  
 والداعي الأكبر أيضا تحقيقهم مقابلة القوافل في هذا الفصل حتى يشنوا عليها  
 العارة بالنهب والسلب حال سفرهم فلقرب هذا الفصل دعا ذات يوم أصلان  
 رؤساء قبيلته ورؤساء العشرات والمئات وكل من كان مشهورا بالشجاعة  
 في الهب وأبان لهم التفاصيل التي يقصدها السياحة الى وسط بلاد العجم  
 اذ كان قصدهم الوصول الى نفس أصبهان والدخول لبلد بعد نيام أهلها  
 وهجوع من فيها فيسلبون الخان الذي يلتجئ اليه أعني تجار المدينة وكان  
 سيدي المذكور هو القائد لنا في هذه الصحراء العظيمة لان المامه وخبرته  
 ومعرفته بالطرق كانت أحسن من أي انسان معاصر له ثم قال للمجالس  
 حال انعقاده انه بالنظر لعدم معلومية أحد منكم بشوارع وأسواق مدينة  
 أصبهان خلاف الحاج بيا فقد عينته دليلا لنا في الطريق عند دخولنا المدينة

فلما سمعوا كلامه عارضت جملة ناس هذا الرأي وقالت أيها القائد كيف يكون ذلك فان من عدم التبصر الاعتماد على أجنبي حالة كونه وطنيا أي من نفس المدينة المراد تسليمها وبوده القرار في هذه الدقيقة من هنا فكيف اذا وجد من يوصله الى بلده وهو آمن مطمئن على نفسه فاتفقت الا آراء أخيرا بعد حصول جملة محادلات بانه لا بأس بان أكون الدليل لهم في اصيها ان بشرط أن يحتاج بي رجلان حتى اذا ترا أي اهما منى علامات الخيانة فبوقتها يقتلاني في نفس البقرة

ولما انقض المجلس على ذلك أخذت التركان في استعداد ادخولها وقد جهزت لي حصانا من أعظم الخيول المشهورة التي خرقت بنديرة السبق دفعتين وتهيأت على شكل التركان حيث لبست على رأسي طربوشا كبيرا من جلد الغنم وتسليحت بحسام وقوس ونشاب وحربة ثقيلة برأس ترفع وتوضع عليها عند اللزوم وكان مربوطا خلفي على ظهر الحصان كيس حنطة وحبال لعقل الحصان عند الوقوف وقرص من الخبز لطعامي المخصوص كانوا يخبزونه على ألواح صاج وتراه بعد الخبز في سمسك ورق الكرونة ومعى أيضا ستة بيضات آكلها عند الضرورة وشدة الجوع حال حصول مشقات أو مناوشات لا يمكن استعمال الخبز فيها وقد عودت نفسي على التخشن والتعشف من وقت ما أسيرت الى هذه المدة ونومى على الارض وأى شئ أجده أجعله وسادة تحت رأسي وبذا فوجد فراش للنوم وعدم وجوده مستويا عندى وكانت رفقائي تشابهنى في القوة والتخشن ومن الجائز انه كان يمكس في حالة تعب أجسامنا الى آخر درجة أن نكون اكفاء لمقاومة أى أمة في الدنيا

وأول شئ احترست عليه هو أخذ الحسين دينا را من الحفرة وربطها جيدا في خراي ثم وعدت سيدي الاول الذي فنى جسمه وتعب شكله من شدة



الحزن والغىظ انه لو أمكنتني الفرصة أبذل مجهودي بان أوصي أصحابه  
بإطلاق سبيله فلما سمع كلامي تأوه وقال لا فكال لي من هذا الدل الى الملمات  
ولا أحد يسأل عني أما من جهة ابني فأود ما عليه هلاكى واستحوازه على  
أمتعتي وكذلك زوجتي أحب ما عليم أن تزوج زوجا آخر وبذلك خاب  
أملى حين انقضاء أجلى ولا يلزمنى الاحاجة واحدة وهى أن تعمل معروفا  
وتسأل لى عن أثمان جلود الشياه فى اسلامبول فتأسفت على حاله وعدم  
حسن مقالته وتذكرت مصيبة من تلاهى فى خزانة ماله ولم يتفكر فى أمر  
أولاده عند شوب النار بمكانه وقد قيل فى حقه خطابه

قبحت يا هـذا ولقيت الردى \* وجريت بالخرلان والخسران  
شسبت بيتك ليلة نار لها \* سحر حكى لون النجيع القانى  
يا ويح قلبك والنواظر ان ترى \* ولديك فى النيران يحترقان  
لما سعبت الى الخزينه مسرعا \* لاسدرهم القانى كما اللهفان  
وتركت أمهم اندق بصدورها \* وتفيض منها العين بالهملان  
فجريت من قبح الفعل جهنما \* وحباهما بالخور والولدان  
وكفالك أن قد صرت أقسى واحد \* أمثولة فى الخان والبلدان  
فتركنه وأنا أحاول الافكار عن الخسـين دينار وأرد فى ضميرى هل ينبغى  
ارجاعها اليه أو الاحسن حفظها عندى ولو تكون برهمة لانه لو أمكنتنى  
الهروب يلزمنى قليل من الدراهم أستعين به فى الطريق وبأى طريقة  
لا يمكن سبى الخلاص من الامر إلا بما اخلت

هذا وما زلت أقلب الافكار وأجوب موارد التذكار حتى قرراى أخيرا  
بإبقائهم فى منطقى وبعد ان أخبر المنجم عن أحسن ساعة يستحب الرحيل فيها  
قناتى أوائل الليل وكانت عصبتنا تشتمل على القائد العمومى لهذه التجريدة  
وهو أصلان سلطان وعشرين فارسا وأنا من ضمنهم وكانت رفقاؤنا من

أعظم فرسان العساكر المجاورة لنا وجميعهم فوارس كاملوا العدد وراكبون على أحسن الخيول المشهورة في السرعة وجودة الأصل المجلوبة من الخيول المشهورة داخلية آسيا وعندما ركبتنا اعتقدت أن هيئتنا كهيئة طائفة السفهاء والأشرار ونصورت أننا ملكنا الصمراء لضجة الخيل فيها أمامنا جهتي فكنت أشعر من نفسي أن الطبيعة البشرية لا تخيل لي بأن أكون فارسا ومع ذلك رأيت أن الأحسن ثباتي وتحفظي على هيئة الشجاعة والفروسية ظاهرة أمامي بهذه الحالة مثل الأشقياء الذين برفتي فسلكت على هذا الأسلوب مظهر القوة والبطش كي يعتقد سيدي ورفقائي أنني فارس رستام (وهو اله الشجاعة والقوة قديما عند العجم كما هو مذكور في تاريخهم وفي شاهنامه العجم) ويعتقدوا أيضا أنهم استحوذوا على فارس صرغام مثلي مع أنني في حقيقة الأمر كان حاصل إلى ازعاج ووجع شديد خصوصا كنت أتوق في اليوم الذي سيجري تجربتي فيه كأنما عناني أبو العلاء بقوله

أسد علي وفي الحروب نعامه \* قتنا تنفر من صغير الصافر  
وكنيت أتعجب كل العجب من فطانه ومهارة القائد الذي كان يقودنا في المزارع والغابات المهولة المغطية الجبال التي على حدود كبشاك أمارؤية المسالك الخطرة ومطالع الجبال الشاخنة لسواح حديث السن مثلي فكان يرتعد منها جسمي ويضعف عزمي وإن كنت رفيقي لا يبالون بمثل هذا الخطر بل كانت عندهم سهولة العبور لا يشعرون بتعب ولا قنور بل جودة خيلهم التي ربوها بحسب سيرهم وكنال المناصب عذوق الجبل وندخل في سهول بلاد العجم الواسعة التي أشتهر سيدي بمعرفتها وبمسالك قفارها وأوديتها فبمجرد ما ينظرون له أي علم كان يعرفه في الحال ما كأنه البحاري أفرنكي خير بمسافة الجهات التي ينظرها من بعد في البحر والاعجب من ذلك



ما شتهر به من الفطنة والفراسة التي يستخرجها من العلامات وخطوات  
 الحيوانات التي يجدها في الصحراء فمنها يخبر عن جنس السواحين وعن  
 بلادهم ومن أي الجهات آتين ولاي الجهات متوجهين وهل هم أعداء أو  
 أصدقاء أو كانوا محملين أو قاضين ومقدار عددهم التقريبي بكل دقة  
 ثم استمرينا بغاية التيقظ في المسير وكنا نستريح نهارا في الجهات المسكونة  
 ونسير ليلا أما العلائق والمؤنة فصار تجديدها قبل دخولنا الصحراء  
 المالحة من آخر معسكر من القبائل الرحالة وبعدها أخذنا في الرحيل  
 مسرعين بالليل مما نعهد فيها من الجودة والشدة في هذه البيداء والصحراء  
 المقفراء بعد أن قطعنا مائة وعشرين فرسخا (الفرسخ ثلاثة أميال ونصف  
 جغرافي) وجدنا أنفسنا في ضواحي أصبهان حيث قد اقترب أو انحصارثرة  
 التعب وحان وقت تجربتي فكان قلبي يسقط تارة ويتزعزع أخرى كلما  
 أسمع حالة الهجوم التي اتفق عليها أصحابي ألا وهي أن ندخل المدينة من  
 جهات خالية الحرس أعرفها جيداً وفي منتصف الليل نسلك طريقاً  
 مستقيماً للأخان الملوكي حيث كنا متحقيقين من وجود تجار كثيرين يحتمون  
 فيه في هذا الفصل ومعهم النقود الجاهزة للمساواة وقد اتفقنا على أخذ  
 جميع النقود التي نجدها ويقبض كل منا على تاجر بشرط أن نفر إلى رحلتنا  
 بغاية السرعة قبل حصول ارتعاج وصياح في المدينة فلما سمعت ذلك رأيت  
 في نفسي أن هذه المسئلة قريبة الخطر ويحتمل عدم النجاح ونرجع بالخبيبة  
 والوبال فكان من رأي عدم إجراء هذه العملية فعندما اتفقت في  
 سبدي وتفرس في وجهي وبالخال علم ما أنا عليه فقال لي يا حاجي افتح عينيك  
 وارجع عما تقتره، وأنت فتوى أذنيك واعلم أن هذا ليس لعب أطفال حتى  
 نؤذي المذلة ولعارفلك أيدينا واحدة وأراؤنا لبعض مضدة فاني أتم  
 لك بحياة النبي صلى الله عليه وسلم إن لم تسلك حسب الاتفاق ويظهر ذلك

اختلاس أو نفاق لا بد أن أحرق أبالك بعد أن أذيقك العذاب وأرميكما  
غذاء الكلاب فقد قرنا منها سابقا بالغنائم والاموال فكيف لا تنجح الآن  
ونعود بالخسران

ثم أمرني بالركوب بجانبه وأمر شقيانا بركب من الجانب الآخر  
وكلاهما انذارني بأنه اذا حصل مني ميل أو أي حركة تدل على خيأتي  
فأعمر لحظة حتى يسقياني كأس الممات ويدرجاني ضمن الغزوات فقلت  
يا سيدي معك وطاعة ستري ما يرضيك من القوة والشجاعة ومدحتي قائلاً

قل للبوث الخادره \* وأولى النصال الباتره

وذوى الرماح العاسلا \* ت اذا هززن لغائره

اياكم والتركان \* هم الاسود الزائره

كم قد تجندل منهم \* بطول شجاع فاقره

لما غدا مخاطرا \* دارت عليه الدائره

تم سرنا في مقدمة القوم ولوقوفي على مواقع أصبهان سلكت طريقة اخربا  
حولها ودخلنا في الشوارع المسكونة التي كانت في هذه الساعة من الناس  
خالية ومهجورة وبوصلنا لمحل الواقعة اختبأنا في إحدى المازل الخربة  
التي يجوارها ولم يتردد أحد جهتها الا نادرا وترلنا عن ظهور وخبولنا ودقنا  
أوتادنا في الارض وربطنا فيها الخيل بحبال الكعب وتركنا نفرين من  
رجالنا يحرسونها وبكل تحفظ عيننا نقطة الاجتماع في معارة منفردة تبعد  
عن أصبهان نحو خمسة فراسخ وانما تكون محل التقهقر بحسب مقتضيات  
الاحوال فتوجهنا جميعا على الاقدام بدون صياح ولا كلام متجنبين  
الشوارع والاسواق التي أعلم أن فيها نقاطا من العساكر المستحقة وما  
زلنا ندخل من حارة الى أخرى حتى وصلنا لبوابة الخان وهي الجهة التي  
أعرفها نقطة نقطة بدون أن أراها حيث بجانبها كان والذي فارقفت.



صاحبي بعيد عنها وأخذت حجرا وطرقت على بابها العلي انه مقبول بالكالون  
وناديت البواب باسمه قائلا يا علي محمد (افتح افتح) لان القافلة حضرت  
فقال وهو بين النوم واليقظة بدون أن يسدي أذني حركة للفتح أي قافلة  
فاجبته هذه القافلة الحاضرة من بغداد فقال كيف ذلك وهذه القافلة قد  
حضرت من بغداد أمس هل تضحك على ذقني فلما لم أجده حيلة على الفتح  
وقد أوقعت نفسي في الشرك انجبرت أن أخاطبه باسمي وأجبته قائلا ما هذا  
ان قولي لطيفي وهذه قافلة حضرت مع الحاج بابا كوربلي حسن بن المزين  
الذي سافر مع عثمان أنا التاجر البغدادي وقد أتيت إليك في هذه الساعة  
لاخبرك بذلك وأخذ البشارة منك فأجاب يا هذا هل هو الحاجي الذي كان  
يخلق لي جيذا وترك محله خاليا من مدة مديدة فان كان هو فاهلا وسهلا  
بشرك الله بالخير يا بني تأن حتى أفتح لك الباب يا أعز الأحياء ثم قام بفتح  
الكالون ورفع الترايس وكانت وقتئذ تتقدم الجماعة نحو الباب مع الرئيس  
فككشنا أثناء دوران المفتاح في الكالون من الخروق انه رجل هوم  
قصير ويسده فانوس حديد نوره زائد فحققنا منه أن المحمل غاص بالتجار  
الكثيرين والامتعة المثمينة وبجال قح الباب قبض أحدنا على البواب  
وهدهده بالسكوت وهجمنا جميعا دفعة واحدة وأبتدأنا في السلب والنهب  
ولاتقان رفقائي كيفيات الهجوم علموا جميع محلات النهب وبوقتها  
استحوذوا على جميع الذهب والفضة التي وجدت

وكان أول عزوهم أن يأسروا رجلين أو ثلاثة من أغنى التجار الذين قد يتهم  
تكون ينسبوا لهم في جلب المال أحسن مما يغتفونه حتى انهم قبل أن ينشر  
ويعاوا الصياح ويعم الاتزاع قبضوا على ثلاثة رجال كانوا نائمين على  
أنظف المراتب وعليهم أغطية من أحسن الشيلان وتحت رؤسهم  
وسادات مطرزة بالدباج وبذا ظنوا أنهم ينصلون على مبلغ جسيم منهم

فأوثقوهم ككافور بطوا أيديهم وأرجلهم على حسب عادتهم وحاوهم بالقوة  
لمحل وجود خيلهم وأركبوهم خلف ثلاثة منهم وتوجهوا بهم إلى نقطة  
الرجعة حتى غابوا عن محل الواقعة

ولما أوميتي بمخبات الخان وغالب المحلات المقيم بها أغنى التجار وموضع  
النقود دخلت إحدى الأودوهى الأودة التي كان مقيما فيها سيدى عثمان  
أغاسا بقا و قبضت على صندوق صغير تعود التجار وضع دراهمهم فيه  
وخرجت به ولتمام سرورى وجدت داخله كيسا ثقيلا فكشيت بعضه في  
جيبى وجلت الباقي على قدر ما كفى وبالنسبة للأطلام لم أتمكن من معرفة  
الدراهم من أى معدن كانت

ولما آن انتهاء شغلنا حصل الهيجان والارتجاج في المدينة حتى أن  
أغلب الناس الذين كانوا موجودين بالخان مثل خدامين وسياس  
وعربجية ومكارين عندما دخلهم الرعب هرعوا جميعا إلى السطوح وحضر  
السكان المجاورون له طوائف على صياحهم ولم يعلموا حقيقة المسئلة تماما  
ثم أتى حاكم المستحقطين والضباط والعساكر وطلعوا فوق السطوح ولم  
يزيدوهم الا صياحا بقولهم (اضرب امسك اقتل) بدون أن يحصل أدنى  
شئ حقيقى لضبط العدو وصاروا يضربون بنادقهم فكان الرصاص يطلع  
في الهواء ما كانهم لا ينتظرون مسافة وصول النيران لاي نقطة ولم  
يصب أحد منا وبالنسبة للأطلام والهياج السكى الحاصل اتفقنا على  
الفرار بما معنا بدون أن تحدث منا وقائع جسيمة أو خلافها وفي أثناء هذه  
المشكلة كنت أحدث نفسي بالنجاة من هذه العصبة المشؤمة التي صرت  
معدودا منها بان أختبئ في إحدى الزوايا حين انصرفهم ولكن طرا بذكرى  
أنى اذا فعلت ذلك ونجحت فهي شدة ملبوسى تدل على أنى من ضمنهم ومن  
قبل ان أوضح لهم حالتى وأخبرهم عنى وعن والدى أصير غنيمية باردة



وتسفل الاهالى دمانى ولا يقبلون منى هتاء ولا عزاء وهذا ما حسبته مرارا  
وان كانت دكان والدى التى قضيت فيها أيام الهناء والسرور مجاورة لذلك  
الخان وقلت اذا قبضوا عايسك باليد ماذا تفعل وأول شئ تفكرت فيه هو  
ملاحظة أصلان سلطان الذى هددنى بالقتل ان لم أسلك الاسلوب  
المتفقين عليه وأوفى بانهود السالفة يبتنا فامتنعت عن هذا الامر وسلمت  
أمرى لله

ولا ظهر شجاعتي وقوتي امام سيدي وما أنا فيه من القوة أمرت بالقبض  
على رجل أعجمي يريد الهجوم علينا وطرحته على الارض وصحت عليه  
قائلا ان لم تخضع لنا وتكن أسيرا تحت يدنا وتبعنا والاقتلتك فلما سمع  
ذلك ارتعد واستغاث وهو يقول اطلقني بحق الامام الحسين وحياة أيسك  
وبحق لحية سيدنا عمر وأنا مستغيث بك فأعنتني لوجه الله فلما سمعت  
صوته لم أشك في كون هذا صوت والدى لا محالة وبواسطة ضوء القنديل  
تحققت من وجهه جيدا فاذا (هو هو) وكان حاضر للتحفظ على دكانه من  
السرقه التى لا تحتوى الا على ستة قوط وصندوق أمواس وصابونة وسجادة  
لاغير وحال ما عرفته تركت لحيتيه من يدي التى كنت قابضا عليها بقوة  
وبالنظر لحالة الاحترام التى تعودنا عليها نحن الاعاجم لوالدينا كان يجب  
على تقبيل يده ووقوفى امامه بكل خضوع ولكن حرصا على حياتى التى  
كانت تحت الخطر اذا حصل منى تهاون استمررت على المشاورة  
والمشاحنة معه

ولا بين مبلى وتشوقى نحو أصلان سلطان أظهرت آفى أسنخسه ضربا وفى  
الواقع كان ضربى فى سرج بغلة كانت بجانبه وفى أثناء ذلك سمعت والدى  
يخاطب نفسه بقوله آهوا أسفاه وامصيتاه لو كان ولدى الحاج بابا هتاء  
ما تحمل ماأ كابد من هذه المشقات ولا ما أقاسيه من أهوال الممان

فتأثرت من أقواله وما يظهره فحسوى من حسراته وهو لا يعلم انى انا ولده  
ومضغة كبده ولولم أرا الموت أمانى لا اعتنقته اعتناق الحب للمحبوب  
فكيف بالوالد الودود ولكنى اجتهدت فى خلاصه من مخالب التركان وقلت  
لهم باللغة التركية لا فائدة لنا من هذا الرجل فانه حلاق لا يملك شيأ فى الحال  
تركته بدون اظهار أسف أو تكلف وغبت عن محمل الواقعة مع ما بقى  
وركبنا خيولنا وخرجنا خارج المدينة مسرعين الى نقطة الرجعة

### ﴿الفصل السادس﴾

﴿فى الكلام على الثلاثة الاسراء الذين أخذهم التركان  
والغنية التى اكتسبوها من الخان﴾

(قال الحاج بابا) فلما وصلنا لمحمل الرجعة التى تواعدنا فيه بالمقابلة تركنا من  
فوق خيولنا وقعدنا ناستريح حتى نجتمع جميعا ويذهب عنا تعب تلك الليلة  
وكان احدها سرق قوزيا حال ركوبنا فذبحناه وقطعناه قطعاً صغيرة للشىء  
ووضعناها على اسياخ وجعلنا يبرامن القش على قدمائنا مكافئاً لوجاز بل  
البهايم وأوقدناه تحتها وبجرد ما سخنت اختطفناها جميعاً قبل أن تستوى  
وصرنا نبتلعها كالغيلان بكل قوحش وشراهة وبعد انتهاء الاكل وتوزيع  
ما بقى منه على الاسراء تداولنا على ان نبحث عن أصل وكيفيته الاسراء  
وما هم عليه من المقدرة وكان الاول طويلاً ورفيعاً يبلغ من العمر نحو  
الخمسين سنة حاد النظر نحيف الوجه خفيف اللحية ولا بأس بالباسين  
من الحرير وشالاً على كتفيه وكان الثانى رجلاً قصيراً اقامة ملفوف الجسم  
متوسط السن دموى الوجه ولا بأس قباً عامقاً زراً على صدره ويرى  
على هيئته انه أحد قضاة الشريعة وكان الثالث معين الجسم غزير الشعر  
بشع المنظر يرى عليه القوة والبأس وهو الرجل الذى اعتنينا فى تكييفه



وابتأفه جيدا عن الا تخرين بالنظر لما رأيته من شدة المدافعة  
عن نفسه

فأحضروا لهم أمامنا وسألناهم عن وظائفهم وحالة اقامتهم فتقدم الاول  
وهو الرجل الرفيع الذي يظهر عليه حالة الثروة كما ظهر للتركان بناء على  
اختيار رئيسهم وبما اني كنت الوحيد في العصابة في معرفة اللغة  
الفارسية وقفت اترجم بينهما فسأله اصلان سلطان من أنت ومن تكون  
فأترجم الرجل وقال بصوت خفي أنا أنا ياسيدي أعرض لسيادتك اني  
رجل فقير حقير لا اذكرك في جانب خدامتكم فقال وما شغلنا فأجاب اني  
رجل شاعر في خدمتكم ياسيدي وما يبدى شيء

فلما سمع احد التركان المتوحشين لفظة (شاعر) صاح قائلاً شاعر ما هذه  
اللفظة وما الفائدة منها فأجابه اصلان سلطان بحالة الغضب لا ينفع شيء

وان الشعراء أفقر الناس ويعيشون بما يتجملون به على الغير من مدح  
وذم فمن الذي يدفع عنه القديرة ثم قال اصلان سلطان للشاعر اذا كنت  
فقيراً بهذه الحالة فكيف لبست هذه الملابس المثمنة وحضرت بها فراجع  
الشاعر ان هذه الملابس من علامات الشرف أنعم بها علي أمير شيراز  
حيث كنت عملاً قصيدة مدحته فيها فلما قدمها اليه جازاني بهذا الانعام  
فلما سمع منه ذلك أمر بتجريد مني واعطائه ملبوساً من جلد الغنم وذهب  
بعيداً عنه وأحضر الرجل القصير وسأله الرئيس عن وظيفة فاجابه اني  
قاضي فقير لا أملاك الفقير فقال كيف تدعي الفقر والمسكنة وتنام على  
أنفخ المفر وشات فيا ولد الكلب ان لم تصدقني بحالتك ورأيتك تكذب في  
مقاتلتك لا عزل رأسك عن جثتك في هذه الدققة فاعترف بمالك من الغنى  
والثروة فان القضاة جميعهم أغنياء لانهم يبيعون أنفسهم لمن لهم السلطة  
عليهم حباً في جمع الدرهم والدينار فأجابه القاضي ياسيدي اني قاضي قرية

جلدون واتي الى اصيها ان حسب امر محاقط المدينة لدفع أموال القرية  
التي اتا قاطن بها فاعترضه الرئيس وقال أين تلك الدراهم التي أحضرتها  
فقال القاضي ياسيدي قد أتيت لأعرض حالتى للمحافظ وأخبره ان الجراد  
أتلف محصولات السنة الماضية اتلافاً كلياً زيادة على قلة المياه لرى الأرض  
فقال واحد من العصابة ما يستحق هذا الرجل بعد هذا كله وما الفائدة منه  
فأجابه الرئيس ان هذا الرجل ذو قيمة عظيمة اذا كانت الفلاحون ترغب  
عودته وان لم يرغبوه فلا يسارى دينار او على ذلك تحفظوا عليه ربما أن  
تكون فائدته لنا أعظم مما تحصل عليه من أحد التجار حالاً ثم أحضروا  
الرجل الثالث أمامه فسأله أصلان سلطان كالمعتاد عن صنعة فقال  
متبلداً أنا رجل فراش فعتد ذلك صاحبة العصابة جميعها وقالت انه يكذب  
حاشاً أن يكون فراشا وهذا يستحيل فقال أحدهم كيف يكون فراشا وينام  
على فراش تطيف فأجاب ليس هو فراشى ولكنه لسيدى ونمت عليه لعدم  
وجوده تلك الليلة فصرخ الجميع بقولهم يكذب ليس بفراش ما هو الا تاجر  
وقالوا له ان لم تعترف بالصدق وتقر بانك تاجر لا بد من قتلك وما زالوا يلحون  
عليه وهو لا يتنازل عن كونه فراشا فلما لم يهرباه تاجر تعصبوا عليه  
واشحنوه لكبا بالكفوف والاقلام فلما زاد به الا لم يسمع الا ان صاح وقال  
أنا تاجر لكى يتخلص من هذا العذاب ولكنى حكمت فى نفسى من هيشة  
هذا الرجل انه ليس بتاجر وانه فراش كما يدعى

ولما ثبت لأصحابى ما هو عليه وانهم لا يستفيدون منه أدنى فائدة وطلبت  
منهم خلاصه من أيديهم فى الحال التفتوا نحوى واتحفونى بنحو الالف  
لعنه ووبخونى وهددونى قائلين اذا كنت تريد الميسل والشفقة على أهل  
بلدك سيكون لك نصيب معهم وتعود للامر ثانية فالتزمت حين ذاك  
بالسكوت والصبر وتحتيت عن هذا الامر وركزت الاشقياء وشأنهم ولما



ثبت اهلهم أن مشروعههم في سرقة بني آدم كان سيئ الحظ لم يسروا من  
اجراتهم وندموا على أخذهم الاسراء واختلقت الآراء بينهم فيما  
يجرونه نحو الثلاثة الاسراء الذين كان اسرهم كعدوه فالبعض قال  
نبتى القاضى لاخذ الفدية عليه ونستعبد الفراش وقد ظهر من الجميع  
انهم متفقون على قتل الشاعر قصصا على أمره ولم أقدر اتمالك نفسي  
من بذل مجهودي في خلاصه من يدهم لانه تراأى لى من هيبته انه رجل  
من كبار القوم وعلى معارف عظيمة ولا بد وأن يكون من ذوى الثروة وان  
كان يدعى الفقر ولما ظهر لى ان الحالة زادت في الاشكال واقرب اعدام  
حياته قلت للقوم ما هذا الجنون الذى ترتكبون به الخطيئة أما تخافون الله  
في قتله بغير ذنب أما تعلمون ان قتل هذا الرجل أقبح من قتل الاوزة التى  
فيها بيضة من ذهب وأما تعلمون أيضا ان الشعراء يكونون أغنياء جدا  
أغلب الاوقات وفي امكانهم استمرار ثروتهم طول المدى لان غناهم في  
رؤسهم فاذا دلو اصابها أصبحوا من ذوى الثروة أما تسمعون عن الملك الذى  
أعطى شاعرا مشهورا مثقالا من الذهب عن كل شطرة في القصيدة التى  
مدحه بها ألم يملكه بعد ذلك مع سلطاننا الطالى ولربما في يوم من الايام  
يكون شاعرنا خصوصيا لك وقال أحدهم اذا كانت الحالة هكذا فليقل  
لا أبيتا نار تحاليلنا واذا كان كل بيت لا يساوى مثقالا فقتله فصاحوا  
جميعا على الشاعر وقالوا له هيا أمرع عاجلا واسمعنا قصيدة هيا هيا وقد  
أطهر والله البشاشة والنجاة من العذاب وقالوا له ان لم تقل والاقطعنا لسانك  
ثم تركوه واتفق رأيهم أخيرا ان يتخفظوا على الثلاثة الاسراء بدون ان  
يسوهم بضرر وانه بعد ان تقدم العنجة ترجع بالثاني الى سهول كبشاك  
فدعانا أصلا لان أمامه وكل واحد انجبر على ابراز ما سرقه فالبعض منهم  
جلب أكياسا من الذهب والبعض من الفضة ولم يقتصروا على ذلك بل

أحضروا أيضا شبكات ملبسة بالذهب من أفهامها وأباريق من الفضة  
وأكرالك سحور من ذوات القيمة وشبلافا وجمله أشياء أخرى مختلفة  
الاجناس صار احضارها أماننا ولما أتى دورى أخرجت كبسى الملا من  
التومان (كل تومان يساوى أربعة عشر شيلنا) وكان ائقل الاكياس التى  
احضرت وبها كتبت مدحا زائدا عن جميع الاشقياء فعند ما رأوا  
الدراهم قالوا جميعا (ما شاء الله ما شاء الله) يا حاجى لقد صرت تركا نيامن  
الدوجة الاولى مع انه لا يمكن أحد بان يفعل مثلك وخصوصا سيدى صاح  
يعدحنى باعلى صوته قائلا يا حاجى لقد صرت مثل ابنى فاقسم لك بحياتى ورأس  
والدى انك فعلت أفعال الشجعان الا بطل وسأزوجك باحدى جوارى  
وتعيش معنا وننصب لك خيمة خصوصية ونعطيك عشرين رأسا من الغنم  
ونعمل لك الافراح والليالى الملاح بعد ان أدعوفهم باعموم المعسكر فلما  
سمعت هذا الكلام لم أعبأ به وصرقته فى غميق الافكار لان من عزمى  
الهروب فى أول فرصة أتمكن منها بل كان مطمح انطارى فى هذا الوقت  
وغاية التفانى هو فى تقسيم الغنمة لا نظرم ما ينوبنى حيث تأملت ان ينالنى  
نصيب عظيم منها

ولكن من سوء بختى ومن ضمن مصائبى الكبرى لم يصيبنى منها شئ ومكنت  
بدون طائل أتوقع عليهم وأترجاهم المرار فى اعطائى نصيبى فما كانوا  
يسمعون منى شيئا وما أسمع منهم الا قوالهم لى أخيرا (يا حاجى بابا ذا كنت  
تتلهظ بكلامه مرة أخرى نازل رأسك عن جسمك) فالتزمت السكوت خوفا  
على فقد حياتى وسلبت نفسى بالجنسين ديارا تعلقى ونسكنت امرى وقلت  
فى سرى يا ولدا صبر لعل الله يأتيك بالفرج القريب

هداما كان من امرى وأما الاشقياء فكثروا يتنازعون ويتشاجرون على  
نوائبهم التى كادت أن تكون عاقبة منها هاسفل دماء بعضهم بعضا لولا ان



رجلا منهم قال انه موجود من ضمن الاسراء قاض فلتخضره ليقض بيننا  
ويقسم علينا ذلك بوجه العدل والاولم للشماجرة فهو القاض بل بيننا  
فأحضر والقاضى المسكين بينهم وأجلسوه في وسطهم وصار يوزع السرقة  
لكل واحد ما يخصه بوجه العدل وكان من ضمنها دراهمه وأمتعته التي  
سلبوها منه وبعد ان فرغ من القسمة قام بدون أن يعطوه محصول القسمة  
عن كل مائة ما تستحقه كما هي العادة الجارية عند القضاة بل عاد للاسر كما  
كان في أول الامر وهو يموت على نفسه بقول القائل

لا تضيقن بالامور فقد تكسفت غماؤها بغیر احتیال  
وبما تكبره النفوس من الامة شر له فرجة كحل العقال

### ﴿الفصل السابع﴾

﴿في الكلام على ما أظهره الحاج بابا بما ألم به من المشقات

وتاريخ الشيخ عسکر الشاعر﴾

ولما انتهت مسألة القسمة ارتد دناراجين من الطريق الذي حضر نامنه  
ولكن كانت التجربة بطيئة الحركة ليست كالاول بالنسبة للاسراء فانهم  
كانوا تارة يسرون على الاقدام واخرى يركبون  
وقد سلطت نفسي أول وقوع نظري على الشاعر من هيئته الظاهرية بما  
انكب عليه من المصائب ولكوني كنت أترى في بعض الامور خيلا لي  
المحال وتصورت في فكري اني سأكون سببا في نجاة هذا الرجل العظيم  
من الضيق بما أجريه من التحيلات على اني لا اظهر أدنى ميل لجهته  
فاجتهدت في هذا المشروع ونجحت في تعيني محافضا عليه بدعوى اني  
أجبره على انشاء بعض أبيات شعرية وبالنسبة لكوننا كما نتحدث مع  
بعضنا بلغتنا التي لا يعرفها أحد من العصابة فكانت كلم بما يزيد بكل حرية

## ولا خوف

فشرحت له حالتي وما جرى لي مع الاشقياء من أول الامر الى الانتهاء وأريته  
اني عازم على الهروب منهم وحققته اني سأبذل جهدي فيما يعود عليه  
بالفائدة على قدر امكاني فلما سمع كلامي وصدق مقالتي ظهر علي وجهه في  
الحال علامات السرور وقابلني بلسان شكور حيثما كان ينتظر منهم الا  
سوء معاملته ولعله ما حصل بيننا من الصداقة والمحبة لم يتأخر عن اخباري  
بما جرى له وباحواله وكيفية حياته وبذلك تحقق لي ما كنت أتوهمه من انه رجل  
من ذوي الثروة والمعارف عندما أخبرني انه شاعر الديوان الملوكي ومتشرف  
برتبة (أمير الشعراء) وانه كان حاضرا من طريق شيراز (حيث أرسله  
الشاه في بعض أشغال هناك) الى طهران وفي نفس اليوم الذي وصل فيه  
الى أصبهان لم يتم الا بوقوعه في أيدي الترك كما ان هذا وبعد ان سردت له  
ما حصل لي من المخاطرات وما قاسيته من الاهوال والمشقات فلما كان  
نظلي على مصائبنا في الصحراء القفر سألته أن يشرح لي حاله من مبتداه  
الى منتهاه فاجابني عن سؤالي وقال ما يأتي

(قال الشاعر) لقد ولدت في مدينة (كرمان) واعمى عسكري ومكث والدي  
زمنًا طويلا كما على هذه المدينة في زمن حكم الالفاحمد شاه وفي اثناء  
ولايته دسوا الدسائس ضده وقامت أعداؤه على ساق وقدم وهاجوا  
وماجوا في القاء الفتن القبيحة بقصد خلعهم من محاطة المدينة فانتصر عليهم  
بمعونة الله وفاز بالطفر على أعدائه ولم ينالوا الا الخيبة والوبال

وكانت عيناه أكثر تعرضا للخطر ولكن لما كان عليه من العدل والاستقامة  
قد حفظهما الله سبحانه وتعالى ومن حسن بعده توفي بدون تعب على فراشه  
في حكم الشاه الحالي فسمع لي بوراثته مستروكا بالبالغ قدرها عشرة آلاف  
تومان وكنت في صغري مشهورا بالالتفات لدروسي حتى انه قبل بلوغى سن



الست عشرة سنة شاع أمرى وانتشر ذكرى بحسن خطى وقد حفظت  
 كتاب الحافظ بأكمله على ظهر قلمي واجتهدت من تلقاء نفسى فى فن الشعر  
 وانشاء القصائد اللطيفة وقد قيل عنى بانى أحسن الجفر وأفضل صواب  
 المشكلات وكنت من نفسى لا أجحد مسألة الا وأبحث فيها ولا علما الا  
 وأغوص بحارها وقد أنشأت القصائد والايات الغزلية فى العاشقين  
 الشهيرين لبلى والمجنون ولم أسمع يوما صياح البلبلى الا وعرضت شكواه  
 للوردواينما أذهب لا تأخر عن انشاء الاشعار والتغنى بها فى المحافل وقد  
 تصادف ذات مرة ان الملك فى ذلك الوقت تجهز لمحاربة صادق خان اذ كان  
 يدعى انه يستحق سرير الملك وكان الملك قادا للجيش بنفسه واستمر محاربه  
 حتى هزمه وانتصر عليه فلما بلغنى نصرته عملت قصيدة مدحت بها الملك  
 ومن ضمن ماقلته فى وصف الحرب أن جعلت رستم (وهو اله الحرب) واقفا  
 فوق ساحة القتال مظلالا بالغمام فلما رأى رستم الملك متوسطا فى المعركة  
 يقوى الابطال ويحوم كالاسد الريال وبالاخطار غيره بال صاحب مخاطبا  
 لنفسه ان غيابة فى هذا الزمان هو تمام خطى لاني لو تواجدت على الارض  
 ما سلمت من طعنات هذا الملك المفضل الذى آراه قد فاق عنى فى الحرب  
 والبرال

(قال الشاعر) وقد نلت أيضا الشكر الزائد عند ما قلت ان صادق خان  
 وعساكره ما كان يلزمهم التقلب والعصيان ضد ملكنا فجع ما حاق بهم من  
 التزلزل والوبال والهوان وحرانكال فقد أطاح الملك منهم الرؤس وسفاهم  
 من الموت أمر الكؤوس وعندها أومأت يدي على عمود أمر جلالتة باقامته  
 من جاجم الاعداء فلما بلغ الملك كلامى وعجيب تشبهاتى وحسن نظامى انسر  
 خاطره وغمرنى بالانعام وأحسن على بأعظم شرف يناله الشاعر اذ أمر أن  
 يحشى فى بالذهب أمام جميع معيته فى المجلس العالى وكان ذلك سببا فى

تقدمي ونجاحي وأمر بتعييني ضمن معية جلالتيه لإنشاء الاشعار عند  
الفضاء فقد تمت له هذه المدحة شكر الماتاله من الشجاعة ونصرته على  
صادق خان

عجب الفارس فرسنا و ثباته \* تسترزل الاجبال من وثباته  
في كفه ربح اذا ما هزها \* خلع القلوب وتلك من روحاته  
والقرن يحلف ان فاه لعظمه \* فارفاين يكون من لهـ سواته  
يعاو كيتالو تجاريه الصبا \* شهدت بان البرق من خطواته  
فتح المعقل والحصون مدلالا \* ملكا تظاهروا في ثياب عداته  
يدعي بصادق خان فهو مضلل \* نهج الرشاد يسير في جهلاته  
لا زال يفتك جاهدا في جيشه \* حتى نبي الاعلام من هاماته  
ملائك يجود لمعتفيه بالندي \* فتخال ان البحر بعض هباته  
لا زال معتليا على أعدائه \* بالنصر والاسعاد في غزواته  
متمتع في ما يملكه متحصنا \* يجني اللطائف من ربا جناته  
ثم ولا تظهر ما انا عليه من الغيرة والاجتهاد اعرضت للملك ان الفيردوزي  
الشهير الشاعر المتقدم امر بان يحرق شاهنامه للشاه الذي كان في مسدته  
وحيث ان مولانا الملك احسن ملوك الفرس الذين غلبوا على الجهم سابقا  
فاذا تحسن لدى مولاي بما آتى عنده شاعر يا امر في تحرير شاهنشاهنامه  
(تاريخ ملك الملوك) لا تنتشر شهرة عدله واحكامه في جميع المملكة فلما سمع  
الملك مني ذلك سر مرو را زاندا و امر في تحريرها بكل ممنونية  
وكان يريد احدا عدائي الذين في المجلس العالي وهو الخزانة والاعظم ان  
يحدث علي ضريبة اثني عشر ألف تومان بدعوى ان الملك أصدر ارادته  
في ذلك مع عدم علم جلالتيه بهذه الارادة لدفع ما ضرب علي من الغرامة  
فحدث يوما من الايام اجتماع محفل عظيم وكان الناس يتسداكرون فيه



عما حصل من اكرام محمود شاه الغرناوى الى الفيردوزى الشاعر ومعافاته  
 من الضريبة واحسانه عليه بمقال من الذهب عن ككل بيت شعر قاله فى  
 الشاهنامه فلما سمعت مقالتهم امتلأت فرحا حيث وجدت لى وجهها التكلم  
 فى هذا الشأن وكنت أود ان الملك يبلغه كلامى الذى ابتدئت به قائلا فى وسط  
 المحفل (ان معافاة جلالة ملكنا الحالى واحسانه مساويان لمحمود شاه لابل  
 ازيد وأعظم منه مما حاور ما واحسانا لان محمود شاه عافى الفيردوزى لانه  
 كان متوظفا بوظيفة أول شاعر فى بلاد العجم وأما أنا فبما أنا فيه من الفقر  
 والاحتياج والخضوع والمذلة التى أنا واقف بها الآن أمام جلالاته فقد  
 غمرنى مولاي بسابق انعاماته العديدة) فبهتت الجمعية لكلامي واشتباكت  
 للوقوف على ما تفضل به جلالاته على من الاحسانات ومنى كان ذلك  
 فاجبتهم ان أول أمر لما توفى والذى ترك لى ميراث عشرة آلاف تومان  
 فأذن لى الملك العادل بورااتهم مع امكان جلالاته حرمانى منها وأصبح هذا  
 المبلغ ملك يدي وصار عندى زيادة عليها من وقت تشريفي بخدمة الشاه  
 للآن اثنا عشر ألف تومان ورغبة الخزانة ارتفع ريعى اثني عشر ألف  
 تومان فيكون الباقي عندى ما ورثته وبذلك أسرم مما جعلته مدة خدمتي  
 مع ان الملك لم يأمر به هذه الضريبة ثم صحت باعلى صوتي داعيا للملك قائلا  
 أدام الله مولانا الملك طول المدى ولا ينقص ظله مرمدا وأن يحفه  
 بالنصر على العدا ويكفيه شر الحسود أبدا فبلغ جميع ما قلته من  
 الشكر والادعية بجانب جلالة الملك ولم يعض الا أيام قليلة حتى أحسن على  
 بخالصة الشرف السامى المحترمة على قباء من الديباج وشال لوضعه تحت  
 السديري وشال آخر لغطية رأسي وكأ كولة من الحرير مبطنة بالفرو الثمين  
 وبعد ذلك أنعم على جلالاته برتبة أمير الشعراء وسلطنى القومان العالى فاخذته  
 ووضعته على رأسي ثلاثة أيام على حسب العادة الجارية

وأنا أستقبل المهشين من أصحابي بغاية السرور وانشرح الصدر وروقان ذهني زيادة عما كنت عليه في أول الامر

ثم أنشأت قصيدة مواقفة للمرام بل أزيد وذكرت فيها ما نالني من الانعام والالتفات الملوكي وأثبتت فيها على الملك ~~ككل~~ كل الشناء على ما أولاني به من احساناته الغزيرة التي كانت للخزندار انتقاما عظيما لسوء معاملته اياي حتى اتيت بذلت في ذمه القريحة ووضعف فيها الالفاظ المبهجة الغير مريحة التي لا يمكنه أن يفهمها لما فيها من صعاب المفردات وعجائب التنويها والتركيبات وأدخلت فيها ألفاظا عربية أوجبت عليه تعذوق قراءتها بالكسبية لاحتوائها على الازدراء بمقامه والتفديد عليه بكل احتقار لاني أغلقت المعنى وجعلتها مبهمة المبني وبذا لم يتيسر لاحد أن يشرحها أو يرمي لها على باب يدخل منه اليها حتى كشفت بنفسى عنها الاسستار وأصبحت كالشمس في رابعة النهار

ولم أقصر على فن الشعر بل لي معرفة بعلم الماكينات وقدمت جملة من غريب اختراعاتي في المجلس الملوكي موجودة الآن وقد اخترعت آلة تتحرك على الدوام ولا يلزمها الا بعض آلات صغيرة لدورانها الى الابد وصنعت ورقا مختلف الالوان واخترعت دواة جديدة عجيبه الشكل وكنت شارعا في تفصيل الملبوسات لولا ان جلالة الملك منعني وقال لي يا عسكرا كتف بشعرك فاذا لزم لي ملبوسات تجلبها تجاري من أوروبا فاجبته بالسمع والطاعة

ومن العادة الجارية ان عند حلول رأس كل سنة يأتي كل فرد من أتباع الملك بهدية الى جلالاته على قدر امكانه فلما كان ذلك اليوم عملت على حسب العادة الجارية منسكا شاللا سنان وجعلت معه بعض اشعار ووضعته في علبة لطيفة وقدمته له فلما نظرت كبار الدبوان وكل من كان موجودا في مجلس هذا اليوم المبارك تعجبوا من حسن صناعته



وأمرهم الملك بتقيد في مكافأة لا تعابي ومن جملة ما قلته هذه الايات  
 مذاشبه البحر مليك لنا \* وشارب المومجات الجبان  
 غرثناياه ومن فوقها \* الله المرجان درحسان  
 أهديته المنكاش لما بدا \* شبيهه غواص ببحر الجمان  
 فلما سمع الحاضرون هذا التشبيه أعجبهم وشكروني كل واحد منهم وحياتي  
 على تصويري النير وبلغني ان الفيردوزي لا يذكرك بالنسبة لدرجتي وانه يعد  
 جاهلا محضاً بجاني وكان ذلك واسطة لتمتعي بافضال جلالاته العظيمة حتى انه  
 من حبه لي وميله الشديد نحو ازدياد ثروتي وشرفي عيني لجل خلعة الشرف  
 المعتاد ارساله اسكنوا يا نجله أمير اقليم فارس فلما توجهت الى شيراز قابلني  
 أهلها بغاية الاكرام والاحترام وتساقت علي الهدايا المثمينة من كل جانب  
 فاضفتها على ما معي من الهدايا الاخرى التي أتت تحفت بها في بعض البلدان  
 أثناء الطريق ووجدتها تساوي مبلغاً عظيماً ففجأتني حادثة أمس  
 وأحرمتني من هذا كله وها قد سرق مني جميع أمتعتي وأصبحت لا أملك  
 شيئاً كما زاني وصرت أفقر وأذل واحسد في الدنيا فان لم تجتمه سديا حاجي بابا  
 وتدبر في طريقة لهروبي وخلاصي فاني أخاف على نفسي أن أموت أسيراً  
 لانه وان كان الملك أحب ما عليه خلاصتي لكن لا أظن انه يقدرني لكراهة  
 الخزندار الى حيث نسبته للجهل أمام الصدر الاعظم وأريته انه مع فطانتها  
 هذه لا يعرف يدبر ساعة ولا يعرف كيفية صنعها ولذا أخشى انه لا يبايني  
 بفقدى والdraهم التي كنت أفدى نفسي بها أخذتها الاشقياء ومن أين  
 يتأتى لي الحصول حينئذ على مبلغ مثل هذا ولكن قضى الله على بالوقوع في  
 هذه المصيبة الكبرى والهالك المبين فيلزمني الصبر على القضاء والقدر  
 واني لا أعارض ما خط بالقلم انما غاية رجائي منك جهدك في خلاصتي وما دمت  
 انك من المسلمين السكارهين لعمرو والمحبين للامام علي كرم الله وجهه فانا

مستغيث بل ومستجير أن تساعدني في نجاتي وتفرج كربى ليكون لك  
الفضل والثناء ومن الله أحسن جزاء

### ﴿الفصل الثامن﴾

﴿في هروب الحاج بابا من أيدي التركمان ومعنى

الوقوع من التجربة الى النار﴾

﴿قال الحاج بابا﴾ ولما انتهى الشاعر من تاريخه أكد له انى سأعمل كل  
الطرق والتجليات وأبذل الجهد الجهد في مساعدته للنجاة وأوصيته بالصبر  
والثبات بما أبى لحد الآن لم يمكن التحيل بالحصول على اطلاق حرتى معهم  
وأريته ما أقاسيه من تحملى المشاق اذا سمعيت فى خلاصه ولو حصل ذلك  
بالفعل لكان مستحيلا لتبقي أوليا لنا مادنا سائرين فى مثل هذه الصحراء  
الواسعة المنكشفة من جميع جهات اسمى وان خير لهم تعادل حصانى فى  
السير وهم خيرون بالارض عى ولهذا الاسباب كنت أعد هروبا من قبيل  
الجنون اذا الواجب علينا التبصر فى انتهاز الوقت الذى تمكن فيه من الفرار  
وفى أثناء هذا الحديث وصلنا لحدود الصحراء المسالمة واقتربنا للمرور على  
الطريق الطولى المؤدى من طهران الى مشهد وقبل أن نصل (الى ديجان)  
بنحو عشرين فرسخا أمرنا أصلا نسلطان بالاستراحة مقدار يوم واختفائنا  
فى جهة منخطة على حدود هذا الطريق بدون أن يرانا أحد وقال لعل أن  
يكون لنا نصيب وتسعنا أيدي السعادة بمرور قافلة كما هو عزمه ان بمجرد  
مرور أحد القوافل يغير عليها وينهبها

وفى صبيحة اليوم الثانى أتى الجاسوس الذى كان منتظرا فوق نسل بجوارنا  
مسرعا وأخبرانه نظر غبارا كالغمام يهب من جهة ديجان ويضرب نحونا فى  
الطريق المؤدى الى مدينة مشهد فلما سمعنا ذلك استعدنا فى الحال وتركنا



التركان الاسراء مقبدي الايدي والارجل في الجهة التي استرخنا فيها  
وعزموا أن يرجعوا و يأخذوهم ثانيا بعد شن الغارة على تلك القافلة وسلب  
ما فيها فسرنا نحوها بكل احترام من قاصدين سفك الدماء والنهب وتقديم  
أصلان سلطان في مقدمة العصابة بقصد الاستكشاف ودعاني اليه وقال لي  
يا حاجي هاهي الفرصة التي بها تمتاز عن الغير وانك ستصاحبني لاريك  
الاحتياطات التي علمتها سابقا لجميع العصابة وضروري لك معرفتها جيدا  
سيتمكنك أن تسلك في مثل هذا المشروع بمفردك في فرصة مستقبلية  
غير هذه وقد أخذتلك أيضا معي في حالة ما أحتاج لترجمان بيني وبين  
الاسراء لندرة وجود أحد في هذه القوافل يتكلم بلغتنا وياقترأنا إليها  
تساوي مع الدليل ونسأله عن حالة القافلة فان لم يمكنا الاتحاد معه فتهجم  
عليها جميعا مرة واحدة

هذا ولما اقتربت نحونا السباحون انكشف لي ان حالة أصلان سلطان  
تغيرت وامتزج بالغضب وقال يا خوفي فان هذه ليست بقافلة لاني أرى من  
فيها يسيرون صفوفًا منتظمة ولا أسمع صوت الاجراس كعادة القوافل  
وأرى الغبار منضما ببعضه في مكان واحد وهاهي حراهم ظاهرة وان  
هذا هو البلاء المبين وها هو أمامهم خمسة خيالة في المقدمة وما هم الا فرقة  
سوارى ليست قريبة فلا حاجة اليها

وفي الواقع بمجرد اقترابها منا وتحققها جيدا لم نجد لها قافلة بل اتضح انه رجل  
من كبار الحكام سباح مثل محافظ اقليم على الاقل وحوله معية من خيالة  
وخدم وحواشي وفي موكب عظيم يلوح عليه الهيبة والافتخار بحسب  
الاحوال والظروف فعندما رأيت ذلك طرت فرحامة قد انما فرصة عظيمة  
للهروب ولكن لو كنت أتمكن من التوجه جهنم بدون ان يشك سيدي من  
جهتي بشئ ولو يأخذوني أسير افوقها أطمئن على نفسي وان أهانوني فلما ان

قررأي على تدبير هذه الخديعة ولكي أحقق ما حسبته فبناء عليه قلت  
لصاحبي لتتقدم قليلا جهتهم ووكزت حصاني للامام بدون اذنه في الحال  
تبعني لكي يوقفني ولكن بعد ان قطعنا مسافة الارض الصغيرة المرتفعة  
التي تجاه الجهة الراسين فيها كشفنا الركب وكنا على بعد مية قوس أو أقل  
فلما نظرونا خرج منهم طليعة مركبة من خمسة أو ستة سوارى من  
أحسن الخيالة الموجودة وأسرعوا الرماحة قاصدين جهتنا فلفقتنا عنان  
خيلائنا وكنا نطير في الهواء وكان على قدر ما يمكن أصلا نسلطان من سرعة  
السير كنت أنا بالضد في إبطاء الحركة حتى بهذه الخيلة هجموا على وضبطوني  
وجردوني من حصاني وسلاحى وأموامى وسلبوا منى الخمسين ديناراً  
وجميع أدواتى في أقل من لمح البصر ومع ما كنت أقول لهم انى كنت قاصدا  
الحضور اليكم برضاى فما كانوا يلتفتون لاقوالى بل أخرجوا طيلسانى من  
تحت الثياب وربطوا يدى من خلف وصاروا يوكزونى بالحرايب ويذكرونى  
كلما أنا فى المسير وأنا أستغيث فلا أعاث من شدة الالم حتى قاربت العدم  
فقلت لا حول ولا قوة الا بالله قد أوقعت نفسى بنفسى فى البلاء

المستجير بعمر وعند كربته \* كالمستجير من الرمضاء بالنار

وما زالوا يجرونى حتى أحضرونى لرئيسهم وأوقفونى أمامه واحتاطت بى  
أتباعه وكنت أرى من الخيالة التى تبديها حاشيته من الميل الشديد نحوه  
والخضوع والطاعة انه لا بد وان يكون هذا من عائلة ملوكية وأكدت ذلك  
لمناسبة اللكمات والضربات التى تراكت على جسمى ورأى منهم يريدون  
بذلك القاء نفسى على الارض وانتهأ أمام هذا الأمير الشاهزاده والناس  
حولى من كل جانب فامر بالافراج عنى وبمجرد ما شعرت بحلى واطلاق سبيلى  
من الوثاق رميت نفسى وقبضت على ذيل جبته وهو على ظهر حصانه  
وصحمت قائلاً (پناى شاهزاده) يعنى أنا فى حماية الأمير ومستجير به فانى



فحوى أحد أتباعه وأراد قصاصي على هذه الجراءة فنهه الأمير لعدم خرق  
 العادة ووعدهني بالحماية والاطمئنان وبعد أن أمر خدمه أن لا يمسوني  
 بسوء طلب مني أن أقص عليه حكايتي وسبب حضوري ووقوفي أمامه بهذه  
 الصفة تفررت ساجدا على ركبتي وقبلت الأرض وشرحت له قصتي جميعها  
 بغاية الإيجاز على قدر امكاني ولا ثبات ماقلته سألته انه يمكن سعادته ارسال  
 خيالة للهجوم على حزب التركمان الذين مازالوا بالقرب منا وتخليص شاعر  
 الملك وشخصين من الاطاحم أسراء تحت أيديهم وبذا يمكنهم اثبات ما أبدته  
 بالحقيقة لسعادتكم فما أتممت كلامي الا والفرسان الذين كانوا خرجوا في  
 أثر أصلان سلطان عادوا بالذل والانكسار وهم يقسمون بالامام على ورأس  
 الملك ان حزب اعظميا من التركمان يبلغ مائة الف على الأقل ألف نفر اقوياء  
 متجهزون للعمل علينا ويلزم الامير الاستعداد لمحاربتهم

فلما سمعت كلامهم طار عقلي وبدون طائل كروت عليهم مرارا أنهم  
 لا يريدون عن العشرين نفر اطلاق صدقي أحد منهم بل عاملون في معاملة  
 الجاسوس والكذاب وقالوا لي اذا اجل علينا التركمان فلا بد من قتال في  
 هذا المكان وتوجهت طليعة منهم مسافة كبيرة للاستكشاف في جميع  
 الجهات عن العدو المنتظروهم يعالجون علامات الخوف التي تمكنت في  
 قلوبهم بما اشتهر به اسم التركمان من القوة والشجاعة في عموم داخلية العجم  
 أسود كفاح بأسمهم في رماحهم \* كسم الافاعي في أناييها يجري

وقد أمروني بالركوب على بغلة محملة عفشاً نظراً لسلب حصاني وخلا لي  
 الوقت بالتفكير والتأمل في عيشي المنكود وغمي المكمود ومقاصدي  
 التعيسة وأصبحت صفر اليدين لا بارة في كبسي ولا صديق يرثي لحالي ولم أر  
 أمي شياً خلا في الجوع المهلك وليكوي لم أصل للآن لدرجة المسلمين  
 الصالحين حتى كان يمكنني تسلية نفسي على القضاء والقدر والصبر على

المصائب فكنت أتمد تهنيدات عالية من جنوني الذي كان سببا جبريا  
 لشقاوتي وذلي الآن وميل الكلي لاهلي ووطني تحكم بشدة على صدرى  
 حال أسرى عند التركان حتى وقعت في هذا المكان ومن شدة كربى وما حل  
 بى صحت عليهم بصوت عال العنهم قائلا لمن حولى كيف تدعون أنكم  
 مسلمون وليس فيكم حاسبة الكلاب يا خسرة وما أدراكم ما الكلاب فانكم  
 أقل درجة من كلاب النصارى يا عدى الشفقة لانكم أنتم والتر كان  
 درجة واحدة

فلما لم أجده لى هذا تأثرا ولا يزيدهم الا ضحكا واسهزا بهى رأيت أن  
 أستعمل معهم اللين فى الكلام وأترجاهم فى الرقوبى فافسحت عليهم وقلت  
 بحق الامام الحسين وبحق النبى عليه السلام وبجياة اولادكم لما ذالم ترقوا  
 وترققوا بحال الغريب وتعاملوه بالعنف ألم أكن مسلما مثلكم وعلى دينكم  
 وما الذى حصل منى حتى يوجبنى أن تحمل هذا الحزن الشديد وقد التجأت  
 اليكم وأخذتكم أصحابا فكم همونى ودستونى تحت الاقدام وأسأتونى  
 اساءة العدو شعر

يارب ان عظمت ذنوبى كثرة \* فلقد علمت بان عفوك أعظم  
 ان كان لا يرجوك الا محسن \* فمن الذى يدعو ويرجو المجرم  
 أدعوك ربى كما أمرت تصرعا \* فاذا رددت يدي فمن ذا يرحم  
 مالى اليك وسيلة الا الرجا \* وجبيل عفوك ثم انى مسلم  
 فلم يرق لشكواى ولا يسلبنى على مصائبى أحد الا شيخ مكارى طاعن فى  
 السن اسمه على قاتر أولع شيشته وناولها لى لا تدخن وقال لى يا ولدى كل أمر  
 فى هذه الدنيا من الله سبحانه وتعالى ثم أشار بيده الى بخلته وقال اذا كان  
 الله خلق هذا الحيوان أبيض فهل يمكنى أجعله أسود وها هو يوم يأكل  
 الحبوب وآخر عى الحسك فهل لنا قدرة على مقاومة القضاء حاشا لا والله



فأشرب شيشة الآ ن و روق فسكرت وأبسط نفسي واشكر الله على  
مصيبتك هذه فلربما كنت تقع في أردأ منها فقد قال الحافظ في كتابه (كل  
لحظة تمر عليك بالسرور وتتمتع فيها باللذة فعدّها من المكسب لأن الإنسان  
يعجز عن معرفة الأحوال المستقبلية من فرح وحزن) فهون على المكاري  
حالي وسهل كربي ولما وجدتني متفقهافي كتاب الحافظ ونخيرا بما فيه من  
المواعظ وعلم مني عدم الاحتياج لبذل النصائح عاملني باللفظ والشفقة  
وأشركني في طعامه المسافة الباقية من السفر وأخبرني أن الأمير  
الذي وقعت في يده هو خامس ولد الشاه الذي تولى أحيرا على محاطة إقليم  
خراسان والآ ن متوجه إلى مدينة مشهد حيث فيها مركز ادارته والموكب  
الذي هو محاط به زائد عن العادة خشية من حالة حدود التركان المفزعة  
وقيل أنه صدر له الأوامر بالشروع في المناوشات العنيفة مع هؤلاء القوم وفي  
عزمه إرسال عدة من رؤسهم إلى مدينة طهران لرفعها أمام بوابة السراية  
الملوكية عبرة لغيرهم فيجب عليك أن تحمد الله سبحانه وتعالى وتعد نفسك  
سعيدا لعدم عزل رأسك عن كتفك ولو كانوا وجدوك جميل الصورة ضيق  
العينين قليل الشعر بدلا عن حالتك المخيفة التي أنت بها الآن لا عدموك  
الحياة وأعدوا رأسك من ضمن رؤس التركان

ثم لما وصلنا إلى الاستراحة ليلا في خان نصفه متخرب ككاش على حدود  
الحكراء عزمنا أن اجتهد في الحصول على رخصة لدخول عند الأمير واسعي  
في استرداد الخمسين ديناراً تعلق وحصاني وأسلحتي التي لا أخشى ولا أشك  
في دعواي بأنهما ملكي فحدثتني نفسي وتكلمت بصوت خفي وقلت إن  
الرجل الذي سابه الله الحق فيها زيادة عما استحق وعلى ذلك انتهزت الفرصة  
ودخلت أمامه وكان ذلك قبل صلاة المغرب فوجدته جالسا على مصطبة  
اللمان وتحتة سجادة وضطجع على وسادة بقصد الراحة وقبل أن يلحقني

الحراس ويضربوني صحت بصوت عال قائلاً (عرضي دارم) أعني التمس  
عرض مسألة فعلى ذلك أمرني بالتقرب جهته وطلب مني عرض ما أريده  
فقبلت الأرض بين يديه وقلت أدام الله مولانا الأمير الذي عم البلاد عدله  
الشهير ثم شرحت له حالي واشتكيت له من سوء معاملة التي عاملني بها  
اتباعه الذين قبضوا عليّ أولاً وحكيت له مسألة سلب الخمسين ديناراً ثم  
ترجيته في إعادة حصاني وأسلمتني بالشأن فسأل من حوله عن أسماء الرجال  
الذين تشكيت منهم وأمر رئيس الركب بإحضارهم فقال ما رأيتمهم وكانوا  
شخصين عرفتهما واكدت للأمير أنهما الشخصان بعينهما فصاح عليهما  
الأمير وقال لهما يا أولاد الكلاب أين الدراهم التي سرقتموها من هذا الرجل  
فامرعا منكرين عسدم أخذهما شيئاً فغضب الأمير ونادى بالفرشين وأمر  
الضابط بضربهما على كعوف أرجلهما حتى يقررا بالخمسين ديناراً فلما  
طرحوهما أرضاً وعلقوا أرجلهما في الهواء وربطوهما جيداً في  
العقدة وضربوهما لكما اعترفا بالدراهم وأخرجاهما وسلمت بوقتها للأمير  
فأخذها وعدّها بالثاني ووضعها تحت الوسادة المضطجع عليها وخلص  
السارقين وقال لي بصوت عال انطلق لحال سيديك فوقفت فأتخاف في مؤملاً  
أنه يناولي الدراهم فلما رأيته السر تشريفاتي على هذه الحالة مسكناً كافي  
وأخرجني فصكت (ودراهمي أين هي) فقال الأمير ماذا يقول هذا الرجل إذا  
تكلم ثانياً فأضربه بالنعل فقلع السر تشريفاتي نعله الآخر من رجله  
وضربني على فخمي بنعله المحدد وقال أتسكلم مع ابن الملك بهذه الألفاظ ألم  
تستحي فإذهب بسلام واقطع عيناك والاقطع أذنك وعلى هذا جروني  
وشددوني بحالة العنف وطرّدوني لخارج فرجعت لصاحبي المكارى وقد  
قطعت اليأس من التسكلم فتعجب مما حصل من الإهانة وقال لي ما الذي  
تنتظره يا ولدي بعد هذا كله أما كفاك أليس هو الأمير ألم تعلم إذا كان



مثله أو انسان خلافة ذوقه وعزم ويمتلك شيئاً آتظن انه يردده لاصحابه  
فاذا كانت احدى البغال تأخذ قبضة من الحشيش الاخضر يفمها وبعد  
ادخالها فى الداخل يمكن اخراجها بالثانى فمثلها مثل الامير الذى يضرب  
صفحا على الدراهم التى عنده فاستعوض الله فيها ولا تعاند من اذا قال فعل  
وما أحسن ما قاله أبو التماس

باسائل الله فزت بالظفر \* وبالنوال الهنى لا الكدر  
فارغب الى الله لا الى بشر \* منتقل فى البلى وفى الغير  
ان الذى لا يخيب سائله \* جوهره غدير جوهر البشر  
يا قلب مهلا وكن على حذر \* فقد لعمري أمرت بالخطر

### ﴿الفصل التاسع﴾

(فى احترام الحاج بابا بالسقاية باسباب ما حصل له من الضيق والنكابة)  
فلما وصلنا الى مدينة مشهد دخلها الامير فى احتفال كبير وسار بموكب حافل  
والعساكر مصطفة على الجانبين والعصوم يتلأأ على وجوههم البشر  
والفرح بالاحترام الزائد وهو محاط بالجلم الغفير حتى وصل لمقره معززاً مكرماً  
وأما أنا فصرت فريداً وحيداً فى مدينة غريبة بعيداً عن الوطن محروماً من  
الحل والحدث لا أنيس يؤانسنى ولا آدمى يساعدننى ولا زوج أمواس  
يسلبنى

ولما تفقدت مامعى من الامتعة وبجئت فيها وجدت خمسة تومان ذهباً  
كنت سرقته من الكيس الذى سلبته من الخان حال وجودى مع التركان  
وأخفيت بها بين بطانه قاووقى ووجدت أيضاً جبة صوف سمراء وقباء من جلد  
الغنم وقبصاوس والبن ومداسا ثقيلاً ولما كنت برفقة المكارى كنت  
أقبات من جانبته من مرتبه الذى كان يأخذه يومياً أثناء سياحته بعيسى

الأمير ولكن لما استغنى عنه الحال وعن بغاله لم أتعشم بانه يعولني فتفكرت  
 بان أعود لسابق حرفتي الأصلية وهي الحلاقة ولكن قلت في نفسي  
 من الذي يأمن على عنقه مني مادمت معدودا من جواسيس التركان وغير  
 ذلك رأيت انه يلزمي شراء عدة أمواس ودراهمي وأمتعتي لانكفي  
 لفتح دكان **ك** كاملة الادوات مع عدم عزمي على السياحة فطري بالي  
 ما أوصاني به صاحبي المكارى العارف بأحوال وكيفيات مدينة مشهد من  
 اتخاذى حرفة السقاية وقال لي يا بني أنت شاب قوى البنية حسن الصوت  
 ويمكنك استجلاب قلوب الناس اليك بصيحتك المطربة وندائك الموزون سيما  
 وانك خير بنغمات الاصوات والتلق بالثبوت وطايقه العبارات وتركيب  
 الجمل ونثر المقالات التي تجذب العقول وتصلح بها على الذقون سيما ان  
 الطجاج الذين يأتون الى مشهد لتأدية فروض الحج عند قبر الامام كثيرون  
 والصدقات هي من الواجبات اللازمة عندهم لنجاة انفسهم من العذاب  
 الاخرى فلذا يتصدقون على من يدهو لهم ينيل الاجر والثواب العظيم  
 وليكن يبعث وسقايتك في الماء باسم ومحبة محبوبنا وسيدنا الامام الاعظم ولا  
 تطلب دراهم بل اسق الناس مجانا وتيقن ان الدراهم بذلك تعطى في  
 كفل قبل انسكاب الماء وبعد أن يشرب زبونك قل له بصوت قوى عظيم  
 (جعل الله شربتك بالهناء والسرور ممزوجة بالاحسان والغفران على عمر  
 الدهور وجعل سيدنا الحسين شفيعا لك ولا أذاقك الله عطش امامك  
 الحسين) وهكذا تقول ما يماثل هذه الالفاظ بنغمات عالية وانشادات مطربة  
 حتى يسمعك كل انسان وبالاختصار فانك تخاطب أيضا المتعبدين الذين  
 يأتون من مسافات بعيدة ويقطعون مئات من الفراسخ للتضرع  
 والادعية بقضاء حوائجهم وتصادق لهم على قبول ادعيتهم فانهم  
 يصدقونك ويعتقدون فيما تقوله لاني كنت سقايا في مشهد وتمرت جيدا



في هذه التجارة واكتسبت منها مبالغ وافرة حتى أمكنتني شراء جملة بغال  
وأصحت منها رجلا كثراني

(قال الحاج بابا) فاتبعت نصيحة صاحبي وأبرزت البقود لشراء قرية بجلد  
بمنقصة خماس لملها على ظهري وأيضاً طاسيتين لماعتين للشرب ولما  
اشتريت القرية ملأتها بالماء ونقعتها أزمنة لزالة الرائحة الجلدة الكريهة ثم  
ملأتها نايسا وحملتها وتوجهت الى مقام الامام وابتهدت في اشغالي  
والمناداة التي استجبتها هي (مياه مياه سبيل على مدد الامام سبيل  
يا عطشان سبيل) وكنت أنشد ذلك وأترنم به بكل قوتي حتى ينفطر قلبي  
وتنفخ الرثان وبالنسبة لكوني عمرت مدة يومين قبل ذلك بواسطة المكارى  
وعلمني الكيفية عدوت نفسي من أقدم السقائين المتسدرين في هذه  
الحرفة وإيكن بمجرد ظهوري أوجب التفات عموم السقائين نحوى  
ومؤلىسى عن السبب الذى خولنى الحق بالدخول فى تعاطى حرقهم ولما  
أظهرت نفسى عند الصهر يج لملء المياه كانت تشاجر معى السقاؤن حتى  
ان أحدهم اراد مرة الاجتهاد اطردي منه فلم يتمكن ولما رأوا انى ثابت  
العزم وقوتى قاومت فرقة من شجعانهم امتنعوا عني واقتصروا على لعنى  
سر التسلطى عليهم وبذا أصبحت القائد لهم وقطعوا ألسنتهم عنى خشية  
من بطشى

(نعم) وان كان فى نفس الامر أن الطبيعة هى التى سبت لى حرفة السقاية  
بلا اختيار ولكن من الاطاف الالهية انى طالما كنت أملاً قربتى ولو  
من صهر يج . مكروا نادى وأمجدوا فخيم فى وصفى للسماء فكان كل من  
يسمعنى يظن انها مجلوبة من بئر زمزم المقدسة أو ملئت من أحد الأنهر  
الممتدة من الجنة ولا يتصور بالعقل كيفية تصريفها بأمرع وسهولة  
ولا مقدار الدراهم التى أخذتها تطير السقاية مجانا

وكننت أترقب دوا ما حضور قوافل الحجاج الذين بمجرد وصولهم وقبل  
 نزولهم من فوق بغالهم وهم مغبرون من السفر وفرحون بوصولهم  
 بالسلامة ونجاتهم من أيدي التركان اجتهدان أسقيهم مياه عذبة  
 واذكرهم ان ذلك من الواجبات الدينية علينا بحال وصولهم لمدينة مشهد  
 واهنيهم بالسلامة حتى بذلك كانوا يغمرون بالاحسانات العجيبة بدون  
 تكلف وهم مسرورون بنجاتهم ووصولهم سالمين وكان يندر عدم التفاتهم  
 لارشاداتي ونصائحي اليهم

ثم ولما اقترب يوم نذكار مقتل سيدنا الحسين رضي الله عنه الذي يعتبرونه  
 في عموم العجم انه يوم مقدس وان اقامته من الشعائر الدينية عزمت بان  
 انظم نفسي ضمن السقائين في سلك الموكب الجارى اشهاره سنويا بهيئة  
 الواقعة التي حصلت في ذلك اليوم وهذا الموكب بما احتوى عليه من  
 تصوير الحادثة المشهورة التي قتل فيها الامام رضي الله عنه كان يمر من  
 امام الامير في ميدان المدينة فرجوت اكناسي الشهرة والمنفعة العظيمة  
 حيث أظهرت قوتي علنا للجمهور بان جلت قربة كبيرة جدا على ظهري  
 وبينت لهم ما أنا عليه من السعي والاجتهاد

وكان لي عذول اجتهد في تدبيره كيدة ضدي لما رآه من القبول الزائد  
 نحوي في العيد الماضي وأراد اقترامي ولكن بالنسبة لعظم قربتي وما فيها  
 من المباه التي لا يقدر على حملها أشد السقائين فلم يتمكن من التسلط عني  
 ولا أمكنه المنازعة في رئاستي وقد أخبرني من اتق به ان هذا الخصم مترقب  
 حركتها يتمكن من اضراي للغيرة المتلبسة به وأوصاني بالحذر منه فلما  
 كان اليوم المذكور وسار الموكب داخل المدينة والازدحام حافل جدا  
 وكان الامير جالسا في أودة على وجهة سلامك السراية وأنا عريان ولم يكن  
 على جسمي خلاف السديري والدم يجري من سيقاني وأنا ساثر على مهلي



بالنسبة لثقل قريتي الهائلة فلما وصلت للشبالة الجالس فيه الامير جذبت  
 التفاته نحو بصياحي المطرب ودعاني اليه بدوام العز والسعد والاقبال  
 فرمى لي قطعة من الذهب واظهر سروره مني نظرا لتأديته واجباتي وحسن  
 مساعي ومن فرحي بذلك ناديت بعض الاولاد الصغيرة الذين كانوا بالقرب  
 مني للركوب على ظهري فوق بعضهم وانا حامل القرية ففعلوا ذلك  
 وتعبت الناس وازدحموا حولي وهم يثنون علي ويشكرونني على اجتهادي  
 ثم ناديت علي ولد آخر فنادري الا وخصمي فترق الجوع ونظرا كباقة  
 زائدة يريد البطش بي وطرحني على الارض بحملتي وانه لاشئ ان هذا هو  
 الوقت الذي يتمكن فيه لاعاظني ولكنني قويت نفسي وشددت ظهري  
 على قدر طاقتي وقويت عزمي في رفع حملتي بين الجوع الذين كانوا ينشطوني  
 ويشجعوني والكل باهتون وينظرون لي وما شعرت بألم حال اظهار قوتي  
 في رفع هذا الحمل وحرارتي في بذل مجهودي ولما أزلت الحمل عن ظهري  
 وفريحت عن نفسي وجدت أن ظهري انقسم وحصل لي تعب شديد ورأيت  
 ان حالتي لما اعتراها من الضعف لا تقوى على مداومة حمل السقاية  
 ونويت ابطالها كلية وبعث قريتي وجميع أدواني حيث أصبحت في غيبة  
 عظيمة من الدراهم التي جمعتها من بيع المياه وعدت لما تاتي الاولى وقت  
 وصولي لمدينة مشهد الا أن صاحبي المكارى سافر مع قافلة الى طهران  
 قبل العيد بيومين ولذا حرمت من مشوراته ونصائحه وكنت عازما على  
 اعمال دعوة ضد خصمي وطالبه أمام القاضي ولكن رأيت ان الشريعة  
 الحميدة لا تجوز كسر ظهر بظهر فقط المكتوب العين بالعين والسن  
 بالسن ولم يذكر الظاهر بالظهور ولو كان لي محام يذب عني ويقهر خصمي  
 لاخذ بثاري وقد وجدت نفسي غريبا لا يعرفني أحد وليس لي من مساعد  
 ومهما فعلت لا آتال شيئا الا ضياع الدراهم التي اكتسبتها فتركته وسلمت

أمرى الله سبحانه وتعالى

الا ان هذا الدهر لا زال مولعا \* بحراخي فضيل فيثقله وقرا  
ولم يكفه حتى يسدد نحوه \* من الخطب سهم صائبا يقصم الظهرا

### ﴿الفصل العاشر﴾

﴿في تدبيرات الحاج بابا بالنفسه وصيرورته ببيع دخان

على قارعة الطريق﴾

ثم مكثت أشاور نفسي فيما أفعله في مستقبل معيشتي وقد انفتح امامي جملة  
أبواب مختلفة للمعيشة ورأيت ان أعظم طريقة أسلكها هو (سؤال الناس  
الصدقة) التي لها موقع حسن في مدينة مشهد وقد برهنت على ذلك من  
بيعي المياه وانه يمكنني في أقرب وقت الرئاسة على هذه الحرفة ثم تفكرت  
في حرفة اللوتي وان اشترى دبة فقلت في نفسي ان هذه الصنعة يلزمها  
التمرين وتعليم الطرق التحيلية من جهة وكيفية تربية الدبة من جهة  
أخرى وعلى ذلك رفضت هذا الامر وكان عقلي يتردى في اتباع حرفتي  
الاصلية وهي الخلاقة وقلت اذا فحمت دكانا فلا يمكنني السالك فيها بالنسبة  
لكثرة الخلاقين في هذه المدينة وشهرة الكثير منهم في اتقان هذه الحرفة  
فأخيرا تنازلت عن هذه التصورات وقررت اني بان اسرح في الشوارع  
بالدخان لميلى الحديد في تعاطيه وه حرفتي بأنواعه وعلى ذلك اشتريت جملة  
شبهكات مختلفة الحجم وعلبة خشب محتوية على انعام الشبكات وعلقتها  
حول القباء واشتريت مجرة حديد للنار اجعلها بيدي وماشتي حديد وكوزا  
نحاسيا للمياه مشبوكا بخطاف خلقي وبعض أكياس طوال لوضع الدخان فيها  
وربطت جميع هذه الادوات حول جسمي وكنت لما اشحن بها نفسي كان  
كل من يراني يقول اني مثل القنفذ المنتفش شوكة وكان عندي انواع



مختلفة من الدخان مثل تبار وشيراز وسوذه ودمشق وفي الحقيقة ما كان  
عندي ضبط كلي في بيعه نقياً فإنه يوجد جزء صغير من ورق الدخان الصافي  
كان يتكون عندي مبلغ وافق بواسطة مزجه بجزء كبير من أنواع الزبل  
المختلفة وكان لي مهارة عظيمة في التفريس في زباني ومعرفة أصحاب الكيف  
الذين لا يجهلون شرب الدخان فكانت أعطيهم من الدخان الذي أغلبه  
صاف وفي الواقع كانت جميع مكاسبي متعلقة بفرز وتمييز الطبائع فالناس  
المتوسطون أعطيهم النصف ممزوجاً والاقول منهم الربع صافياً والثلاثة  
أرباع مغشوشة وأما الدون فكانت أغشهم بذبل البهاثم الخالي من الدخان  
وكنيت عندما يترأى لي وجه عبوس يشكون من رداءة الدخان في الحال  
ابذل مجهودي اليه في تحسين دخاني وأريه جزاً من الصافي وأنشد  
له في ذلك أبياتاً بليغة وأنخبره عن الزارع الذي بذره وجعه وأجتهد  
بان اصف له اعظم أرض غاف فيها هذا الصنف حتى اني اشتهرت في مدينة  
مشهد باطافة شبكاتي واعظم زبون عندي كان درويشاً اسمه صفر ما كنت  
اتجاسر على اعطائه دخاناً مغشوشاً لمعرفته فيه ولم أريح منه شيئاً الا  
الطفيف لتأخره في وفاء الثمن الا أنه كان أنيساً يسليني بمجاورته اللطيفة  
على همومي وزيادة على ذلك فإنه توسط لي في احضار جملة زبائن حتى ان  
محبتة صارت غريزية في قلبي وجسمي وكان الدرويش صفر غريب المنظر  
ذات أنف مستطيلة كبيرة وعيون حادة سوداء ولحية غزيرة وكان  
مسترسلاً على كتفيه كمية عظيمة من الشعر الاسود وكان لا يساقا وفاقا  
مخروط الشكل مكتوباً عليه كثير من الآيات القرآنية والاحاديث  
القدسية وعلى ظهره جلد غزال أحمر من الخارج وبيده عكاز من الفولاذ  
يحمله على كتفه في أغلب الاحيان ويسده الاخرى كشكول فارغ ذو  
سلاسل ثلاث يرفعها امام السياحين عندما يطلب منهم الصدقات وكان

لا يساقى منطقته أبا زيم من حجر اليشم ومعلقا فيها جملة من مشابك خشب  
ثقبلة ولما يخطر في الشوارع والأسواق بهذه الهيئة يستعمل الأماظ  
العذبة ويظهر الرعب والخوف والمذلة لمن يسألهم ويبدى لهم التشكرات  
والامتنانات ويكلمهم بالخضوع وقد علمت أن هذه حيلة منه على المعاش  
لأنه لما كان يحضر عندي لشرب الدخان ويحتسلي بي ولم يكن أحدا معنا  
كنت أجده أطف وأفصح الناس منطلقا وجسارة وبعد أن تمكنت المحبة  
بيننا مدة عرفني بشر ذمة قليلة من الدراويش وهم أناس من شكله  
وحرقة إلا أنه كان منفردا بمعيشته وكنت أتردد غالباً في جمعياتهم وإن  
كانت هذه الحالة على غير المرام ولكن لحسن جمعياتهم ولطافتها ما كان  
يمكنني الاعتراض عنهم لالظر لكثرة تعاطيهم الدخان فإني كنت أبيعهم  
اليهم بدون مكسب يقوم باتعابي مثل زباني ثم حدث ذات يوم أن  
الدرويش صفر جلس عندي يتحدث وبعد أن أكثر من التدخين فوق  
العادة قال لي

(يا حاجي بابا) اني أراك رجلاً أنعم بك من إنسان وإني أراك لست أهلاً لبيع  
الدخان طول حياتك فلماذا لا تزامننا وتخذ حرفة الدراويش مثلنا أما تعلم  
أننا نقبض على ذقون الرجال بكل سهولة وهي عندنا أهون من التراب على  
أنه ينذر وجودنا في جهة واحدة بل نتقل من مكان إلى آخر وهذه تختلف  
بحسب الأحوال والظروف على حسب ما نحن فيه من الكسل وإن الجنس  
البشري أمام أعيننا مثل فرس مهلة المأخذ وذو بذائعش على ضعف  
قلوبهم ومخافة عقولهم وممارأيتهم من فطانتك وحدائقك أظن أنك تشرف  
حرفتنا وتجعل لها الصيت الأعلى وما يضي غير قليل حتى يشتهر أمرك شهرة  
تامة لا تقل عن شهرة الشيخ السعدي نفسه فلما سمع أقرانه كلامه  
صدقوا على مقالته وصاروا يعدحوني ويغووني على دخولي معهم في سلك



الدراروش فاعتذرت لهم بجهلي وعدم معرفتي هذه الحرفة ويلزمني بعض  
تمرينات وتعليمات وقالت لهم كيف ذلك وأنا رجل جاهل لا أدري شيئاً  
وأدخل في الدر وشة مع ان الانسان يلزمه أن يكون حاذقاً فاما معرفة بعض  
معلومات يحتاج اليها الدر وش (نعم) حقيقة أعرف الكتابة والقراءة وأحفظ  
القرآن ودرست كتاب الحافظ والسعدى تهرباً على ظهر قلبي وخلاف  
ذلك فاني قرأت جزأ عظمهما من شاهنامه الفيردوزي وما عدا ذلك فاني أعد  
نفسى فيه جاهلاً بالكلية

فاجابني الدر وش صفر قائلاً آه يا صاحبي ما هذا الكلام أما تعلم ان  
الدراروش عديمو المعرفة وانهم أقل الناس علماً ولا يحتاج لما عرف لدخولك  
ضمن الدراروش فليس ذلك من صعاب الامور وأول أمر يلزمك هو الثبات  
والتجلد وانك بخمس المعلومات التي ذكرتها وبجزء من الكسافة والوقاحة  
أعدك انك لا تنسلط فقط على أكياس الدراهم بل وعلى حياة من يلقوا  
آذانهم اليك فاني بالوقاحة صيرت نفسي ندياً وصاحب معجزات واني أعيد  
الاموات لحالة الصحة

وبالوقاحة فاني أختصر لك أمهل طرق المعيشة واني مهاب ومعتبر بالناس  
الذين مثلك أما تدري يا حاجي حالة الدراروش وما هم عليه من المكر  
والخدعة والدر وشة شيء لا يذكر أما تعلم يا حاجي اني اذا أردت أنعب نفسي  
وأتحمل الاخطار وأظهر انه في امكاني ابداء معجزات سيدنا محمد عليه  
السلام فانهم يعتقدون أنني نبي مثله أما تعلم يا حاجي انهم يعتقدون من شدة  
جهلهم انه في امكاني أشق القمر نصفين باصابعي كما فعل النبي عليه السلام  
وقد تحيات بمثل ذلك حتى اعتقدت الناس الذين يسمعون بمعجزاتي أما تعلم  
ان الوقاحة والسماجة ينتج منهما ذلك وأكثر منه بواسطة طرق مستحسنة  
يلزمها السعي بهمة وانتفات

(قال الحاج بابا) فلما انتهى الدرويش صفرو من حكايته صدق عليه جميع اخوانه وهم يزادون مدحا وثناء عليه ويكررون جملة خرافات بحجية من ضمن أعمالهم التي سبقت لهم حتى اني تشوقت جدا للوقوف على حالة هؤلاء الرجال الفائقين الحد في المكر فوعدوني انهم يقصون لي تاريخ حياتهم عند المقابلة مرة ثانية وأوصوني غاية الوصية بوقتها وشجعوني بان أحول أفكاري لمعيشة ذات شرف ورفعة مثل هذه أحسن من أن أكون ببيع دخان متصفا بالغش وعدم المأوى

### (الفصل الحادي عشر)

(في تاريخ الدرويش صفرو والدرويشين الآخرين)

فلما اجتمعنا ثانيا وكل منا بيده شيبك وجلسنا في غرفة راكتسين ظهورنا للحائط وكان شيبا كهامطلا على ميدان صغير مزروع بالازهار ولكون الدرويش صفرو هو الرئيس المقرر لجمعيتنا الآن فابتدأ يقص تاريخه بما يأتي (قال الدرويش صفرو) ان والدي كان متوظفا بوظيفة لوتي باشا (ريس مخربية وحواء أمير شيراز) وقد اشتهر باسم الطاروس وهو اسم مقبول واذا كانت وظيفته هذه فلا يخفى عليك حالة نشأتي وتربيتي كيف كانت حيث ان أعظم أصحاب اجتمعت بهم مدة طفوليتي هم قرود و ديب والدي وأصحابه المماثلين له فان الحيل العديدة التي تعلموها والطرق السهلة التي اتخذوها في تربيتها كانت فائدة لي مدة حياتي نظرا لما كنت أراه من الشخص اللطيف وبذلك لم أتم سن الخمس عشرة سنة حتى صرت لوتيا مستعدا فكان يمكنني أكل النار وتأدية شغل الحيل والمكايد اليدوية وكنت على وشك النجاح في هذه الصناعة لولا تعلق بنت جنرال جمالة طوبجية الأمير بعشقي عندما رقصت ذات مرة ولعبت على عقدة البهلوان بالدبوان



في أحد أعياد أول السنة وتصادف أن أحد الجمالة الذين تحت سلطة هذا  
الجنرال كان صديقاً لوله اخت تخدم في منزل الجنرال فآخبرته اخته بما حدث  
لبنت الجنرال وما بها من الهيام بعشقي حيث انها تحت من سيدها بعض  
اشارات تدل على محبتي

فلما أخبرتني بذلك صاحبي مال فؤادي اليها وأسرعت الى مرزا (كاتب)  
قاعد في دروة صغيرة في السوق وسألته أن يكتب لي جواب عشق ويكثر من  
احرار الخبر على قدر امكانه ويبالغ في التحية والسلام ويث فيه ما أصابني  
من العشق والهيام وينشد فيه القصائد والاشعار التي تحير الافكار  
فلما كتبه وقرأته وجدته عذب الالفاظ عديم المثل شفاء للعليل  
بل هو السلسيل يهيم بظالعه العاشق الولهان ويقيق بسماعه المغرم  
السكران ويقول في مطلعته بعد العنوان الى سيدتي المعشوقة فريدة  
الزمان مامعناه

لما بدت عيناك \* قد ذبت من هوالك  
بقدرك القتالك \* هل حيلة للقالك  
أو نظرة من بعيد \* أحسن من ألف عيد  
تبشر العبيد \* بنيل وصل سعيد  
أنا عبدك المكمود \* ان لم تفي بالوعود  
عدمت فيك الوجود \* وملتقانا الخساود

(قال الدرويش صفر) فلما قرأت الخطاب وانسر منه خاطري واستطاب  
انبسطت من الكاتب الذي سلاني وبلطافة شره شجاني الا أنه لما وقف  
على حقيقة سرى المكنون استقر في مكانه بل هرول يخبر الجنرال بالواقعة  
واجباً أن يجازيه نظير اتعابه وقال له كيف ان ابن اللوتي باشا بواسل بنت

زمبور كشي ياشي بالقاظ غزلية فهذه غاية لا تدرك وذنب لا يغفر فقص  
والدها لهذه الحكاية وقصدي النكابة ولكونه نافذ الكلمة في الديوان  
عرض للامير مسئلته بالبيان وتحصل منه على امر يؤذن بطردى حالا  
من شيراز وكان يوما مشؤما فرح فيه أعدائي وتجنبني أصحابي وأخصائي  
فلما بلغ والدي هذا الخبر المشؤم ما استطاع ان يتقوه بكلمة حذرا على  
مزاج الامير من الاغبرار وزيادة على ذلك خوفا من ازدياد شهرتي بين أبناء  
جلدتي ووقاية من منازعتي له في حرقته لم يؤخرني عن الرحيل بل أخذني  
استعدادا ما يلزمي

ثم وفي صباح ثاني يوم وانما هب للقيام من شيراز وكنت أودع أصحابي  
القرود والذئب وحيوانات أخرى عند والدي قال لي (يا ولدي) يا صغرا علم  
انك أنت مهجسة قلبي وثمره فؤادي ولبى ولا طاقه لي على فراقك ولكن  
طاعة للامير تحملت هذا الضرر الخطير وها قد أودعتك عند رب العالمين  
حيث قال تعالى واطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم واني مؤمل  
يا بني انك تعيش مدة حياتك في أرغد المعاش بالنسبة لتريتك والنفوائد  
الخصوصية التي تحصلت عليها بوجودك في جميعتي بيني وبين حيواناتي  
واني سأتحفك الآن بما يؤكد ويحقق لك سعادة قريبة ألا وهو قردي  
الكبير الرئيس عليهم وهو مستوفي التربية بجميع انواعها فخذ به يا ولدي  
وتصاحب معه وألفه عليك لحاظك وأكرمه بحبالك وعشمي انك  
في وقت قليل تكسب الدرجة العظمى في الشهرة التي حازها والدك وبعد  
ان أنهى كلامه وضع القردي على كتفي وودعني وخرجت معجوبا به تاركا  
الاهل والاوطان سالكا الطريق الموصل الى أصبهان وانا في كرب عظيم  
حيث شق علي معرفة حالتي ان كنت سعيدا أو شقيا لتغيير هذه الاحوال  
لان وجودي مستقل مع القرود لالة على سعدي ونسليتي به وأما هجري



أصحابي وأوطاني الغالبة التي ربيت فيها منذ طفولتي وزيادة على ذلك  
فراق حبيبتي اللطيفة التي لم أرها بل تصورت في ذهني انها تعادل  
(شيرين) المتصفة بالجمال في القدوالاعتدال فهذه الاحوال كدرتني  
وما أدري وانا تائه في بحور التذكار حتى وصلت الى صومعة أحد الدواوين  
وكنيت في حالة رديئة سكنت فيها أن اقطع اليأس من حياتي فجلست  
على حجر بقرب الصومعة وفردت بجانبتي فهورت على نفسي لتخفيف  
حزني وسالت دموعي على خدي كالطوفان وصحت بنغمات كل من يسمعها  
يشفق بحالي وقلت آه واهي آه واهي يا غربتاه ويا ذلي بعد عزى  
ومفارقة اهلي ووطني

فلما سمع الدرويش صياحي خرج من خلوته وسألني عن مصيبتني ومادها تاني  
من نكبتني ثم ادخلني الى مكانه فوجدت درويشا ثانيا عليه هيبه وعظيم  
المنظر عن رفيقه اذ كان لا يسا مثل ليسي هذا والقاروق الذي على رأسي  
الا ان هو حقيقة تعلقه والذي أوجبه هذه الهيبه والوقار هو ما جبل عليه  
من هيبته الوحشية وتقطيب وجهه الظاهري وبمجرد ما رأني مع رفيقي  
القرء احاطت به الافكار ودعا بالدرويش الثاني وبعدا ان تداولا في خلوة  
قال لي ان في عزمه مصاحبتي الى مدينة أصبهان ووعدني بالتفاته الزائد  
نحوي واني اذا احسنت سلوكي يرشدني الى الطريقة التي تكون سببا في  
ثروتي فبوقتها قببات منه ذلك وبعدا ان ناولني شبكا آتدخنه فلما شربته قنا  
ومرنا مسافة طويلة بدون أن أتكلم معه الا القليل وكان اسمه  
الدرويش (بدین)

ففي أثناء المسير اقترب نحوي وسألني عن حالتي السابقة فقصصت عليه  
رحلاتي فلما سمع ما أنا عليه من العلوم والمعارف وكانت تلوح عليه علامات  
السرور والدالة على انبساطه مني أطنب في المدح على الفوائد التي تنتج من

معيشة الدرويش واثبت رفقتهما وشرفهما عن حرفة اللوثي الدينية وحرصني  
على الدخول في حرقته ثم أخبرني اني اذا التفت اليه واعتبرته كسبدي فيعلمني  
جميع ما يعرفه بعد أن أكدي أنه على جانب عظيم من المعارف وزيادة على  
ذلك فهو معدود من أشهر وأكبر الدراويش في بلاد الجهم

وشرح يتحدث معي عن السحر وعلم الفلك وذكر لي جملة أبواب في العزائم  
والطالسم والاحراز التي يستعان بها عند اللزوم واني بيعتها انحصل منها  
على ما يكفيني من الدراهم واخبرني ان من القوائد انك اذا وضعت ذنب  
أرنب تحت وسادة الصبي فانه ينام واذا سقيت دمه لحسان يجعله مربع  
الحركة في السير وكذا عين واصبع ومفاصل الذئب اذا علققت على الصبي  
فانه تقويه واذا نككت بدنه المرأة تتبدل محبة زوجها اليها بالاغضاء  
والكراهة وايضا اذا نككت بمرارته المرأة يكون لها القبول والمحبة في  
قلوب الناس وان أعظم شيء ذو قيمة ثمينة يستعمل في السرايات هو كيس  
كوفتار (وهو جلد البوة اليابس) اذا لبسه الانسان وجعله رداء له فان  
محبة تنبت في قلوب جميع الناس ويميل اليه من يراه

واستمر الدرويش يدين يتحدث معي طويلا في مثل هذه المواضع وأغواني  
واستمال عقلي بغرس هذه الفائدة في قلبي التي بها أظهر لي النجاح عيانا  
وما زال كذلك حتى انه أخبر انجاسران يتسدى في بيان مشروعه بعد ان  
أوري عدم امكان موافقته وقال يا صفرانك لا تعلم الكبر الذي تمتلكه في  
هذا الفرد ولم أقصد وجود الكبر في حال حياته بل بعد موته ولو كان ميتا  
لامكني ان استخرج منه بعض اجزاء تعمل أحرازا وتباع بثقلها ذهبا  
داخل حريم الشاه ويلزم ان تعلم ان كبد الفرد وهو الذي يكون من جنس  
فردك لا غير اذا حمله الانسان فانه مجرب في جلب محبة من يريد وقضاء  
حوائجه واذا لف الانسان جلدا نفعه حول عنقه فيكون مانعا حصينا



لدفع السموم وهو من التجازيب العظيمة وربما به بعد حرقه على نار بطيئة  
 اذا استعمل من الداخل للطفل فانه ينمو بخصال الفرد ومكره ويخديعته  
 وتكون جميع تصرفاته مشابهة لتصرفات الفرد في كل أفعاله وعلى ذلك  
 شرع في قتل الفرد فحصل لي ارتعاج كلي لهذا القصد لان تريتي كانت مع  
 قردي من الصغروا تباخر جناسوية اطلب المعيشة وزاملتي في السراء  
 والضراء وقتله بهذه الحالة الوحشية لا طاقة لي ان اتحملة على ما آتاهه  
 من الغم والكرب فصرت أحاوله عن قتله ولكي لما رأيت بشاشته ومحبة  
 نحوي كادت ان تميل للقسوة والخشونة وخشيت أن يأخذ به جبرامع عدم  
 مقدرتي على حمايته قبلت وأنا في غاية الحزن الشديد الذي لا يتصور باتمام  
 مقصوده ونجازه مطلوبه

فلما سمع ذلك شكرني وملنا عن الطريق لواد صغير خالي عن الناس وجعنا  
 سوية بعضنا من القش والطب وعلما نارا كبة وأخرج زنادا وصوانا كان  
 معه وأولع به النار ومسل قردي يديه بدون شفقة وذبحه وشرجه وأخرج  
 كبده وسلخ جلدة انفه وحرق باقيه على الكافون الذي عملناه ولما احترق  
 جميعه وصار رمادا جمعته بكل احتراص ولفه في طرف فوطته واستمرينا  
 في سياحتنا وظلنا سائرين حتى دخلنا في الوقت المناسب مدينة أصهبان  
 وفيها قلعت ملابسي التي على شكل اللوتي ولبست بدلا عنها على زي درويش  
 وقصا منها قاصدين طهران وفي هذه المدينة تحققت من عاود درجة سيدي  
 حيث بمجرد ما استنشقت الاهالي حضوره أقبلوا يتزاحون للسلام عليه  
 واستشارته في الامراض وجل الامور فكنت أجيد الامهات تطلب منه  
 حرزا الاولاد من الحسد والنظرة والزوجات تطلب حجابا للوجه ازواجهن  
 من غيرهن عليهم والشجعان تطلب منه طلاسم الحياتهم من ضرر وخطر  
 الحرب أثناء القتال وكان أعظم زيارته حريمات السراية الملوكة حيث

أغلب ما يطلبونه حجاب يستجيبون به التفات الملك نحوهم (قال صفر) وقد  
 جمع الدرويش بين مبلغا عظيما من المهومات والادوات اللازمة لهذا  
 المشروع فكان مستحوزا على شعر الفهد وسلسلة البومة وشحم الدبة بجهاز  
 أجهزة مختلفة وقد حدث ان احدى السيدات الموجودات في السراية  
 كان الملك لا يلتفت اليها التقدمها في السن وتأخرت عن أقرانها فانت اليه  
 واخبرته بالمسئلة فباع اليها كبس قدرى وقال لها انك بحملك اياه وبمجرد  
 ظهورك امام الملك فانه يحبك بحبة عظمة ويقدمك على اقرانك وتفوزي  
 بالتصر على أعدائك وانت اليه أخرى واخبرته بما اعتراها من التمرض  
 والانحراف دوا ما رانها أعبتها الحيل فلم ينجح فيها الدوا فاستخدم لها منقوما  
 من رماذ قدرى وحضرت له امرأة ثالثة واشتكت له من تكرر ش وخشانة  
 وجهها فاعطاها دها نا وأوصاها انها اذا استعملته ولم تبسم ولم تحرك  
 أعصاب رجلها فانه بدون شذير يله ويمحو أثره كلية وفي هذه المدة كت  
 ابتدأت في تعليم جميع هذه الاسرار ووقفت المزار على قسم كبير من المكر  
 واللداع والحيل مما كان يستخدمه سبدي عند ما يضطر لعمل فوق  
 العادة لاثبات صداقته وكرامته اذا اتضح ان احرازه لم تأت بادي غمرة ولكن  
 مهما كانت الحالة ان لم ينجح واسطة هذه الاستخدامات فلا بد ان تحصل  
 فائدة من أجزاء قدرى وكان يأخذ جميع الدراهم لنفسه بدون ان أمس  
 منها بارة وقد رافقت الدرويش بين في جملة بلاد نيا شرق فيها حرقنا فكان  
 الناس يعدوننا بعض الاحيان كالاولياء وشارلما بالبنان وأحيانا نارجم  
 بالاحجار كالتائهين ويكون سياحتنا كانت جميعها على أقدامنا فكان ذلك  
 فرصة عظيمة لمعرفة الاماكن والبلاد تفصيلا وقد سافرنا من طهران  
 الى اسلامبول ومنها الى مصر القاهرة مارين على حلب ودمشق ومن مصر  
 توجهنا الى مكة المكرمة والمدينة المنورة وركبنا البحر من جدة ورسينا



على سورات في برجوزرات ومنها سلكتنا قاصدين لاهور ومنها الى كشمير  
وفيها على حسب عادتنا اجتهد الدرويش في أن يغش أهلها ويدخل عليهم  
بالتحيلات ولكن لكون أهلها متورين ويعرفون ما نحن عليه من المكر  
والخدعة انجبرنا على الانسلا من خائبين واتفقنا على الرحيل الى مدينة  
هيرات حيث عدنا للفلاحنا ونجناحنا السابق لقصور عقل الافغان الذين  
كانوا يقبلون ويميلون لكل ما نحتاج ان نخبرهم به

وبما أن الدرويش كان في هذه المدينة مجتهدا في الحصول على طريقة  
يظهر بها نفسه انه نبي وقد قاربت معدات أعمال المعجزات على الانتهاء  
وقد كان وعد الوفا بحفظ شبوبيتهم على الدوام فاخبرا كان هو اول من  
وفي تسليم نفسه الى طوارق الطبيعة وذلك انه كان استكن في صومعة  
صغيرة فوق جبل بالقرب لهراج رقلها عليه وادخلنا في ذهن الناس  
الطبيين انه لا يأكل طعاما غير الذي يحضرونه له الجن والاعوان وصدقوا  
ذلك ولكنه من سوء البخت لشدة شراسته على الطعام احدى المرات كان  
أكل قوزيا مشويا وحلاويات زيادة عن طاقته فتسبب له منها تخمة قات  
وبالنسبة لذهني وصادقي معه التزمت بان أقول للناس انه نظر الغيرة الجان  
منافخ الجن البشري لاستحواذنا على رجل جليل المقدار مثله احضروا  
له طعاما مسموما وملؤا جسمه منه حتى تورم وانتفخ ولم تجد روحه مقرالها  
فانجبرت بالخروج من جسمه وحلت الى السماء الخامسة بريح شمالي  
عاصف (اذ كان هبوبه في هذا الوقت عند موته)

وهذه الريح كانت تهب أربعة أشهر الصيف وبدا تكاد الاهالي تموت  
من شدة الحرارة واجتهدت أن اجعلهم يصدقوا ويعتقدوا ان هبوبها  
كرامة من الدرويش اليهم وانها ستكون ميراثا لهم ولذريتهم من بعدهم  
فالشايخ الذين حقيقة تذكروا هذه الريح منذ صباهم كانوا يرددون

أنفكارهم فيها انما تقصر فهمهم وركا كقذهمهم اطبقوا على ما أبدىناه  
 من التأثير وسلطة أعمالنا قد فن الدرويش بغاية الاكرام والاحترام  
 الزائد حتى ان أمير هراة عاشق مرزا ساعد بحمل النعش على كتفه الى  
 القبر وبني أحد أتقياء الافغان المشاهير ضريحه على قبره وصارت من  
 وقتها تأتي اليه سكان البلاد المحيطة به لزيارته وأصبح محلا للجمع اليه سنويا  
 وقد أقيمت في هراة مدة زمانية بعد وفاة رفيقي كي أتمتع بالفوائد والهدايا  
 التي كانت تعطى لي لكوني صاحباً وتلميذاً الشيخ مثل هذا حاز أعظم شهرة  
 وبذا لم أندم على هذا العزم ثم بعث احراراً الى عندي باثمان غالية وغير  
 ذلك جمعت مبلغاً وافراً من بيع الشعر الذي كان ينساقط من غشيت لحية  
 المتوفى وقلامه أظافره وأكدت للمشتري ان الشعر المتساقط والاطافر  
 تحفظت عليها مدة وجوده على الجبل مع انه في نفس الامر أغلبهم متجمع  
 من مخصى وبعد ان بعث جزءاً وافراً من آثار الذقون والاطافر التي  
 كنت أتحصل عليها راودت فكري اني اذا استقرت على هذه الحيلة  
 نخشية من تنبسه خسافة عقول الافغان يسكشف سنرى ويظهر غشى  
 فلذلك سافرت منها الى جهات مختلفة من بلاد الهند واستقرت أخيراً في  
 قبيلة هزارة وهي قبيلة كبيرة أغلبها يسكن الخيام وقيم في الخلاء الفسح  
 الذي بين كابول وكندهار وهناك طاب عيشي ونجحت نجاحاً عظيماً زيادة  
 عما كنت انتظر لاستعمالي التحيلات التي كان يجريها المرحوم  
 الدرويش بدین في مدينة هراة وبالفعل ظهرت بينهم على هيئة نبی  
 (قال الحاج بابا) ویدمنا كان الدرويش صفري سياق حديثه اذ وضع يده  
 على كتف الدرويش الجالس بجانبه وقال ان صاحبي هذا كان مرافقاً لي  
 في تلك الجهة وهو خبير بخداعنا ومهارتنا في جذب عقول الهزارة حتى  
 انهم كانوا يعتقدون ان عندنا اوعاء مملوءة من الارز المقلقل على



الدوام وقد فهموا أن وجوده ملائمة بدون أن ينقص فهي معجزة وموت في  
ذهنهم السخيف واستمروا على اعتقادهم ماداموا يأخذون نصيبهم من  
هذا الوفاء

وبالاختصار فانا المشهور باسم (حضرة ايشان نفسه) الذي سمعت عنه  
سابقا في خراسان وان كانت شهرتي الظاهرة لم تبرهن باظهار أدنى معجزة  
ضد الاغارات التي أعاربها الشاه عليها بالسلطنة ولكن بعد انتهائها جعلت  
من تلاميذتي الذين ينتمون الى بطياشهم وتقلقل عقولهم ما يكفيني لمعيشتي  
به عيشة هنية مدة حياتي ثم حضرت مدينة مشهد وأقمت بها من مدة قريبة  
ولم يمض علينا أسبوع حتى أخذنا تدبر في إعادة نظرابنة ضريرة وهانحن  
الآن في درجة عظيمة من التجليل والاحترام

(قال الحاج بابا) والى هنا انتهى الدرويش صفر من تاريخه وطلب من رفيقه  
المجاور له سرد ما وقع له وهو الدرويش الذي كان مرافقه في قبيلة الهزاره  
فقال ما يأتي

ان والدي كان رجلا من أشهر أتقياء مدينة (كوم) وقد شاع ذكره  
بمواظبته على الصلوات الخمس ودقة الوضوء والتمسك بالديانة والاصيام بكل  
احتراس زيادة عن أعظم رجل في بلاد العجم وبالاختصار كان زهرة  
الشيعة وأغوز جلاله الاسلاميه وكان له جملة أولاد وقد أحسن تربيتنا  
وعلمنا بكل دقة قواعد ديانتنا وأما العنف والشدة التي كان يعاملنا بها مدة  
تربيتنا كنا نقاومها ونصادمها بالمكر والرياء حتى اننا انتسبنا لهذه الاوصاف  
وأصبحنا بصرف النظر عن أحوالنا كزمره المنافقين المنتشرة وبالاخص  
شاع أمرى ولكن لوقايته من هذه الفضيحة دخلت في سلك الدراويش  
وشهرتي منسوبة للعادنة إلا نية التي نتج لي منها الخطا والافرو كانت سببا  
لسعادتي وهو ابي لما كنت من بلادى ووصلت مدينة طهران اتخذت مسكنا

مضابلا لكان عطار وبينما أنا على هذه الحالة إذا سرعت فحوى يجوز  
 تخبرني ان سيد ها العطار اعتراه مرض شديد في هذا النهار باسباب  
 تعاطيه طعاما زيادة عن طاقته وان الادوية التي استعمالها لم تؤثر مفعولها  
 وان عائلته يريدون تجربة الفوائد الروحانية لعلها تؤثر وترجئني ان  
 اكتب له تعويذة موافقة طالته وبما انه لم يكن بطرفي في هذا الوقت أقلام  
 ولا ورق ولا حبر فسألتها بتوجهي صحتها داخل الحرم فقبلت ذلك وقت  
 معها فاوصلتني الى فسحة مربعة ودخلت أودة حيث وجدت المريض ملقى  
 فوق فراشه على الارض وكان محاطا بجملة من النساء على قدر ما يسع المحل  
 فلما رأني صرخ صرخة عالية قائلا واهي واهي يا الله يا رب قد أشرفت  
 على الهلاك

فرايت أدوات المعالجة منتشرة في المحل بعد العملية التي أجراها ما أن  
 يموت بواسطتها أو يجربها وشاهدت أيضا طشطا موضوعا فوق الرف  
 محتويا على احقاق الادوية ووجدت انبوبة زجاج وهي آلة العذاب  
 موضوعة في احدى الزوايا والحكيم جالس غير مبالي يشرب في شبكه بين  
 هذه الادوات وقد أيقن ان وسائل الجنس البشري عاجزة عن نوال  
 مقصودها ما لم تستعن ببعض مساعدات خارقة للعادة ولذلك قرأ به أخيرا  
 على استعمال الفوائد الروحانية التي كان من نصيبي كتابتها

ولا يخفى ان الدرويش الجديد يشغل أفكاره بآماله المستجدة لان دخولي  
 على المريض أوجب لهم هياجا عظيما

ولما جلست طلبت منهم ورقا بنعمة متسلطة لمشاهدتي منهم الميل والمحبة  
 الشديدة بحوى على انه لم يسبق لي كتابة تعاويذ لحد الآن ثم أحضر ولورقة  
 كبيرة نظهرانه كان ملا فوافيها بعض أجزاء من العطاراة وقد هدو الى قلما  
 ودواة فكتبت وأنا في غاية الرزانة والوقار اسود في الورقة واكتب بسرعة



كلمات بحروف متفرقة التي لو جمعت جميعها لا تجد لها محتوية الا على اسم الله وسيدنا محمد والامام علي والحسن والحسين وأسماء جميع الائمة مرسومين بالاختلاف وكنيت أضيف عليها اعدادا بدلا عن الاحرف في الطواتي ثم ناولتها بكل احترام للحكيم فدعا بماء ووعاء لغسل الكتابة التي في الورقة وكان جميع الحاضرين يدعون الله بتأثير هذه الكتابة الشريفة وحصول الشفاء منها وبعد غسلها قال ليشرب المريض منها على بركة النبي عليه السلام حتى اذا كان له أجل فيشفي ببركة هذه الاسماء الشريفة التي سيشر بها وان كان قصيرا الاجل فلا تفيد حداقتي بشئ ولا ينفعه أي انسان بأدنى فائدة ثم نقطوا للمريض الماء في فيه وكل انسان شاخص لخصائه وسقم وجهه متعشمين في انتعاشه واعادته للحياة بعد ان مكث مدة بدون ان يتحرك كانه ينس من نفسه

وما ندري بعد برهنة الا والمريض نعر ورفع رأسه على ذراعه فاندش الحاضرون والحكيم أيضا وكنيت أنا بالاختصاص في غاية العجب ثم فزع عينيه وطلب طشطا واستفرغ فيه بهيئة يظهر منها ان ذلك من تأثير أدوية ابن سينا نفسه وبالاختصار حصل له الشفاء

ولكن على مقتضى فهمي نسبت بوقتها ان التغيير الحسن الذي حصل هو من تأثير البهارات التي كانت في الورقة وآثار الحبر نتج منها الحالة التي ذكرتها واجتهدت بالاثبات للحاضرين ان تمام الشفاء حصل بواسطتي وبسبب كتابتي الشريفة التي كتبتها ولولاى لمات ومن جهة أخرى فالحكيم أوري أحقيته وانه السبب في شفاؤه لانه بمجرد المريض ما فتح عينيه صاح الحكيم قائلا ألم أقل لكم ذلك وان هذا تأثير أدويتي ولولا حضوري لمات العطار أمامكم

فلما سمعت كلامه أوقفته وقلت اذا كنت حكيما فلماذا لا تدأوى مريضك

وتشفيه بدون ان تناديني فكُن في حالك حيث لم يكن لك دراية الامسائل  
المراقات والفصادة فلا تتعرض ثانيا فيما لا يعينك فاجابني الحكيم وقال أيها  
الدرويش المحترم لا أنكر ما أنت عليه من الجانب العظيم من كتابة التمانم  
وبيعها بثمن غال ولكن كل انسان يعرف من هم الدراوِش وما بنوا عليه  
من الحيلات ولو فرضنا حصول الثمرة من أعمالهم الروحانية فلا تنسبها انها  
كرامة منهم فلما سمع الدرويش كلامه غضب غضبا شديدا وطار الشرار  
من عينيه وقال للحكيم يا ابن الكلب أتتكلم معي بعد هذا كله ألم تعلم اني  
كنت خادما لنبي وأما أتم يا حكما فجهلكم يضرب به المثل في نسبته للقضاء  
والقدر وذلك اذا تصادف وشقي بواسطة من يرض تنسبون أحقية الشفاء  
لكم واذا مات تقولون هذا قضاء الله وان مساعي المخاوق لا تفيد شيئا فخرج  
من هنا (قم واخرج يا جاهل) ومر على المريض الثاني الذي تعودته ومتى ازداد  
خطره فادعني ثانيا وأنا أقم لك جهلك الرديء وأشفيه لك كما داويت  
الطارالآن فاجاب الحكيم وحياء رأسي وأنت لها الفداء اني لست من  
الرجال الذين يسمعون ويقبلون مثل هذه الالفاظ من دروِش أقل درجة  
من الكلب ثم قام فحوى يريده بطشي بقوة تهديديه وهو يقدقني بكل ما يقدر  
عليه من المسببات فقابلته بكل احتقار ونسبته فخرته حتى آل الامر للكم  
بعضنا بعضا ومسك شعري رأسي وقبضت أنا الاخر على لحيتي وصرنا نطعن  
بعضنا بالضرب واللكم ومازلنا كذلك نتضارب وتتصادم بحالة وحشية  
ونتقاتل بدون اكتراث بالمريض وصاح النساء وعلا صراخهن حتى كاد  
امرنا ينتهي لا سوا حالة لولا هجوم احدى النساء علينا قد اشتد بها الغضب  
وأكدت لنا ان ضباط الدروجاس (المستحقطين) يقرعون الباب  
ويسألون عن السبب الناشئ منه هذا الصباح والاتراج الشديد  
فعلى ذلك انفصلنا وانسريت ليل الحاضر بن جهتي وأظهروا احتقارهم



وعدم اعتنائهم بمهارة الحكم الذي غرضه الاصل الحصول على  
الدراهم بدون فكره في مداواة مرضاه أما أنا فكانوا يرونني أمامهم بهيئة  
تقي عليه نور الهى واعتقدوا ان مجرد كتابتي عادت قوته وشي من جميع  
أمراضه

فلما رأى الحكم ما أصابه من اللوم والتنديد سحب نفسه للخارج وهو ذليل  
ومكسور الخاطر ولكن قبل خروجه طأطأ على الأرض وجمع جملة من شعر  
لحيته المتساقط الذى نتفته منها على قدر ما وجد من مكره جمع أيضا جزءاً  
من شعري مع شعره وهزه بيده في وجهي وقال انك ستري من هو الجاني  
والحقوق منا عند وقوعنا بكر أمام القاضي لان الشعرة الواحدة في طهران  
تساوي ديناراً وانى لمرتأب فيما اذا كانت جميع طلاسمك وتماثيلك تساوي  
هذه القبة أم لا

(قال الدرويش) فثنى الحكم غليله وهبط غيظه بهذا الكلام ولربما  
بانسبة لشهرته انه لا يتم شروعه التهديد في طلبي أمام القاضي خوفاً  
على شرفه من انتشار هذه المسئلة انما ازال الرعب بداخلي خوفاً من  
توجهي للحكمة لصعوبة هذا الامر فتركته وأنا تأمل في نتيجة العملية  
التي أجريتها مع المريض وما الفائدة التي ساكنسبها منها

فما هي النهار حتى شاع ذكرى في المدينة وقالوا ان العطار (وهو أول من  
عالجته) الذي كان يكارب شدة الموت عالجته درويش مستجد حضر هذه  
المدينة بعد ان ينس الناس من حياته وقد انتشر خبري في جميع أنحاء  
المدينة وأصبحت ذواهمية كبرى عند الاهالي وكنت أكتب التعاويذ من  
الصباح للمساء وأبيعها للناس بحسب درجاتهم واقتدارهم حتى انه لم يمض  
قليل من الايام الا واستحوزت على مبلغ جسيم من الدراهم انما من سوء  
بختي لم أصادف عطاراً مريضاً ولا قطعة ورق كما سبق في أثناء هذه الايام فلما

تحققت أن معيشتي وشهرتي منسوبة عن المجزة التي أظهرتها مع العطار  
وان حالي آخذة في التناقص استحسن السباحة في داخلية الجهم وبوقتها  
قت وتوجهت الى مدينة طهران وفيها عرمت على الإقامة دواما بعد أن  
رئت أشغالي بمهارة تامة حتى أن شهرتي انتشرت فيها قبل وصولي اليها  
وكان العطار أعطاني شهادة رسمية بختمه ذكر فيها أنه شفي من مرضه بعد  
البأس من حياته ببركة تعويذة كتبها يسه فكنتم أبرزها لكل انسان أينما  
أذهب بقصد تأييد حقيقة الاشاعات المنصورة في كرامتي وهاتأالا أن  
عائش بهذه الشهرة التي تكسبني الدراهم العظيمة بغاية الراحة واتي كلما  
أجد شهرتي أخذت في التنازل أرحل لبلدة أخرى وهذه حكايتي  
(قال الحاج بابا) فلما انتهى الدرويش الثاني من تاريخ تقديم الدرويش  
الثالث لسرد قصته وقال ان حكايتي مختصرة واتي كنت في الاصل محدثا  
ولذا لا تحتاج للتطوير وقال ان والدي كان أستاذا في إحدى المدارس  
وبما رآه من التفات وشدة قوتي الحافظة أمرني بمطالعة التواريخ التي  
ازدادت بلغتنا واعادتها عليه فلما رأى ما حازه عقلي من هذا المجموع  
المكافي ألبسني حلة درویش لسرد الحكايات علنا أمام الجماهير من الناس  
الذين يجتمعون حولي بقدر ما تقتضيه قصصي ولكن مسعاى الابتدائي لم  
أنل به نجاحا تاما حيث بعد انتهاء قصصي يتركني السامعون بدون أن  
يعطوني أدنى مكافأة لا تعابي فسعيت في الحصول على المقصود شيئا فشيئا  
وذلك بدل عن استمرارى في الحكاية لآخرها كما عودت نفسي سابقا فكنتم  
عندما أقرب للحصول نكبة أو مصيبة يتشوق الانسان لسماعها أقطع  
الكلام وألقت لمن حولى وأقول لهم يا سادة يا حضرون اذا كنتم تتصدقون  
على شئ أنعم لكم باقى القصة وبذلك كنت أجمع حفنة عظيمة من الدراهم  
النحاس اذ كان يسد رجوع أقل من ذلك ولا فرض مثلا انه عند سياتى في



تاريخ الامير خاتاي وأميرة سمرقند فعند وصولي لغاية هزارموت الوحش  
حين يقبض على الامير بضمه وبقرب على ازدراده واستقراره في فم الوحش  
بين فكه الاعلى والادنى وجميع الحاضرين يقطعون الامل ويأسون من  
حياته والاميرة ساجدة على ركبتيها تنصرع الى الله بنجائه وعندما يخفون  
اتباعه رماحهم وهم في حالة الذل والانكسار ويردون بخيولهم راجعين بحالة  
الفرع وكذا عند ظهور الرعد الى أن أصل لغاية ما يمسه الوحش فاقطع  
الكلام وألفت لمن حولي وأقول يا سادة يا كرام افتحوا أكاسكم واردفوني  
باحسانكم حتى تسمعوا ما أجراه الامير خاتاي من المعجزات والعجائب في  
خلاصه وقطع رأس الوحش بنفسه  
وبهذه الحرفة كنت أتحايل على معاشي بما أدهش به عقول الناس ولما  
نتهي حكاياتي التي أحفظها كنت أنتقل بلهجة أخرى وفيها أجدد أشغالي  
وها أنا على هذه الحالة الآن

### ﴿الفصل الثاني عشر﴾

﴿في ان الحاج بابا يجد ان الغش لا يسلم الانسان من عقابه ولو في الدنيا  
وفي تبصره فيما يعود عليه بالنفع من أمر مستقبله﴾  
(قال الحاج بابا) فلما انتهت الدراويش من مقالاتهم شكرتهم على هذه  
التسليية بما قدموه لي من النصائح والتهانيات وصدمت العزم في الحال بان  
أعلم منهم طريقهم بقدر ما كان لي لكي اذا ما اضطرني الحال على ترك مهنتي  
الحالية أسلك طريق الدروشة

وقد علمني الدراويش صفر كافة الحيل والخدائع التي يعرفها والتي اشتغل بها  
واجتني ثمارها وعلا بها على جميع العالم حتى اعتقدوا انه من كبار الاولياء  
العارفين ثم أخذت في تعلم كتابة التماسم والطلاسم من الدراويش الثاني حتى

أتقنتها وتعلمت من الدرويش المحدث بعض الحكايات والحرفات التي نفع  
فيها وأمارني بعض كتبه وذكر لي الطرق العمومية التي توجب اندهاش  
الحاضر من منها حتى يجبروا فيبدلوا ما في جيوبهم من الدراهم بدون أن  
يشعروا وذلك لما يعترهم من الذهول عند سماعها وعلى ذلك استقرت في  
بيع دخاني ولما كانت مكاسبه مائدة على الدراويس ولم أتفع بها  
اضطرت إلى زيادة غشه بما أضفته إليه من الذبل والقش وورق الأشجار  
الناشف حتى قل انبساط الزباين الآخرين منه

ثم تصادف في مساء يوم من الأيام عند الغسق واقترب انقضاء الاسواق  
أتني عجوز طاعنة في السن وعليها ملابس رثة فواقفتني وسألتني أن أملأ  
لها شيبكاً من الدخان وكانت متبرقة بحيث لم يظهر من وجهها شيء ولم  
تكلمني بسوى ذلك

فلأت لها شيبكاً من أرد الدخان المغشوش فلما تناولته وتعاطت منه نفسا  
بصقت وكن وما أدري الا وصاحت صيحة من عجة فأتني ستة من العساكر  
ويبد كل واحد نيلة مقتولة وقبضوا علي وطرحوني أرضاً وقد أزالوا المرأة  
البرقع عن وجهها فاذا به محتسب المدينة وقال لي يا أقل أهل أصبهان ها قد  
ضبطتك فانت الذي من زمن طويل تسم أهالي مشهد بتبغك المغشوش  
فلتقبض الآن زخامتاً بعة بعد ما قبضته من الشاهي (وهي نقود كل  
واحد منها يساوي تقريباً اثنين شلن انكليزي) ثم قال لرجاله احضروا  
القلعة ومدوه فيها واضربوه حتى تطير أظافر أصابع رجله فما أنتم كلامه  
الا وأدخلوا أرجلي في العقدة ورأيت السيوف تتبادل على أقدامي ولم يرالوا  
يضربوني ضرباً مؤلماً حتى غبت عن الوجود وصار الضياع في وجهي ظلاماً  
وتصور لي أمامي عشرة آلاف محتسب في زى عشرة آلاف امرأة عجوز  
وصرت مثله بين الناس وكأهم يضحكون من قلبي على الجانبين ويتشفون



في وأنا استعيت برأفة معذني وأقسم عليه بحياة أبيه وأمه ويجده ورأسه  
 وولده وأميره واستعيت بالنبي عليه السلام والامام علي وبجميع الأئمة  
 وأنا لعن التبغ ويعة والوذعن حولي من المشاورين وبالثلاثة الدراويش  
 الواقفين بدون أن يظهر وأدنى حركة لانقاذي فما آتاني أحد منهم  
 واستمريت في الصياح والصراخ والبلاء حتى ذهل عقلي وقهدت حاستي ولم  
 أشعر بالوسط

فلما أقيمت وجدت نفسي في مياورأسي منكئة على حائط في الطريق والناس  
 من دجون بتأملون لسوء حالي وما فيهم من يشفق علي وقد سلب مني  
 شبكائي وكوزي وجميع ما أملكه وتركوني أرحف إلى بيتي على قدر امكاني  
 والحمد لله لم أمكث غير قليل وأنا أرحف على ركبتي حتى وصلت إلى منزلي  
 لقريه من تلك الجهة وأنا أصعد زفيرا يفتت الا كباد

وبعد ان أقيمت يوم في المنزل أقامني شدة الالم وآليم العذاب من تورم أقدامي  
 وانشقاق لحيها وتجمد الدم عليها زارني أحد الدراويش واعتذر لعدم  
 مساعدته خوفا من القبض عليه وظهم انه شريك في عياملوه مثلي عند  
 ما يتشفع لي وقال انه سبق له مثل هذه الواقعة في مبداسلو كدوانه يعرف  
 الدواء الذي تدأوى به فاحضره ودهن أقدامي وسبقاني حتى شفيت في مدة  
 قصيرة وعدت إلى حالي الأصلية

وفي أثناء اعتكافي للعلاج كنت أندبر في أمرى فعزمت على قيامي من مدينة  
 مشهد لاني رأيت أني دخلتها في ساعة منموسه حيث أول مرة انكسر  
 ظهري وثاني مرة ضربت بالسياط وعلى ذلك جمعت ما عندي من الدراهم  
 التي كنت أخفيها في أحد أركان غرفتي بكل احتراص ووجدت انها  
 تكفيني للتوجه إلى طهران فعزمت على مفارقتها مع قافلة مستعدة للرحيل  
 وقد عرضت مسئلتني هذه على الدراويش فاطبقوا عليها وزيادة على ذلك

فالدرويش صفر طلب مني أن يرافقني في السفر وقال لي السبب في ذلك هو  
 أني أخبرت أن مشايخ مشهد لحقتهم الغيرة مني وهم يدبرون حيلة لهلاك  
 نظرا لزيادة تسلطهم عليهم بلهولهم ولعدم قدرتي على مقاومتهم سأبحث  
 على معيشة في جهة أخرى فاستقر رأينا على تبديل ملابسنا على علب  
 درویش و بعد ان اشترينا قافوا وقاوم منطقة وجميع ما يلزم استعدادت السفر  
 بمجرد الإشارة ولما ضجرتنا من الإقامة ونحن في انتظار قيام إحدى القوافل  
 اتفقتنا على أن نسلك الطريق بدون رفيق وان بدراهمنا نستدل على الطريق  
 وتزبل ما به من الخطرات الا اننا قبل القيام عزمنا ان نتقابل من كتاب  
 الشيخ السعدي فدعا الدرويش صفر بالدعوات اللازمة وفتح الكتاب وقرأ  
 ما معناه (ان من المضاد للعقل اتخاذ الدواء بدون احتياطات السفر في طريق  
 مجهول بدون مصاحبة إحدى القوافل) فلما سمعنا هذه النصيحة سكن  
 عقلنا وقلنا البتة من انتظار قافلة تقوم معها

وبينما أسأل من كل طرف عن قيام القافلة مررت بمقابلتي مع الشيخ علي قانر  
 المكارى وكان حضوره الى مشهد ليقتول على مشال بضاعة مع أحد التجار  
 لنقل جلود شياه بخارى الى العاصمة وبمجرد ما نظرتني صاح صيحة الفرح  
 بملاقائي وملائي شيشته وناولني اياها وبعد ان قصصت عليه جميع  
 مخاطر اتي من وقت اقتراق اللان أخبرني الآخر رحلته ثم قام مع قافلة الى  
 اصبهان وكانت بغاله حضرت محملا بعضها بغرا ثملاوة من الفضة وبعضها  
 محمل بجلود الشياه ومازلنا سائرين ونحن نقامى الخوف والفرع الشديد  
 خشية من غارات التركان علينا حتى وصلنا الى اصبهان سالمين فلما دخلت  
 المدينة وجدتها مملوءة من الفرع والرعب بما لحقهم من هجوم التركان  
 الاخير من مرقه الخان آتفا وانهم مازالوا لحد الآن متوجسين منهم خيفة  
 ويعتقدون ان الاشقياء هجموا على المدينة بنحو ألف نفر وان الاهالى



قاومتهم بآس شديد وعلى انكار بلى حسن المزين (وهو والدي) جرح بيده  
أحد رؤسائهم جرحا يبلغ عالم يتمكن منه الى الفرار الا بمشقة شديدة فلما  
جمعت ذلك تكتمت هذه المخاطرة عن كل انسان ونخيت من ظهور علامات  
تبدو على وجهي للمكاري وعند ذكرو هذه الواقعة التي حصلت كنت أسمع  
بخارا عظيما من الدخان ليكون سارا بين عينه ووجهي كي لا يطلع على تلك  
العلامات

وقد جل المكاري بغاله من اصبيهان بالاقشة القطن والتبغ والخصا من برم  
(مدينة يزد) ولما وصلها لم تمض مدة وجيزة حتى استعدت قافلة للقيام الى  
مشهد ققام معها وجل بغاله باصناف من بضائع تلك المدينة واتفق على قاتر  
على انه من بعد توجهنا الى مشهد بصاحبنا الى طهران بشرط اذا حصل  
لنا تعب من المسير فهو بكل ممنونية يأذن لي وللدرويش صفر بالركوب  
على بغاله

### ﴿الفصل الثالث عشر﴾

(في قيام الحاج بابا من مشهد وشفائه من الجبر الذي

أصابه بظهره وروايته حكاية)

(قال الحاج بابا) ولما خرجت من مدينة مشهد واعتدلت الى الطريق  
الموصل الى طهران قبضت على قبة ردائي وهزرتها كأنني كنت في حبس  
ونخرجت منه وصحت في نفسي قائلا اللهم أنزل المصائب والخط على هذه  
المدينة لانه لو سمع بي الحاج العائدون في هذا الوقت من الحج ربما كان  
يتأتى لي ضرر من جهنهم ولكون الدرويش صفر كان يرى مثل رأي طابق  
على جميع أفكارى وكلانا كنا نهمون على أنفسنا ونشفي بالحديث ضد  
سكان تلك المدينة فكنت آتشي بالنسبة لما لحقني من الضرب والاهانة

وأما هو فبالنسبة للاضطرابات التي كابدها من الفقهاء ثم أخذ الدرويش  
 يمدى روعه ويقول أما من جهتك أنت لازلت شابا بلزمت مقاساة صعوبات  
 شديدة قبل أن تكتسب المهارة اللازمة لتدربك في أحوال معيشتك مدة  
 حياتك فلا تضجر ولا تشكى من أول مصيبة ولعلها تكون سببا في موعظتك  
 في المستقبل فتجربها مما عساه أن يحصل من المصائب وتكون متيقظا  
 دفعة أخرى في استكشاف الأمور مثل المنصب الذي غاب عنه حاله لما  
 كان متبرقا بزي امرأة ثم قبض الدرويش على لحيته وقال أما بالنسبة  
 لرجل مثلي في هذا السن كابدة جلة مشقات في الدنيا يجبر على السفر ثانيا في  
 الجهات فأنها حقيقة من المصائب العظمى

فاجبته ربما كان الأحسن بقاءه في مشهد إذا كنت اخترتها للقامة من  
 بين البلاد لا تحسبوا لكن لو كنت مواظبا على فرائض الصلاة والوضوء  
 لا تحدث مع المشايخ والتجأت إليهم

فقال الدرويش حقما قلته ولكن السبب في ذلك هو أنه لمناسبة اقتراب  
 حلول شهر رمضان المعظم الذي فيه يراقبون أغلب الاوقات زيادة عن  
 خلافه ولا إلى قدرة ولا رغبة للصيام لأن تعاطى الدخان من الضروري وهو  
 عندى بمنزلة الهواء للجسم وشرب الخمر قوتى اليومي فلذا استحسن السفر  
 مدة هذا الشهر نظرا للانهماك المسموح به للسياحين أثناء سفرهم

وان كان يحتمل جواز غشهم كما سبق لي المرات بالاكل والتدخين خفية ولكن  
 بالنسبة لرجل مشهور الا أن مثلي يعيش بالتقوى والطهارة المظنونة  
 الظاهرة بين الناس ويضيقون عليه بالمراقبة فلذلك لا أتمكن من اطلاق  
 حريتي

(قال الحاج بابا) وبينما نحن نقطع الطريق بالحديث اذ وصلنا الى مدينة  
 سمعان ولم يحصل لنا في الطريق شيء يستحق الذكر الا انه من قبل أن نصلها



يوم أو يومين ساعدت على قاتر في تحميل إحدى البغال وفي حال التحميل  
عاد إلى ألم ظهري الأصلي فاشتد علي في الطريق حتى لم يكن لي قدرة على  
المسير مع القافلة فعزمت على المكث في هذه الجهة لحين شفاؤى وبالأخص  
قد نجيتنا من غوائل التركان ولم يكن أمامى صعوبات فلهذا أقصدت  
الاستقلال بنفسى وأن لا أرتكن على المسير مع أى قافلة

أما الدرويش مفر المغرم بشرب الخمر والشهوات النفسانية التى هى عنده  
من أعظم شئ داخل المدينة استمر فى سياحته وأما أنا فلم أدخلها بل اتخذت  
مسكناً فى أحد القبور الموجودة على إكام المدينة وألقيت فروتى فى  
أحدى زواياه وأعلنت عن حضورى على حسب عادة الدراویش الرحالة  
ونفخت فى نفيرى وصحمت صيحة عظيمة بصوت مطرب ومقبول قائلاً (حق  
هو الله أكبر)

ثم حتمت رأيى بإظهار الهيبة والتكبر على وجهى وعدم اللين حتى بذلك  
أكون أدبت واجبات التعليمات التى تلقيتها فى فنون الغش فأتت لزيارتى  
النساء العديدة وكتبت لهن جملة طلاسم وتعاويز وصرن يهدين لى تطير ذلك  
بالفاكهة واللبن والعسل وبعض أشياء

وقد اشتد فى هذه الاثناء ألم ظهري حتى اتنى سألت عما إذا كان يوجد أحد  
من أهالى سمنان يمكنه معالجتى من هذا الألم فلم أجدها إلا حلاقاً وبيطاراً  
يدعيان معرفة مداواة أى مرض فالحلاق ماهر فى الفصادة وخلع الاسنان  
وتجبير العظام وأما البيطار فلم يعرفه فى أمراض الحيوانات فكان فى غالب  
الاحيان يدعى لمعالجة الأمراض البشرية ووجدت أيضاً امرأة عجوزاً سائلة  
التسعر والشائبة على ظهرها وكهيشة الساعرة قد أنهكتها الكبر وكانت  
الاهالى تعتقد صلاحها وبصدقونها فى جميع الاحوال وان معلومات  
الحلاق والبيطار لم تذكر فى جانب معلوماتها اذ هى عندهم كالوحى وبخلاف

ماهي عليه من معرفة العلاجات السرية ووصف الادوية فكانت تدعى  
معرفة جميع أنواع الالام

فحضر كل منهم وزارني الواحد بعد الاخر واتفق رأيهم جميعا ان الالم  
الحاصل لي ناشئ من تأثير البرد وما يعرفونه فهو النار التي هي أشد قوة طاردة  
للبرد وعلى ذلك أجمعوا آراءهم باتفاق انه لا بد من سرعة استعمال السكي في  
محل الالم ولكون البيطار أغلب اشتغالاته هي في الحديد الحامى والبارد  
فلمعوميته بذلك قرر رأيهم بانه يكون الجراح في عملية السكي

فاطاع الامر وأحضر حجرة مملوءة دخما وسفافيد صغيرة وجاس في زاوية  
وأولع النار ووضع عليها السفافيد لاجائها ولما اجرت السفافيد طرحوني  
على الارض على وجهي ممددا وكوواظهرى باحتفال عظيم بالحديد الحامى  
وصار الواقفون كلما يوضع السفود على محل يصيحون ويتضرعون بقولهم  
(خد اشفا مدهد) يعنى الله يشفيه أما الذين كانوا متولين معالجتى فبدون  
أن يصعدوا على النبي عليه السلام أو على الأئمة الاثني عشر كوني في  
ثلاثة عشر موضعا حتى انه في منتصف العملية لما ترايد بي الالم واشتد بي  
الحال وصرت أصرخ بقوة شديدة وأستغيث من العذاب لم يتركوني حتى  
انتهى السكي عن آخره

ولما استمرت الجروح تؤالمنى زمنا طويلا بدون ان تلتئم وانا اقامى شدة  
الالم مر بعقلي أن شفائى لا يكون الا باعتكافى أياما في غرفتى فكثت فيها  
مدة أيام طوال بدون ان أبرح منها لحظة وفي آخر هذه المدة التأم جرح  
فخاعى وزالت أوجاعى وعادت القوة في جميع أعصابى فحمدت الله وشكرته  
على ما أولانى

(قال) وان كان المعلوم ان شفائى منسوب للثلاثة عشر كيا التي هي أصل  
العملية وزاد اعتقاد جميع أهل المدينة في تأثير الحديد الحامى زيادة عما



كانوا يعتقدون ولكنني لازلت اذكر ان اسباب شفائي ناشئة بالاكثر  
من راحتي زمانا طويلا وكانت هذه الطبيب الوحيد لبلداواتي فتكتمت هذا  
الرأي في نفسي لان الاهالي عموما كانت تعتقد بلاريب اني كنت محفوظا  
بالاولياء والالتقياء وانهم الواسطة في شفائي

ثم عزممت على الرحيل في الوقت الى طهران ولكن قبل قيامي بجاسرت  
ان اظهر نفسي في هذه الساحة بهيئة الدرويش واجتهدت في تجربة  
قريحتي لسرد حكاية في مجمع من اهالي سمنان وعلى ذلك تمثيت الى جهة  
مدخل المدينة ووقفت في ميدان متسع يقرب من الاسواق يجتمع فيه كسالى  
البلد وقت الظهر وصحت بالصيحات العادية لمثل ذلك فازدحم الناس حولي  
في وقت يسير واحاطوا بي على شكل حلقة وحلوا على الارض ليسمعوا  
روايتي المشتملة على حكاية حلاق سمعتهالما كنت في هذه الحرفة ومن حسن  
حظي انت بفكري في هذا الوقت ثم وقفت في وسط حلقة هؤلاء الهمج  
وهم يرمقون الى بالاعين ويفتحون أفواههم وابتدأت بما هوأت

(حكى) انه كان موجودا ببغداد في زمن الخليفة هرون الرشيد حلاق اسمه  
على سقال ماهر مشهور في خفة يده في هذه الصناعة حتى قيل انه يحلق  
الرأس ويساوي الشارب واللحية وعيناه مقفولتان بدون أن يجرح  
الجلد أو تنزل نقطة دم ولم يبق رجل ببغداد بهذه الحالة الا وحلق عنده  
فلما تكاثرت عليه الناس ورأى ما هو عليه من الشهرة بخلاف ما استحوذ  
عليه من الاموال العظيمة تكبر وتغطر من وكاد ان لا يحلق رأسا ما لم يكن  
صاحبها يبكأ أو أنا

ولكون طب الحريق غالبا ونادر الوجود في بغداد وكانه تحرق مبلغا  
واقرا منه فكانت الخطابة تجلب اجمال الطب اليه أولا لو توقعهم يبيعه  
بالنقد حالا في أغاب الاحيان وقد تصادف ذات يوم ان أحدا الخطابة

المساكين مستجدين في هذه الحرفة وكان يجهل خصال علي سقال فذهب  
بجمله الى دكانه وقدم له الخطب الذي احتطبه من مسافة بعيدة من الريف  
على حماره فقطع معه الحلاق الثمن وقال له ان الانفصال على جميع الحمل  
على الحمار قبيل الخطاب ذلك والتي الحمل من فوق حماره وطلب الثمن  
فاجابه الحلاق ان الاتفاق كان على جميع الحمل فيلزمني ان آخذ غيظ  
حمارك الذي أغلبه من الخطب حسب اتفاقنا فقال الخطاب كيف وقد  
أخذته الا تدهاش الكلى اني لم أسمع ولا خلا في بمسواق كك هذا مطلقا  
ويستحيل اجابة طلبك

وبالاختصار بعد حصول مناقشات جسيمة وزراع مهول قبض الحلاق على  
الغيظ والخطب وكل شيء وطرد الفلاح المسكين وهو في غاية الضيق  
والكرب فتوجه لوقته الى القاضي وبث له مصائبه ولكون القاضي من  
زايين الحلاق فلم يصغ لدعوته فتوجه لما كتم أعلى منه وشكاه فعضد أيضا  
على سقال وطابني على الدعوة فالترزم بالعرض على المفتي نفسه فبعد أن  
أمعن وتأمل في المسئلة انتهت أخيرا بقوله ان هذه القضية يصعب عليه  
جد الحكم فيها لعدم وجود نص لها في القرآن الشريف ولذلك أخبره  
باستحسان صرف النظر عن هذه القضية

فلما سمع الخطاب كلام المفتي لم يدخله الخوف بل شد عزمه وخرج مسرعا  
لساعته وأحضر كتابا وكتب له عرضا لا يتظلم فيه ويثدعوا للخليفة  
نفسه وأعرضه اليه في الطريق يوم الجمعة حال ذهابه الى الجامع وكان  
الخليفة مشهورا بالرافة والحلم وطول البال في قراءة العروضات ولم يمر  
زمن طويل الا واستدعى الخطاب بالحضور أمامه فلما اقترب من الخليفة  
جثا على ركبتيه وقبل الارض بين يديه ثم وقف امامه واضعا يديه بالطول  
على جانبيه مسبولا عليهما كما هما الا صفا قدميه بعضهما ببعض منتظرا



ما يصدر به الحكم في ظلامته

فقال له الخليفة أيها الرجل ان كلام الخلاق في محله بالنسبة لنفسه واما أنت فبيدك الحق في دعواك ولكن الشرع لا يحكم الا بالافاظ وان الشروط تثبت بمجرد الكلام ولا بد من أن الشرع يجري مجراه والافيطل وعلى ذلك يلزم تأييد الشروط والافيضيع الصدق والايمان بين الرجل وأخيه وبناء على هذا كله فللعلاق الحق في حفظ جميع الخطب ولكن سأنظر في أمرك ثم قر به اليه وسارده في اذنه بكلام لا يسمعه خلافه وأمره بالخروج فخرج وهو مسرورا لخطاظر

(قال الحاج بابا) فلما وصلت الى هنا قطعت الكلام وأخرجت رعاء من الصفح وأمسكته بيدي ومددته وقلت الآن (أيها السادة الكرام) اذا أعطيتوني شيئا من الاحسان فاقص عليكم ما قاله الخليفة للخطاب فهاجت الناس وتعجبت وتشوقت لسماع باقي الحكاية فصاروا يعطوني قطعاً من النقود ولم يتأخر منهم الا البذر القليل فجمعت الدراهم ووضعتهافي جيبي وقلت (امموا يا أسيادي)

وبعد ان سار الخليفة الخطاب بما يجري به لخصوله على ترضيته من الخلاق فسأخبركم بما حصل له وهو ان الخطاب قبل الارض بين يديه وعاد لجماره وجره من مجره وتوجه لحال سبيله فاصدا بلده وبعد مضي بضعة أيام عاد القلاح الى الخلاق ومعه جماره وتداول معه كانه لم يكن في النفس شيء مما سبق وترجاه وقال له انه حضر مع أحد أصحابه من البلد وكلاهما يرغب التمتع بما اشتهر به من مهارة يده في هذه الصنعة فلما اتفق معه على اجرة الخلافة اليهما خلق للخطاب ثم قال له وأين رفيقك فأجابته انه واقف في الخارج وسيحضر حالاً امامك ثم خرج وعاد يجر الجمار خلفه وقال له الخطاب ها هو رفيقي فالبته من ان تخلق له فصاح الخلاق وقد أخذ منه

العجب كل مأخذ وقال كيف أخلق للعمار أما كفي باني رضيت بان أدق  
نفسى بلسك وهل تشمتني وتستهزئ بي بسؤالك حلاقة جمارك نخذه واذهب  
من ههنا والارسلك معه الى جهنم وأمرع الحلاق بطرده مع جواره من  
الدكان فتوجه الخطاب في الحال للخليفة بعد ان ربط جواره في جهة  
واستأذن في الدخول عليه فأذن له بالحضور فلما تمسك في حضرة عرض  
للخليفة حكايته

فجذب الامر أمير المؤمنين ونادى لاحد قواده وأمره بالحضار على سقال  
الحلاق ومعه عدة أمواسه في الحال فامر عشرة دقائق حتى احضروا  
الحلاق وأوقفوه امامه

فقال له أمير المؤمنين لماذا لا تحلق لرفيق هذا الرجل حسب الشروط التي  
بينكما فقبل الارض بين يديه وقال حقاً يا أمير المؤمنين قد اشترطنا ذلك  
ولكن من يدعي في المدة السابقة بمراقبة الحمار أو من اتخذ من المتقدمين  
الحمار صديقاً فاجابه الخليفة قد صدقت في المقال ولكن هل يظن ان  
الانسان يصمم رأيه بأخذ غيبط الحمار لاحتوائها على الخطب ضمن حمله  
فارجع عما أنت عليه الآن فالحق يسد الخطاب ولا بد أن تحلق للعمار  
والافستري ما يأتيك من المضار

فانجبر الحلاق رغم أنه بطاعة أمر الخليفة وأخذ يحجز الصابون لتلييف  
وغسيل الحمار من رأسه لاقدامه ليحلق له امام الخليفة وجميع معيته  
وكان الحاضرون يزدرون به ويتمسحون عليه بالضحك ومعارضة على  
حلق الحمار وبعد ان انتهى الحلاق أمر الخليفة بانصراف الخطاب مع  
جواره بعد ان أحسن عليه بمبلغ معلوم من الدراهم وصارت أهل بغداد  
تحدث بهذه الحكاية على ممر الدهور وترغم بما كان من عدل أمير  
المؤمنين



### ﴿الفصل الرابع عشر﴾

﴿في الكلام على الرجل الذي يقابله الحاج بابا في الطريق  
ونتيجة الملاقاة﴾

(قال الحاج بابا) ثم اتيت من ميمان مشروح القلب والصدر بارئاً من  
السقام وآلام الظهر وكنت وقتئذ شاباً جليلاً المنظر وكان باقياً في كيس  
عشرون توماناً من الذهب وذلك مقدار ما توفر عندي في مدينة مشهد لما  
اقتصدت في المصروف كما علمتني تجارب الزمان وعزمت على اني في حال  
وصولي طهران أن أخلع سحجة الدراويش عني وألبس لبساً تطيقه من الرأس  
للقدم واجتهدت بواسطة بذل أموال في الحصول على درجة احسن مما  
كنت فيها للتعيش منها ولكن قبل ان أصل الى طهران بمسافة يوم تقريباً وأنا  
سائر في الطريق أتزعم وأغني بقدر ما يمكنني من علوصوتي بايات غزلية عن  
ليلى والمجنون اذا جئتني رسول واتي نحوي وبعد ان تحدثت معي قليلاً  
عزم عليّ بان آكل معه من بعض ما كولات استحضرها صحبته وليكون  
حرارة الشمس تسلطت بقوة على جسمي فلما حتى قبلت عزومته بكل ممنونية  
وجلسنا بجانب نهر صغير يجوار غيظ من درع بالحبوب وأخرج الرسول  
لللباب من فم حصانه وأشار اليه بالاكل من الغلال المغروسة ثم أخرج من  
جيب خرجه منديلاً كبيراً مافوقه جملته قطع من الارز المفضل البارد  
وثلاثة أو أربعة لفات من الخبز ونشره أمامنا وسكب أيضاً من كيس كان  
معلقاً على قصبة سرجه في وطء جزأ من اللبن الرائب وأخرج من عين الخرج  
الموضوع فيها نعاله وونه التبغ وكأنا للشرب ستة بصلات ناشفة  
وأضافها على المائدة وأكلنا بكل اشتهاً ولذة حتى انتهت الطعام من قدامنا  
بغاية السرعة فصرنا نلحق أصابعنا فمكها آسفين على انتهائه

ثم قنا وغسلنا الاوعية من النهر ومكث كل منا يتفكر في سؤال رفيقه عن  
موضوع سفر ربه المنوط بها وكان رأي من هيئة ملبوسى أنى درويش  
قصصت عليه حكايته اولا وأما هو فآخبرانه من ضمن نجاب محافظ مدينة  
استراياد ولز يادة سرورى وتيجي كان حاملا الخبير السار باطلاق سيل  
صاحبي الاول الشيخ عسكر شاعر الشاه من أسر التركمان ولكنى لم أظهر  
للمرسول معلوميتى وفرحى بهذه الرسالة لان التجارب علمتني ان من الحكمة  
التسلل بنصيحة الغير في الاحوال المختصة بالمعيشة ولذلك تجهلت هذه  
المسئلة وتنكرت معرفتى بوجود مثل هذا الرجل وقد أخبرني هذا الرفيق انه  
اجتهد في مجيئه الى استراياد بكل أمان الا أنه لم يمتلك أدنى شئ وان المحافظ  
أرسله بهذه الرسالة ليشرح عائلته بسلامته ويخبرهم بمستقره وأخرج  
الجوابات الموكلة بها من صدره ملفوفة في محرمة ليريهالى ولكونه شابا يعيل  
للقوف والاستقصاء على كل أمر وان كان لا يدري القراءة فانسرقا بلته  
مع رجل ذى دراية في الكتابة والقراءة يوقفه على مكنونات الجوابات  
فأخذت الجواب الاول وفحصته فوجدته تفكرة من الشاعر الى ملك الملوك  
مكتوبا باعظم وأتقن الالفاظ الشعرية يذكرفيه ما أصابه من التوائب  
وأفواع العذاب التى قاساها من ابتداء ما وقع في ايدى التركمان وقال من  
ضمنه ان الجوع والظمأ وما كابدته من المعاملة الوحشية وشدة العناء  
لا تساوى ذرة ولا تذكري جانب حرمانى من تشرىفى بجامعة الكرم والجود  
والحضرة المتلائمة والجوهرة الملوكة ذرة اليه والافتخار وخلاصة  
فضل الانام ملك الملوك الاعظم وبعأن أردأ حيوان يدب مسجوح له  
بالتمتع بحرارة الشمس الجليلة قبال مثل هو من أدنى وأقل رعايا الملك يلتمس  
ولو مرة بالشمس في شعاع شمسه جناحه الملوكة  
ثم انتهى باظهار الخضوع والعبودية ملتصقا من الملك انه يؤمل بان غيابه



هذه المدة لا يحرمه من تشريفه بطل أسرته وانه متلف لعودته ثانيا  
لوظيفته السابقة في خدمة جلالاته وقد ضمن هذا الجواب الكاتب الفاضل  
والاديب الكامل بقوله

حث المطى الى ذراتهم العلا \* ملك الملوك الاوحد بن الاوحد  
أومارى الوزراء فى ايوانه \* وضاعت وجوها مثل ضوء الفرق  
ملك اذا عمت ساحة فضله \* لغدوت فى ريعان عيش أرغد  
أقسمت ما كابدته فى الاسر من \* سغب ومن ظم او خطب أنكد  
ما كان يبلغ عشر ما قاسيت من \* ألم الفراق عن المليك الامجد  
تاج الفخار ودرة المالك التى \* تعلو التجوم بضوئها المتوقد  
من لى بان أخطى بابس رفته \* منه فاطفر بالرحاء الاسعد  
انى على ثقة باحسانه \* وأجلها فى النفس تقبيل اليد  
ما صاغت شفه امرئ الا اعتدى \* شرفا تصاغسه عين السود  
فعسى المليك يعيدنى لوظيفتى \* كرمافا لحق فى عداد الاعبد

أما الجواب الثانى فكان بعنوان الصدر الاعظم ووصف هذا الوزير المشهور  
الهرمسي السلوك المشهود له بالوقاحة وعدم الانسانية بانه كوكب سيار  
ذو ذنب بين التجوم وجعله أيضا الملقب المعول عليه والذي يرتكن اليه فى  
المملكة ثم عرض له الشاعر حكايته وطلب منه الدخول تحت لوائه وحمايته  
ليتوسط له عند الملك فى نقاء وظيفته

ثم وجدت جوابا بهذا المضمون تقرى بابا باسم عدوه القديم وهو الخزندار  
الاعظم وبحث فى الجوابات التى برسم عائلته فوجدت خطا بابا باسم زوجته  
وآخر باسم خوجه ابنه وجوابا ثالثا برسم وكيل دائرته

أما جواب زوجته فيتمكلم فيه عن التريبات الداخلية التى فى الاندرون  
وأراها انه يؤمل منها تدبيرها فى الاكل واللبس وتحفظها على الجوارى

بغاية الاعتناء وأمرها أن تنهي مع جواربها في تفصيل ملبوسات اليه  
لتجرده من جميع الادوات والملبوسات

وأما جواب الخوجة فأوصاه بان يدير التفاته الكلى نحو أحوال وسلوك ابنه  
وتعشم بحسن تربيته وتعليمه فنون الادب والانعام والتجربة وانه لا يترك  
فروض الصلاة ولعله في هذا الوقت وصل الى الدرجة التي يمكنه فيها أن  
يركب حصانا واستعد في فنون ضرب الخراب وطلق البندقية مصيبا وهو  
على آخر صرع من الرماحة

وأما جواب وكيله فذكر له تعليمات عمومية مختصة بمصالح أشغاله وأوصاه  
بالوفر والتدبير وان يتوجه يومى للصدر الاعظم ويمدحه مدحاً رائدا حتى  
يعليه للسعوات السبع ويسمى بكل همة ونشاط لازدياد ثروته وسعادته  
وأن ياتى بالله ويتحفظ بكل دقة على نسائه وعبيده ويمنع زوجته عن  
الاكثار من التوجه الى الحمام واذا خرجت مع جواربها للترهة وشتم الهواء  
فلا يتركهن بمفردهن بل يصاحبهن حين عودتهن من الفسحة

ثم قال له انه يؤمل من حسن التفاته منع النساء المؤامرات الحاملات بجراب  
الحيلة خصوصا اليهود من دخولهن داخل باب حرمة وان تكون الحيطان  
والاسوار المحيطة بما كن حرمة حصينة ومتينة وقاية في الانتظام لكي  
يتمنعن عن الزحف الى الجيران من سطح المنزل وأمره ايضا بانه لا يسمح  
الى عبيده جواهر الاسود من الاآت بالدخول الى الاندرون وانه اذا تباعغ  
اتحاده مع بعض الجوارى أو مسامحته معهم فيجبرى ضربه وضربهم  
بالكر باج ثم أمره أخيرا باعطاء حامل هذه الرسائل مكافأة عظيمة جزاء حله  
هذه البشرى السارة لعائلته

(قال الحاج بابا) وبعد ان قرأت هذه الجوابات ووقفت على ما فيها من  
المشتملات لفقتها كما كانت ووضعت ما كان محتوما عليه في ملفه المختوم ثم



ناولته للرسول الذي تعشم انه سينال مبلغا وافرا مكافأة له نظير حمله أول  
بشرى مؤذنة بسلامة الشاعر وأخبرني انه لخوفه من ان يسبقه أحد فكان  
يسير ليلا ونهارا وقال ان الحصان الذي يركبه الآن ملك لأحد الفلاحين  
اغتنصبه منه أثناء الطريق وتركا له حصانه بدلا عنه لضعفه وان الفلاح  
متبذره به لخلاص حصانه

فبعد ان فرغ الرسول من حديثه غلب عليه التعب بقوة شديدة حتى أخذ  
النوم واستغرق فيه كل الاستغراق وبمجرد اضطجاعه على الحشيش مكثت  
أظفر اليه وابتدأت أن أتأمل وأبصر في أسهل طريقة للتزود برسالته  
وهو في غريق غفلته

ولكنني في نفس الامر خير اواقعة الشاعر وغير ذلك قد أضاع فكري بزيادة  
تحقيقها بهذه الأدلة والبراهين فلهذا حاولت لي الحق بان أكون أول  
مبشر بهذه الرسالة وأما الحصان فكان انه يخصه فكذلك يخصني بزيادة  
عنه لانه لا يمتلكه سيماسا كون أول رسول بما ان الفلاح متبذره الا ان  
بحصانه الاصلى وعلى ذلك قحت منديل الجوابات الذي مازال في حضنه  
وأخذت منه جواب وكيل الشاعر وعاون الحصان وعمرته في جانيبه  
بالمهموز فرحني وكاد ان يسبق الهوا حتى اني في برهة يسيرة قطعت مسافة  
طويلة تارك النائم خلفي واجتهدت في السير بنجاح عظيم فاصد طهران

وبمجرد ما امتطيت الحصان تأملت في أسهل طريق أسلكه وتدبرت في  
أحسن طريقة أتوسط بها الاتصال بعائلة الشاعر وأثبت في عقولهم هذا  
الخبر لكي يصدقوني وأتحصل بذلك على المكافأة التي كانت من نصيب  
الرسول قبل وصوله لاني حبت اني أسبقه على الأقل بمسافة يوم بما انه  
بعد تيقظه من النوم يلزمه السير على قدميه مسافة حتى يتيسر له الحصول  
على حصان آخر ان لم يحصل على حصانه الاصلى الذي كان على شاك عظيم

من حضوره اليه ولو فرض ومشى على قدميه فيلزمه مدة أيام وقل أن  
يصدق واحد في المائة لأنه محتمل أن لا يعبره أحد بهما لكونه عليه  
هذه المسافة

أما أنا فقصدت بحال وصولي مدينة طهران أبيع الحصان وعدته جميعها  
على قدر ما يساوي في المزا ثم اغبر ملابس الدراويش بلبوسات أهل  
الريف العادية وأرهدل نفسي على هيئة انسان حضر من سفر بعيد  
وأوجه لمنزل الشاعر وأقف على الباب وهناك أقص الحكاية باحسن  
ما يمكني بعدوبة الالفاظ وطريقة سهلة الفهم وابين لهم معرفتي جيدا  
ووقوفني على جميع أحواله المختصة به التي بها يصدقوني

### ﴿الفصل الخامس عشر﴾

﴿في وصول الحاج بابا مدينة طهران وتوجهه

الى منزل الشاعر﴾

فدخلت مدينة طهران عند شروق الشمس من بوابة الشاه عبد العظيم  
وقت فتحها وفي الحال عرضت حصاني للبيع في السوق المنصوب يومى لهذا  
التصدد بعد ان برهنت على جودته وشدة معرفته في المسير من جنس  
الرماحه التي حضرت بها من وقت تركي للرسول ولكن اخبرني دلال الخيل  
بعد ان كشف عليه جليا انه مملوء من العيوب الكثيرة وبذلك قلت في ضميري  
أكون سعيدا لو أتحصل على أى قيمة يباع بها

وكان محبلا من أحد ساقيه وذات اشارة بيضاء على انفه وكلاهما مكروه  
ومجنوس القبة عند الاما جم سيما وكان طاعنا في السن أسود الاسنان  
وقد ظهر بالاختصار ان كل صفة موصوف بها لا يلزم وجودها في الخيل ولذا  
دهشت عند تقديمه لي خمسة طومان قيمة ثمنه بشرط ان أترك البجام



والسرج ضمن المسواق وقد أخذته العجب أيضا لا طاعني له من أول كلمة  
وقبول ما قدمه قد دفع لي نصف القيمة نقدا وواعطاني جارا أهلكه الجوع  
قيمة النصف الباقي فرفضت هذا الطلب فوعدني بدفعه نقدا عند المقابلة  
ثانيا وبما اني كنت في غاية من الجملة الزائدة التي لا تنجح لي استمرار  
المسواق ذهبت عاجلا الى السوق واشتريت قارورا اسود وخلعت طرطور  
الدروشة ولبسته فلما هيئت نفسي بهيئة رجل مسافرات من بلدان بعيدة  
اعتددت لطريقي المؤدى لمنزل الشاعر حيث وجدته كائنا في مربع ٣٠  
داخل المدينة وحوله البساتين المملوءة من اشجار الفاكهة وعلى شارع  
ممتد بجانبه خايج محاط باشجار الشينار من البهتين الا انه حقيقة يرى على  
المنزل دلائل الحزن وتحدثه بغيوبة سيده ولسان حاله يقول

أمست خلا وأمسى أهلها احملوا \* أخنى عليها الذي أخنى على لبد  
وكانت بوابته نصفها مفتوحا ولا ديب يدب حوله ولا صوت آدمي في حوشه  
فلما دخلت وسطه لم أرفيه أحدا حتى وقفت بعد التأمل الزائد على قرائن  
اتضح منها وجود رجل يسكنه فضعف عزمي وقلت ان ذلك اشارة لعدم  
حصولي على مكافأة موعود بها

فانجھت أخيرا محل عال كائنا فوق البوابة فوجدت فيه رجلا يبلغ من السن  
خمسين سنة تقريرا جالساً على بساط يشرب في شيشته فتعققت من هيئته  
بانه هو نفس الرجل الذي أبحث عنه أي الوكيل فحكيت في الحال بشري  
بشري الخان آت فقال (يكى شاه) الشاه الجديد ماذا تعني أي خان وأين  
ومنى فلما بثت له حالي وقدمت له رسالتى التي باسمه فتفحصها وقرأها ووقوفه  
على ما احتوته وجدته ارتبك في أمره وذهل عقله وامتزج بالفرح والحزن  
مما دهاه وقال لي المحقق أنت بحياة الخان فأجبتني في غاية التحقيق من  
ذلك وسيأتىك رسول في مساء الغد يحمدك بكلمة أخبار ويطمنك زيادة

عن سلامته حاملا خطابات للملك والوزراء وغيرهم فلما سمع كلامي وتحقق  
صدق مقال صاح سياحات متقطعة وتأوهات متنوعة حتى كاد يلحقه  
الجنون ويخاطب نفسه ويقول

يا للعجب من هذا الشغل الغريب الذي ما كان يظن حصوله بذكر اللبيب  
وانها لداهية دهماء أوجبت لنا العار واسقطت على رؤسنا الغبار وسودت  
منا الوجوه وتعقبنا بكل مكروه فأين نذهب وماذا نفعل

فلما فرغ من لهجته وفاق نوعا من سكرته اجتهدت في تعقبه بان أسأله عن  
ايضاحات ما أبداه من الصيحات المزعجة المتسببة من هذه المسئلة ويخبرني  
عن سبب غضبه ودواعي كربه الظاهرة مع انه كان الواجب في مثل هذه  
المسئلة اظهار الفرح والسرور ورفع هذا كله ما كنت اجمع منه الا قوله

لا بد وانه توفي كل انسان يقول انه توفي وأن زوجته رأت مناما أنها فقدت  
ضرسها الكبير الذي كان يؤاها ويستدل من تفسيره انه توفي وبخلاف  
ذلك فان الملك قرر رأيه على ذلك فحاشاه أن يكون حيا ولا يتأتى انه على قيد  
الحياة

فقات أيها الوكيل لو سلمنا انه مات فلنفرض انه من أهل الكرامة والناس  
الصالحين وقد حضر ثانيا الى مدينة استراياد من ستة أيام وانه سيثبت حالا  
ذلك بشخصه باظهار نفسه في طهران اثناء الاسبوع الآتي

وبعد ان مكث الناظر يتفكر ويتعجب هنيهة لهذا الامر قال لي لا تندهش  
من حيرتي ما لم آخذ برك عما حدث هنا من الذوادر التي أعقبت خبر وفاة  
سبدي وهوان أول أمر لما تحقق وفاة سبدي حجز الملك على جميع أمتعته  
وأمايته وما فيه من الفروشات والخدم ومن ضمنهم الجوارى الجرجانية  
فأنعم بها على خور على ميرزا وهو أصغر أولاد الملك وأما بلده وما فيه من  
الاطيان الزراعية فامتلكها الوزير الأول وأما وظيفته فعمارة قريب يتعين



فيها ميرا ز فضول والذي هو أعظم من هذا وذاك هو أن زوجته تزوجت  
 بخوجة ابنه فأخبرني إلا أن بعد ذلك كله أيجوز لي أن أتدهش أم لا  
 فلما سمعت كلامه واقفته على أحقيته بما وقع منه إلا أنني سألته بوقتها عما  
 يكون فهو مكافأتي فأجابني الناظر قائلاً (آه) أما من هذا الخصوص فلا  
 تنتظر مني شيئاً لأنك لم تأتني بأخبار سارة ولك أن تطلبها من سيدي عند  
 حضوره إذا رغبت وأما أنا فلا أعطيك شيئاً  
 فلما كررت عليه أوعدني بالحضور في أحد الأيام وعلى ذلك تركته غريقاً  
 في تأملاته الخصوصية وخرجت من المنزل لحال سبيلي

### ﴿الفصل السادس عشر﴾

﴿في تحميل الحاج بابا على طرائق لمسته قبله﴾

ووقعه في مشاجره﴾

ثم اتني عزمت على انتظار وصول الشاعر وان اجتهد بواسطته للحصول على  
 وظيفة أستخدم فيها حتى أنكسب مؤنتي بكل شرف وأترب أي فرصة  
 تكون سبباً في ازدياد معيشتي وان لا أستعمل مسائل الخيل والغش التي  
 تعودت عليها المأصايني من النصب لمراعاة الوضيع والتبجح لاني شاهدت  
 جملة أمثال امامي من الرجال الذين اجتهدوا في رفع درجاتهم في الدنيا  
 يعلقون آمالهم بطلب المال والشرف وان منهم من كان مجهول الاصل  
 مثلي وبوقتها اشتغل فكري بشؤون الترقى حتى انه قرر بعقلي حالة ساو كي  
 عندما أبلغ درجة وزير أول

ثم خاطبت نفسي وقلت ومن هو ومن يكون امم عييل بن تلي أكبر محبوب  
 وجليس للشاه أليس هو الا فراشا وانه ليس أجمل مني ولا متكلماً عني ولو  
 كان هالك فرصة يمكنني فيها مضاهاة فروستنا في ركوب الخيل فعلى ظني

ان الرجل الذي تربى بين التركان يرى حركات الركوب وكيف تكون حالتها بما هو عليه من الشهرة العظيمة

وكذلك من هو الخزندار الاعظم الذي يملأ خزائن الملك بأنواع الذهب ومن ذا الذي يجهل أصله ونسبه وعرقته في صغره ما هو الا ابن خضري وابن الخضري والمزين حالة واحدة بالنسبة لحوالنا الشخصية بل أنا أحسن منه لمعرفة بالقرأة والكتابة وأما سعادته كما ينقل عنه لا يدري شيأ من ذلك ويأكل ما يشتهي ويلبس كل يوم رداء جديد او هو الشخص الثاني بعد الشاه يتلذذ بجميع محاسن العجم ومع كل هذا وهذا أجمع جميع الناس يتحدث بجهالة وعدم معرفته شيأ وانهم يعتقدون انه لا يزيد عن (خوري تشديد) حمار كثير النبيق

وما زلت أتلبس بجلباب التخيالات وأجول في بحار التصورات وأنا متكى نظري على حائط أحد الشوارع المزدهجة الذي يؤدي الى بوابة السراية الملوكية وأشغلت الافكار في أسيااب عظم مستقبلي حتى اذا استقرزت للقيام وأردت المشي هجمت في الزحام وفرقت الجوع بقوة ليخاولي الطريق وكنت أتخيل في نفسي ان هذا أمر يجب عليهم اجراؤه والبعض نظري شذرا والبعض هجائي والبعض ظن أنني مجنون

وحقيقة لما عاد لي عقلي وتأملت في ملابس الرثة ورأيت ان هيتي كهنة السائلين للصدقة لم أملك نفسي من شدة التبسم على تعجبهم وذهولي فذهبت قاصدا سوق الملابس عازما على ثمر اداء مناسب ليكون ذلك أول خطوة نحو تغيير هيتي لمعيشة أخرى

وبينما أنا سائر في الزحام صادفت في طريق مشاجرة عفيفة بين ثلاثة رجال يسبون بعضهم بالفاظ قبيحة خارقة للعادة فوجدت داخل الحلقة المحيطة بهم للفرجة عليهم فلفضحتي رأيت الرسول الذي غششته وخنته مع الفلاح



يتهمان على دلال الخيل ووجدتهما تمكنا من اغتصاب الحصان الذي  
بعته له والفلاح يقول هذا حصاني والساعي يقول هذا سرجي ودلال الخيل  
يصيح ويقول الحصان والسرج تعلق فلما علت بوقتها ان هذه المسئلة تمسني  
واني قريب من الوقوع في الخطر وأردت الانسلا من هذه الورطة فحني  
الدلال وما أدري الا وقبض على منطقتي وقال ها هو الرجل الذي اشتريت  
منه الحصان

و بمجرد ما عرفتني الرسول في الحال انقلبت شدة هياج المشاجرة على مثل  
الصاعقة حتى كادت رأسي تشق وعادت على حداثها وصعوبتها بالمسبات وما  
كان يقع بآذاني الا يكونهم يلقبوني قائلين يا ابن الزنا يا ابن الحرام يا حرامي  
يا غشاش بدون ان تاخذهم في ذلك شفقة فكان الواحد يصيح قائلا يا ابن  
حصاني والا تخر بصرخ بقوله اعطني سرجي والثالث يترى يصيح قائلا رد لي  
دراهمي والحلقة تقول ارفعوه للقاضي فقصيرت عند ذلك وصرت أردد  
تظري في الوجود اطلب العفو فلم أجد لنجاتي مخلصا ولا لقوس الرجا مستزعا  
و كنت تارة أصبح وأقسم لهم باني لا أعرفهم وتارة أدافع بقوة عن نفسي  
وأخرى أتملق اليهم وأريهم اللين والرقه للمسالمة والمصالحة واستمررت على  
هذا المنوال مدة عشرة دقائق في أول الامر ولم أسمع أحدا الا ويدي خزنه  
وأسفه على هذه الحالة فان غضب الرسول كان شديدا ولم يهدأ له خاطر اما  
الفلاح فكان يث شكواه مما تزل به من الظلم وعدم الانصاف واما الدلال  
فكان يدعوني بكل لقب ذميم لسلي دراهمه فن تحيرى صرت أتحدث مع  
الاول وأتملق للثاني والاطفه وأعنف الثالث وأنوعده فمكنت أقول  
لرسول ما هذا الغضب العظيم ان كان لسرجك فيها هو سليم ولم يمس به ضرر  
ولا حاجة لك غير ذلك وأصبح على الفلاح قائلا اقصر لسانك لانك لو وجدت  
حصانك بالفعل قتيلا لكان لك الحق في الكلام نخذه واذهب لحال سيالك

واشكر الله على وجوده سليما واما الدلال فكنت أسببه واعززه وأشتهه بقدر  
ما يمكنني بحالة حدة رجل فار بشدة الغضب على حصول غش في أمتعته  
وخاطبته قائلا مستهزئا

حقيقة لك الحق في التكم بهذه الالفاظ لما حصل لك من الغش مع كونك  
تعلم لهذه الحقيقة أنك لم تدفع لي الا نصف ثمن الحصان وانك كنت تريد ان  
تخدعني وتغشني بحمار مقطوع النفس لا يساوي شيئا قيمة النصف الاخر  
ثم انني أردت استرداد الدراهم اليه ولكنه أبى ذلك ما لم أدفع له قيمة أجرة  
حفظ الحصان فنشأ من ذلك مشاجرة أخرى فاقت الادلة والبراهين من كل  
طرف فلم يقتنع أحدهم وبناء على ذلك اتفقنا في الحال على التوجه الى  
(الدروجا) أحد ضباط المستحقين ونبت دعوانا امامه فيحكم بيننا ويقطع  
زاع المشكل فتوجهنا اليه فوجدناه في مستقره الكائن في السوق بين  
أربعة مفارق وحوله المستحقون ممسكون بشماريح طوالا مستجهزة للضرب  
على أول واحد مذب فتمثلت امامه وقصصت عليه جميع المسئلة ومحتوياتها  
وكررت مع غاية التوضيح بكل نشاط ما أبدأ الدلال من الغش الظاهر  
للعيان فعند ذلك أجابني الدلال وأراني ان مادام الحصان لم يكن ملكا له بل  
مسروقا من شخص آخر فلا يكون لصاحبه الا على الحق في دفع قيمة حراسته  
والزمني بالأجرة

فلما أعيت هذه القضية الضابط للفصل فيها لاختلاف أقوالنا وعدم  
مصادقتنا وكان على قرب لاحتها على ديوان القاضي فاعترضه شيخ هرم  
كان واقفا بجانبنا وقال ما هذه الاهمية والصعوبات التي تظهرونها في حل  
مسئلة سهلة فعند ما دفع الدلال نصف الثمن الباقي فالحاجي حيثئذ يدفع أجرة  
حراسة الحصان المدة التي كان موجودا تحت يد الدلال وبذلك ينتهي الامر  
فصاح كل من الحضور وقال للشيخ (بارك الله بارك الله) وجميعهم تعجبوا من



عدل الشيخ واستحسنوا حكمه سواء كان حقاً أو باطلاً وعلى ذلك قض  
الضابط الجلسة وأمر نأذبه بسلام  
فن وقتها لم آتأخر لحظة في استرداد نصف ثمن الحصان للدلال وتحصلت  
منه على سند باستلامه جميع المبلغ وذلك بعد أن مكث يتأمل في كيفية هذا  
الحكم المبني على غير وجه حق وظهرت حيرته وارتباكاً في السبب الموجب  
بالزامه بدفع أجرة حراسه الحصان مادام ليس مملوكاً له سواء كان يدفع لي  
نصف الثمن أو الثمن بتمامه وتحقق غشه في قبول هذا الحكم ومن حسن  
بحتى حول غضبه عني وصار يلوم الضابط وينسبه للخبول وقال إن الإنسان  
الذي لم يكن له معرفة ويتدخل في مسائل الشرع فيما لم يكن له حق في  
دعواه بالعفة والشرف

### ﴿الفصل السابع عشر﴾

﴿الحاج بابا يلبس رداءً جديداً ويتوجه الحمام

ويظهر في كسبه الجديد﴾

﴿قال الحاج بابا﴾ فشكرت الله الآن لخلاصى من هذه المسئلة المذكورة  
التي جلبتها بنفسى على رأى وهنيت نفسى على نجاتى بدفع مبلغ يسير ثم  
عمدت ثانياً إلى سوق الملابس وتوجهت إلى أول دكان في أول البوابة  
وسألت عن ثمن الجوخ الأحمر لتفصيله بارونى (برنسا) مؤملاً أنه ينقل إلى  
الاعتبار والهيئة التي أراها على الذين يرتدون به فلما نظر التاجر لمبى  
وهينى قال لي محتمراً أريد حقيقة أعمال بارونى فلمن تشتره ومن ذا  
الذى يدفع ثمنه فأجبتة تحقنى أنى اشتريه لنفسى ولبسى

فقال وما الداعى لرجل حقيق ففسر يريدى لبس هذا البرنس فلا يلبسه إلا  
الحائزون لقب مرزا والناس ذوو الوقار والاعتبار وأنا على يقين أنك

لست من أحد الفريقين ولا ذاهبة بل من أقل الناس قدرا واحتقارا  
 فلما أردت الرد عليه بغضب شديد مر بجانب دلال حامل ملابس مستعملة  
 من كل نوع ينادي عليها للمبيع ففي الحال دعوته وترك التاجر ومجادلته  
 فلما نظرت في هذه الحالة ناداني مرارا فلم أجبه بل تركته يتقدم على سرعة  
 طردي بهذه الكيفية بدون وجه حق وأخذت الدلال وتأخرنا لمحل جهة  
 باب مجاور الجامع وهناك انزل الدلال حمله ونشر بضاعته امامي فرأيت  
 فيها عنتري من الحرير مزينا من الامام شريط من القصب الذهبي  
 وبالمثل زراثره فقبعضت عليه وسألت عن ثمنه فابتدأ الدلال يبالغ ويدهج  
 في حسنه ويستحسن ذوقي له لا يتخابي اياه واقسم لي انه ملك لاحدى جوارى  
 الملك الجرجانية المحبوبة عنده ولم تلبسه الا مرتين فقط

ولما رأني أجربه على نفسي ومقامي صار يدور حولي ويتأمل لي وهو يصيح  
 قائلا (ما شاء الله ما شاء الله) انه عظيم الكسم وحسن المنظر عليك فاستحسنات  
 أخذه لا ببساطي منه ومالت نفسي لمشتري طيلسان اتلفعه به يكون موافقا  
 للعنتري فانخرج طيلسانا كشمير يا قدعيا ممسلا من الخروق والرفى وأكاد  
 لي انه تعلق احدى الستات الموجودات في حريم الملك وقال انه يبيعه لي بثمن  
 مناسب دون القيمة فغروري أداني الى أن أفضل هذا الطيلسان على الشال  
 الكرمانى الذى اذا كنت أشتريه ربحا أدفع فيه قيمة ما أشتري هذا  
 الكشمير القديم المستعمل ثم صلحته وطوبته وأخفيت ما فيه من العيوب  
 وتمنطقت به على العنتري ووجدت انه لا يحتاج شيئا سوى مديته تغرس فيه  
 وبذاتى تم هيئة الملبوس فتأوانى الدلال مديته ورشقته في منطقتي  
 وانبطت من الدلال لما وجدت نفسي مشحونا بهذه الملبوسات حتى اننى  
 لم يمكنى مقاومة اظهرا انبساطي ورضائي للدلال وهو بالمثل كان يتأخر  
 لخلاف ويتأمل لي ويؤكد انه لا يوجد في مدينة طهران رجل أجمل وأحسن



منى فى اللبس والكسم

وبعد ان اتهمنا من ذلك وعدنا نقطع الثمن وجدت المسئلة فى دور جديد  
وتغيرت لدرجة عالية وذلك ان الدلال ابتدريو كدلى عن عفته وشرفه  
وانه ليس مثل الدلالين الاخرين الذين يطلبون مائة ويرسى طلبهم على  
خمين وقال انه اذا تلفظ بكلمة يلزمنى ان اعتمد عليهم او اجعلها عين الحقيقة  
وبعد ذلك طلب منى خمسة تومان ثمن العنترى وخمسة عشر فى الشال  
وأربعة فى المديحة والجميع أربعة وعشرون توماناً

فلما سمعت هذا الثمن الغالى منه هبط سرورى لانه لم يكن عندى الا  
عشرون توماناً فى جيبى فأردت خلعه او اعاده ملابسى القديمة كما كانت  
فاوقفنى الدلال وقال أظن ان هذه قيمة زائدة فاقسم لك برأسى وحياتك  
انى اشتريتهم هذا الثمن ولكن اخبرنى عن القيمة التى تريد دفعها فاجبت  
ان هذا الثمن الغالى لم يخطر ببالى وما انى بفكرى ذلك ولكن لو سمعت لى  
بخمسة تومان فى جميعهم فلا لباس من مشراهم

فابى الثمن محققاً وعلى ذلك قلعت ملابسه ورددت اليه أمتعته فلما جدها  
وجملها ورأى ان الانفصال انتهى تقريباً قال انى أراك صديقاً الى وأود  
معاملتك مثل أخى فخذها بعشرة تومان فرفضت طلبه ثانياً وقفنا نجادل  
بعضنا حتى اتفقت معه بان أدفع له ستة تومان وتوماناً واحداً على سبيل  
الهدية اليه فالتفت حديثى الاوسمخ بالثمن فدفعته له الدراهم وربطت  
مسواقى وجلسته وعزمت بالذهاب أول شئ الى الحمام وهناك ألبس  
ردائى وأتظم نفسى وفى أثناء طريقى اشتريت زوج نعال بكعب عال وقبص  
ديباج أزرق وسروالين خرقى ورمى وربطت الجميع مع بعض فى منسدلى  
وتوجهت مسرعاً الى الحمام

فدخلته بدون أن يشعربى أحداً لان رجلاً مثلى رث الهيشة لا يحدث نحوه

أدنى التفات ولا احساس لجهته فسليت نفسي بالتأمل في تغيير حالي حالما  
ارتدي بملابسي الجديدة فوضعت حقيقتي في إحدى زواياه عند رجل وفيها  
أيضا خلعت ملابسي ولفقت جسمي بقوطة ودخلت الحمام حيث داخله  
لا يعرف فيه الغنى من الفقير بل الكل بمنزلة واحدة في الشكل وصرت  
الآن اتملق لنفسي وأقول ان كسبي اللطيف وصدرى العريض والعنقري  
الضيق المسبول يجعلاني عرضة للغرور والكبر والعجب بنفسي

ثم اتى دعوت المكيساني وأمرته بان يجري ما يلزم لي من عملية التدليك  
والتكيس المختلف بيده فوق جسمي ويستعمل في المحلات الخشنة  
الكيس الشعرو أمرته أيضا بحلاقة رأسي وتجهيز الادوات اللازمة لصبغ  
لحيتي وشواربي وضفائري وبالمثل يدي وباطن أرجلي وليجهز أيضا آلة  
الشف لا زالة ما عندي من الشعر الداخلى وبالاختصار أعلنت ما في عزمي  
من تحملي مشاق التطهير والتنظيف لا تحدرجة وبمجرد ما ابتداء المكيساني  
في التدليك أظهر تعجبه من عرض صدرى بصراخه المكرر ولكن لكوني  
الآن أخذت في أسباب اظهار السلطة والهيبة التي ستنشأ من ملبوسى  
الجديد فسلكت مسلك الذين تعودوا على المدح والالتفات مع هذا الرجل  
وقال لي انه ما كان يمكننى الحضور في أسعد ساعة مثل هذه الساعة لانه في  
هذه اللحظة انتهى من خدمة خان أحسن عليه الشاه ببذلة الشرف نظير  
احضاره اول بطيخة ظهرت باصفهان فارسل الى الحمام بواسطة المنجمين  
في الوقت المعلوم عندهم بانه اسعد وقت يابق فيه التوشيح بالرداء الجديد

هذا ولما انتهيت من الاغتسال احضر لي المكيساني ملايات دافية ولفقتها  
على جسمي ووصلنى للمحسل الموضوع به ملابسي وبوقت ما قمت الحقيبة  
ونظرت لخلعتى وزينتى دخل على السرور والاشراح الزائد الذى اعجز عن  
وصفها حيث أصبحت في دور جديد وكما ألبس شيئا يزداد تغيير شكلى



بالنسبة لما تلى السابقة ومن يوم ما نشأت إلا أن لم ألبس الحرير إلا في هذه  
الساعة وربطت مروالي الحرير على هيئة رجل مناتق في لبسه وعند  
سماعي جلملة العنبري تعلق كنت التفت خلفي بحالة العظيمة لا تظر من  
براني ولسان حالي يقول

اسيلات ابدان دقاق خصاره \* اثيرات ما التفت عليه الما تر  
وأما طيلسانى فوضعت حول عنقي بغاية الاتقان والطرافة وكان نازلا منه  
جزء يسير من الامام ومنتشر قليلا على ظهري ولما وضعت المدينة في  
منطقتي ورأيتها تطلع تصورت انه لا يمكن لاحد التزيين مثلي وساويت قفة  
قاروقى على شكل ملوكى ووضعته على رأسي ما تلاجدا من جهة على جهتي  
ثم ولما أضرت لي الحماى المرأة لا تظر نفسى علامة على دفع الأجرة أخرته  
حتى أعان واماوى صفائرى وأبرمه ها خلف اذنى ورفعت شواربى جهة  
عيني وبعد ذلك دفعت له الأجرة بكل لطافة وانسانية وتركت بدلتى القديمة  
في حراسته ثم خرجت من الحمام بهيئة رجل من ذوى الاعتبار والمقام  
بحفاهة قبله بحذاء مدبرة \* مخوطة جدا لشبهاء أنياب

### ﴿ الفصل الثامن عشر ﴾

﴿ رجوع الشاعر من الامر الى وطنه وما ناله

الحاج بابا من عواقب عودته ﴾

ثم اتى سلكت الطريق الموصل الى منزل الشاعر مؤملا استنشاق الاخبار  
عنه فلم يجد في آخر الشارع جملة ناس من درجة على بوابته وبوقها اخبرت  
انه حضر في هذه اللحظة وطلع من سطح المنزل بدلا عن دخوله من الباب  
على حسب العادة المعتادة عندهم ان كل رجل تبالغ عنه اثناء سفره وفاته  
وعاد الى وطنه فانه يدخل البيت من أعلى منزله

ففي الحال هجعت بنفسى بين الجوع وتوجهت الى المحل الجالس فيه الشاعر  
وهنا ته بوصوله سالما وانا مظهر له جميع علامات الفرح والسرور والكلى  
وبعد ان اوضحت له عن اسمى ومن انا لم يتسذكرم معرفتى وكاد ان لا يصدق  
ان واحدا مثلى بحالة النظافة والتألق وانتظام لبسه يكون نفس الرجل  
الوسخ الوحشى الرث الذى تعارف معه حالة أسره

وكانت الصالة فاصلة بالناس من ك كل نوع البعض فرحون بسلامته  
والبعض خاب أملهم ومكثرون ومن ضمنهم من رافضول الذى كان تعين فى  
وظيفته وكان يكثر من التحية والسلام والتلقى اليه ولم يسكت عنه لحظة  
الا ويحييه صانحا بقوله لقد كان محلك خاليا مظلما فأصبح نيرا بتشرى فلثاياه  
وقد فورت المسكان وكشفت الظلمة عن أعيننا

وما زال على هذا المنوال مدة مكثه لا يقطع الكلام حتى «معنا أخيرا ضجيجا  
عظيما ففتحت الابواب واذا بأحد ياوران الشاه حضر وطلب من الشاعر  
قيامه حالا وتوجهه عند الملائك فقام وعليه ملابس السفر وهو  
مملوء من الغبار وتوجه بالحالة التى كان سائحا بها

فعند ذلك تفرقت الجوع من المكان ونخرجت انا من المنزل عازما على العودة  
ثانى يوم ولكن حال خروجى صادفت الناظر فى طريقى الذى كنت تحاورت  
معه سابقا عن حضور الشاعر وما كان يرى عليه انه من الناس المسرورين  
بحضوره فقالت له (باسم الله هل تحقق لك صدق مقالى بحياة الخان)  
فتنه من صميم قواده وقال لقد صدقت يا حاجى بحياته فاسأل الله أن يبقيه  
عمرا مديدا والله على كل شئ قدير

وبعد أن صاح بالدعاء مرتين ثلاثة تركنى وهو مملوء من الغيظ والخيبة وقد  
امضيت باقى يومى وانا أجول فى كل جهة وابنى قسلا عافى الهواء ثم تمشيت  
داخل الاسواق ودخلت الجوامع وحشرت نفسى بين الكلى الكثيرين



العدد وحول السراية الملوكية فوجدت أخبار هذا اليوم مقتصرة على رجوع الشاعر والحالة التي استقبله بها الشاه فالبعض قال ان الشاه لما بلغه حضوره أوري استحالتة ولم يصدق وقال لا بد وانه توفي وأيقن بموته والبعض أخبر بضد ذلك على أن الشاه أخبر بحضوره وأمر باعطاء المبعث بهذا الخبر عشرة تومان

مع ان الحقيقة هي ان الملك لما بلغه الهيجان الحاصل لحضور الشاعر تكدر وخاب أمله بالنسبة لا بطل الترتيبات التي نظمها بخصوص منزله وأمتعته ولذا ضعفت همته في استقباله استقبالا حسنا ولكن لوقوف الشيخ عسكر على حالة الملك وميله الزائد لسماع الاشعار وبالاخص من صنف الاشعار التي يغنون بها في المدايح الملوكية فكان الشاعر من شدة فطانتهم متذكرا هذه المسئلة واستحضر على قصيدة أنشأها حال وجوده في أيدي التركان ولما ان رأى اغبرار الملك من جهته والاعراض عنه في الحال قام وتلا القصيدة من تجلا حتى ان الملك بسماءها بعد ان كان صارفا للنظر ومحو لا وجهه عنه انشرح صدره ومال اليه ووجه التفاته العائد بالمنفعة عليه فحوه وبالاختصار حشى فاه جوهر اقطير ما كابد من المشاق وخلع عليه خلعة من أنحر الملبوس وأعيد لوظيفته وأمر له برديج أمتعته وكافة ما كان يمتلكه

فلما بلغني هذا الامر انشرح صدري وقت بلا تواني قاصدا تهنتته بالثاني حيث لم يكن لي سيد ولا ملجأ خلافة ولسان حالي يقول

سعد الزمان وساعد الاقبال \* ودنا المنى وأجابت الآمال

واستمررت على التوجه كل صباح بدون أن تأخر يوما الى مجلسه الرسمي ولما نيقن من معرفتي واشتد ميله نحوي شرحت له حالتي وزجيتة اما أن يعينني في وظيفة في دائرته أو يتوسط لي عند أحد أصحابه ليتخذني خادما عنده

وقد اطلعت على ان الاسباب الموجبة تلجبة الناظر على رجوع سيده هي  
 ناتجة من خوفه مما نسب اليه من اختلاسه في أشغال خاصته ولكوني  
 باسباب ذلك تأملت فوظيت في محله فكنت أظهر غيرتي الشديدة فيما يعود  
 بالمنفعة على الشاعر وأخفيت عنه جميع ما أعلمه عما أجراه خدامه من  
 التقصير ومع ذلك لم أنجح في هذا المشروع ولربما كان السبب زيادة تبصره  
 عني ووقوفه على جميع الاحوال أو كون الناظر اتخذ الاحتياطان  
 القوية في براعة نفسه أو خلاف ذلك مما لا أعلمه حتى اخيل عقلي في إيجاد  
 الحقيقة وانتهى الحال على ابقاء الناظر في وظيفته واستمررت مواظبا  
 لمفله الرسمي بصفة تابع مع عدم انقطاعي عن أداء الخدمة يومي

فاخبرادعاني اليه عسكر الشاعر ذات يوم وقال لي يا حاجي يا صاحبي لا يخفى  
 عليك وجوب الشكر الفائق اليك ومنونيتي الزائدة منك بالنسبة لما  
 صنعته معي من الجليل الذي لا ينكر وقت ما كنا مأسورين سورية تحت أيدي  
 التركمان ولاظهار تشكراتي ومكافأتك لتطير ما سلف منك من المعروف فقد  
 أوصيت عليك احد اصحابي مرزا آخوندوا كدت عليه غايه التأكيده وهو  
 حكيم باشي الملك كان محتاجا لخدم واني أخبرك بلاشك انك اذا واطبت  
 على خدمته والتفت اليه وانبسط منك فانه يعلمك هذه الحرفة ويجهدك في  
 الطريقة الموجبة لزيادة ثروتك وما عليك الا ان التوجه اليه والدخول  
 عنده وانخاره انك مرسل من طرفي وهو يوقتها بعينك في وظيفة

فلما سمعت كلامه شكرته وقلت في نفسي انني لم أتدرب في صناعة الطب ولم  
 يسبق لي الخوض فيها وليكنني تذكرت حكاية الدرويش التي ألقاها أُمّامي  
 فادعيت معرفتها وعدم مبالاتي بها باحتقار انما السوء حالي وضياع  
 دراهمي لم أجده سبيلا لا قبولي خدمة الحكيم وعلى ذلك توجهت في صباح  
 ثاني يوم الى منزله الكائن بجوار السراية وعند ما دخلت وأنا متردد أقدم



رجالاً وأخرى أخرى كالضيف المهجور حتى توسطت في عرصة البيت فوجدت  
جولة أشخاص مرضى البعض مقرقن بجانب الحائط والبعض براعهم  
أصابعهم والبعض مجهزون زجاجاً في أيديهم ينتظرون خروج الحكيم من  
عنابر النساء إلى الزيارة العمومية

ثم تقدمت نحو شباك مفتوح حيث هناك واقف الأشخاص الغير مصرح لهم  
بالدخول في أودته وانتظرت هناك لحين ما يطلبني وكان داخل أودته جولة  
أشخاص حضروا إليه على سبيل التحيّة لأن كل ضابط في الديوان كان يجلس  
عنده في محله الرسمي ومن تأمل لحالتهم توصلت إلى الطريقة التي أقدم  
بها في أثناء حياتي وذلك بكوني أبذل جهدي في إبداء ما يمكنني من المنفعة  
لأي شخص ولولكلب أو لقط يصادقني في طريقي وبهذه الوسيلة تصل  
الشهرة لأذن الرجال من أولى الأمور والسياسة ثم وجهت أفكاري نحو  
مصابي التي كابدها سابقاً وكنت أحسب المدة التي يمكنني فيها التملق وإبداء  
العبودية للناس حتى بها يشتهر اسمي وأجذب التفاتهم نحوى وذلك لما  
ما يفته من انحناء الواقفين بجانبى علامة على التحيّة وقت حضور الحكيم  
وقعوده على الشباك يريد بذلك أن يبدأ في إعادة المرضى ومعالجتهم في أثناء  
هذا النهار

وكان الحكيم رجلاً طاعناً في السن وعينه غائرتان داخل رأسه وعظمتهما  
خدييه بارزتان لخصافة جسمه وذو لحية خفيفة وبظهره انحناء زائد وعند  
ما يجلس تكون هيئته مضحكة عارية عن الاعتبار فانه إذا جلس كان  
يرتكز ما ثلاً برأسه من بين كتفيه ويداه موضوعتان على منطقتيه وأما  
كوعاه فكان يتكوت منهما زاويتان على كل جانب وكانت أسئلته حادة  
وأجوبته مهمة ذات دوى ويظهر عليه أنه لا يتفكر في أمر آخر أثناء  
حديثه بل يرى عليه أنه محوّل أفكاره نحو الموضوع الذي هو بصدد

وبعد ان رأى حالات الامراض الحاصلة للناس الذين حضروا لعبادته  
وتكلم قليلا مع حلقة الطقيلية المحيطة به نظر لى بعد ان أخبرته انى أنا  
الشخص الذى تكلم معك الشاعر عنه فطلع لى بعينه الحادة الصغيرة مقدار  
لحظة وأمرنى بالانتظار لانه يريد الاختلاء معى فى الحديث وعلى ذلك تركنى  
وخرج من محله لمشاهدة المرضى ثم دعيت بعد قليل بالجلوس فى محل  
منفصل مجبول بالحيطان من كل جهة الامن جهة واحدة بها محل الجلوة  
وفىها جلس الحكيم

### ﴿الفصل التاسع عشر﴾

(( دخول الحاج بابا فى خدمة حكيم الملأ والمسئلة التى

تكلف بتأديتها فى مبدأ خدمته ))

وبمجرد ظهورى دعانى الحكيم الى أودته وأمرنى بالجلوس فأطعت أمره بكل  
خضوع كما هى عادة الفقير أن يظهر لمن هو أعظم منه الاعتبار والشرف  
الزائد وأخبرنى ان الشاعر مدح له فى حق غاية المدح وقال اننى شاب يركن  
الى فى مهام الامور خصوصاً فى كتمان السر والتبصر فى عواقب الامور  
التي تقلبت فيها زمنا طويلا فى حياتى وأصبت فيها بمصادقة آرائى وانى اذا  
أجبل على أى مسألة يلزمها الاعتناء وعدم الافشاء وكانت ضرورية  
وصعبة الانفصال وأنيطت بى فانى أبذل ما فى وسعى سواء كان فى كتمانها  
أو نهوها بى صفة

(قال الحاج بابا) فلما سمعت كلامه فقت وانخبت له جملة مرار تشكرا له  
ووضعت يدى أمامى مستورتين بكفى اعتبارا وتعظيما له مع احترامى الزائد  
فى ستر اقداى واخفائهما ثم استمر فى حديثه قائلا  
انى لى حاجة شديدة لوجود شخص مضاهى لوصافى فى هذه الدققة وبما



انه حصل لي ميل شديد ومحبة زائدة نحوك من تأثير توصية صاحبي الشيخ  
عسكر عنك في قصدي استخدام محاسن هممكم وتدبيراتكم في مسألة حتى  
اذا انجحت فيها تعود فائدتها اليك وتكون لي تذكرة عظيمة لأطرحها عن  
فكري مدى الايام ومأثرة جليلة تخدمكم مادام الليل والنهار ثم قرني  
منه وبعد ان التفت عينا وشمالا جهة كتفيه خيفة من أن يراه أحد قال لي  
بصوت منخفض ونغمة المحبة

يا حاجي لقد حضر في هذا الديوان من مدة أحد سفراء الافرنج وبعينه حكيم  
وقد اكتسب هذا الكافر الشهرة التامة في هذه المدينة فانه يعالج مرضاه  
بكيفية جديدة بالنسبة لنا ولم يسبق لنا اجراءها وقد أتى الينا بصندوق مملوء  
من الادوية التي لا نعرفها ولا نعرف أسماءها أيضا ويدعي أن له معلومية  
بجملة أشياء لم نسمع عنها مطلقا في بلاد الجهم ولا يفرق بين الامراض الناشئة  
عن حرارة أو برودة وبين الادوية الحارة والرطبة على حسب اقرار جالينوس  
أو ابن سينا وأنه يعطي الزئبق بواسطة علاج من طب ويغري البطن بأكلة حادة  
لانخراج الرج الذي يتكون بالمعدة وأدهى من ذلك ادماؤه ازالة الجدرى  
كلية بواسطة حقنه في جسمنا مادة من خلاصة مستخرجة من البقرة واني  
يا حاجي لا أكتفي بهذه الحالة فان الجدرى كان دوا ما مصدر دخل العظم  
ولا يمكن ترك ذلك فان حضور كافر الى بلدتنا ومكثه فيها ومعاملتنا مثل  
البهايم لا نقبله ولا يتأتى بمثله أن يختطف اللقمة من أفواهنا

وان الداعي الموجب بالاختصاص لطبي مساعداك هو ان الصدر الاعظم  
حصل له نوعك زائد منذ يومين ناشئ عن شراسته في أكلة خس وقتاء زيادة  
عن طاقته معموسين بالخل والسكر فطرق الامر مسامع سفير الافرنج  
وكان مشاهدا الصدر الاعظم في أكل الخس فارسل له طبيبه بعد ان  
استأذن منه بنظر آخره وتعاطى دوائه

ويظهر ان الصدر الاعظم والسفير لم يتواقفا معامدة من الزمان نظرا لما كان تطلبه السفير من الامور السياسية ولفائدة بلاد الجهم مكر الصدر الاعظم عليه وتجهل الامر حتى انجبر على انكاره ولهذا السبب ظن ان هذه فرصة لمصلحة الكافر ورضائه فقبل مشورة حكيمه ولو كنت أعلم الواقعة لتدبرت الامر بوقتها بطريقة سهلة وأوقفت المسئلة ولكن الحكيم لم يتأخر لحظة في اعطائه الدواء الذي لا يحتوي الا على حبة صغيرة بيضاء ليس لها طعم وقد نشأ من هذه الحوادث التي ساء تناماهو من أعجب العجائب وذلك انه لما حصل الشفاء للصدر الاعظم لم يتحدث بشئ الا بقوله انه استشعر ان الحبة جذبت الرطوبة من أطراف أصابعه ووجد قوته وعزمه يتجددان شيئا فشيئا ويتعجب من ذلك نظر التقدم سنه وكان يتحدث أيضا بقيامه بواجبات زوجاته المصريح له بزواجهن حسب الشريعة الاسلامية

ولم تستقر المصيبة على ذلك فقط بل انتشرت شهرة الدواء والحكيم الافرنكي في عموم الديوان وأول أمر تكلم به الملك في المجلس هذا الصباح هو خواص الدواء الخارقة للعادة ودعا بالصدر الاعظم ليعيد عليه ثانيا ما كان من أمره في حضرته عن نفس الموضوع وعجب ردا خبره بالمنافع العجيبة التي ظهرت على شخصه ازاع جلالة دمدمة المدح والتعجب بالمجلس عن مهارة ونجاح الطبيب وعلاجه

فعند ذلك التفت لي جلالة وسألني توضح هذه التأثيرات الغريبة الناتجة من دواء يسير فلما أردت مجاوبته انخبت جدا بقدر امكاني لمداواة نخلي وقبلت الارض وقلت

أدام الله اجلالك اني فدائك يا ملك الملوك واني لم أر لآلئ الاجزاء المتركة منها العلاج الذي أعطاه الحكيم الكافر الى خادم جلالتك الصدر الاعظم وبحال استعكس في ما يحتويه أحيط علم جلالتك به وان عبدك الوضيع



يلتمس من مركز الكون بتفكرة جلالته ان الفاعل الاصلى لهذا الدواء هو الروح النجسة التي هي عدوة لدين الحق وقد أصبح آله في يد كافر يدعي على نبينا الطاهر عليه السلام انه غشاش مع عدم اعتقاده بالقدرة الالهية وبالقضاء والقدر

(قال حكيم الملك) وما قلت ذلك الا لتقليل شهرته التي تزداد يوما عن يوم ثم اني تركت الملك وانا غريق في بحور التأمل أتبصر في الطريقة التي يمكن بها استخراج مخبآت الكافرو والوقوف على كيفية تركيب الدواء الذي ظهر منه هذه المعجزات والحمد لله يا حاجي الذي اسعفتني بك وحضرت في هذا الحين لمساعدتي والواجب عليك الآن المصاحبة معه واني اقوض امر استمالته له. انك في جذب عقله وتجنس معرفته وأريد انك تحصل على النموذج من نفس الدواء الاصلى الذي استعمله الصدر الاعظم لاني مجبور ان اوضح للشاه باكر عن اصل تركيبه وتحليله ومشتلاته ويلزمك ان تبتي في اول خدمتك لي باكل كثير من الخس والقضاء العير مستوية وتحرص كثيرا كما فعل سمو الصدر الاعظم وعند ذلك تذهب الى الحكيم الاقرنكي للكشف عليك واني لا أشك من انه يعطيك علاجا من نفس الحبوب المشهورة وبوقتها تحضر هالي

(قال الحاج بابا) اذا كان أخذ الرعب من هذا الامر المهول فكيف بي لو اندخل فيه وأقابل رجلا أجهلا سيما أهالي أوربا فقد بلغنا عنهم جملة نوادر عجيبة حتى اني أرتبك بمقابلة هذا الرجل

ثم سأل الحكيم العجى وقال له التمس اخباري عن الطريقة التي استعملها في سيرى فان أحوالهم وعوائدهم مختلفة بالنسبة لنا واجابه الحكيم وامره مرزا آحق قائلا

لقد صدقت في المقال ولا شرحت لك بعض عوائدهم حتى ترمخ في ذهنك فبدلا

عن خلق رؤسهم وترك لحاهم تنفوكا نفعل فانهم بضد ذلك ولم ير على اذقانهم  
 أثر الشعروان شعر رؤسهم غليظ كأنهم تعاهدوا على عدم قصه بالكليفة  
 وكذلك يجلسون على كنبات عالية واما نحن فنفسر منح على الارض  
 ويتناولون طعامهم بمخالب من الحديد ونحن ناكل باصابعنا ويتمشون  
 دواما بعده ونحن نركد ويلبسون الملابس الضيقة ونحن نرتدى بالواسعة  
 ويكتبون من الشمال الى اليمين ونحن نكتب من اليمين الى الشمال  
 ولا يصليون مطلقا اما نحن فنصلي خمس صلوات كل يوم وبالاختصار لا يمكن  
 الانقضاء من سرد أحوالهم ولكن الاكثر تحقيقا عنهم انهم أرمخ أمة  
 على وجه الارض لانهم لا يمكن شيئا طاهرا وياكلون جميع أنواع  
 الحيوانات من الخنزير الى الضفدعة بدون أن يداخلهم أدنى ارتياب  
 وبدون أن يذبحوها من أعناقها فيشرحوها وهي ميتة بدون تطهيرها  
 ويؤدون جميع وظائف طبائعهم البهيمية بدون أن يروا ضرورة للاستحمام  
 في الحمام الساخن أو يداخلون أنفسهم على الأقل بالرمل

فسألتهم وهل حقيقى انه اذا حصل شك فى كلامهم وادعى أحدا منهم كذابون  
 ثور غضبهم ويحاربون للممات فاجاب الحكيم يقال عنهم أيضا ذلك  
 ولكن لم يحدث لى للآن بينهم أمر من هذا القبيل ومع كل ما واجب على  
 أن أعلمك عن شئ واحد وهو انه اذا تصادف وأعيانهم معرفة شئ أعجبهم فى  
 حوزتك فلا يلزمك أن تخبرهم به مثل ما تخبر أحدا من أهل الوطن وهذه  
 نصيحة منى اليك فلتزمخ فى ذهنك لئلا يتمسكوا على كذبتك ويتقوا بها ولربما  
 لم يتأت منها فائدة ولم تات بالمقصود فتصيح من تكافيه انما تجتهد ببذل  
 جهلك فى التكلم بحسب ما يترأى بفكرك حتى اذا رأوك بهذه الحالة  
 يملون لحديتك

فأجابه الحاج بابا قائلا اذا كان الامر كما ذكرنا الا فتكران الحكيم



الافرنكي يكذبني بحال ادعائي المرض حالة كوني في صحة سيما عندما أطلب  
منه دواء باسمي وهو لغيري

(قال مرزا الحكيم) لا يا حاجي انك للمريض وحقيقة مريض هيا هيا  
ووضع ذراعاه حول عنقه وقال اذهب وتناول قشاك واحضر لي الحبة في  
هذا الصباح

(قال الحاج بابا) واستمر مرزا يلا طفتي ويمنعني عن ابداء موانع لمعارضته  
في طلبه الذي لم يكن على بال ثم أخرجني بلطافة من أودته وتركته وأنا  
متحير بين ضحك وبكاء من هذه الوظيفة الجديدة التي ابتدأت فيها بأشعالي  
هذه

ثم تفكرت في تعرض نفسي بدون مكافأة معينة وقلت لا أقبل ذلك وتأخرت  
عن السير خلف عازما على انفصال الاجرة مع سيدي ولكن حال وصولي  
لاودته لم ألقه بل رأيته على بعد داخل الى الحرم ولذا انجبرت ان أقوم  
بقضاء ما موريتي

### ﴿ الفصل العشرون ﴾

﴿ في نجاح الحاج بابا في غش الحكيم وحصوله على حبة

من الدواء من واحد وقطعة ذهب من الآخر ﴾

(قال الحاج بابا) ثم انني اتخذت طريق الموصل لمنزل السفير وبالفعل عرمت  
على اتمام مقصود الحكيم وان أتحايل على طريقة بها أمرض نفسي في  
أثناء الطريق ولكن بعد التأمل الزائد تذكرت ان تمريض المعدة غير  
مامون ولربما يتأتى منه اتلافها كلية في لحظة صغيرة لان عدم موافقة  
الحس والقضاء لمعدة الصدر الاعظم يحتمل ان ذلك تضر التقدمه في السن  
وهذا لا يحصل الا لفرد في المائة ولكن يمكن هضم هذه المأكولات هضمها

تأما في معدة شاب صغير مثلي وعلى أي حال فقد صعدت على الحصول على  
الحبة بواسطة الحيلة ان لم يتيسر جلبها بصورة مرضية

ثم تأملت اني لو تعرضت فلربما يطلع على أمرى الحكيم ويظهر غشي  
ويطردني من منزله بصفة غشاش فاستحسننت بان أسهل طريقه لانعام  
مرغوبي وهي تظاهري بهيئة أحد خدومة حرم السراية الملوكية واخترع  
له حكاية للحصول بها على غايي وعلى ذلك توجهت الى احدى دكاكين  
الملابس الكهنة بالسوق واستأجرت برنسا مثل الذي تلبسه الكهنة  
ووضعت جانبا من الورق في منطقتي بدلا عن الخنجرونوفيت في ضميري أن  
أهبي نفسي وادعي بكلام زيادة عما نقوله الخدمة العادية

وبالحال استدلت على الجهة القاطن بها السفير ولكوني متذكرا في عقلي  
ما أخبرني به مرزا آحق فوصلت لباب مسكن الحكيم وأنا خائف أقدم رجلا  
وأؤخر أخرى ووجدت الشوارع الموصلة اليه مزدحمة بالنساء الفقراء  
حاملات الاطفال على أذرعهن وقد أخبرت انهن آتين لتلقيج الجسدري  
لاطفالهن بالطريقة المستجدة وذلك لاسباب سياسية علم منها ان الافرنج  
يفعلون ذلك اشتياقا لعلود رجائهم وشهرتهم لان الحكيم الافرنجي اذا عالج  
الناس مجانا لا ينتظر حاجة من المرضى خصوصا الناس الفقراء جدا  
الذين لا يمكنهم الوصول الى حكيم أعجمي بدون هدية أو اعطائه أجره تقوم  
مقام اتعابه

وفي أثناء دخولي نظرت رجلا جالسا في منتصف المحل بالقرب من رف خشب  
مرتفع موضوع عليه علب الحبوب وكتب وجلة مختلفة من العدد  
والآلات لأعلم كيفية استعمالها وكان في اللبس والمنظر أهيا وأعظم  
من أي كافر نظرت به في عمري فكانت ذقنه وشفته العليا لم ير عليها أثر  
الشعر على شكل الطواشي تماما ورأسه مكشوفة على الدوام بدون مبالاة



وحول عنقه رباط ضيق وبعض اختراعات حول تحديده كأنه يريد تغطية  
 جرح أو مداواة داء وملابسه ضيقة جدا وبالآخر ساكوه البراق  
 مقصوص جميعه من قطع زوايا رفيعة والظاهر ان استعمال هذا القماش  
 في بلده كان نادرا لغلوه وكان القسم التحتاني من لبسه غير منتظم ووجدته  
 أيضا واضعا كونه داخل الاودة يدوس به على السجادة فاعتظت لهذا  
 الامر حيث انها عادة متلغة لحوال الزينة

فلما رأي خاطبي بلغتنا وسألني عن حالتي وأسرع قائلا ما أحسن اعتدال هواه  
 هذا اليوم ولكون كلامه في محله طابقتهم مصداق عليه وبعد ذلك استحسن  
 ان أديه بالفاظ عذبة وان كانت كذبة وأتعلق له بقدر طاقتي وأخبرته عما  
 ناله من الشهرة العظيمة في بلاد العجم وان لقمان الحكيم لا يضاهي جزأ من  
 معرفته وان معاصريه أطباء العجم لا يكون فيهم لياقة لمناولته يد الهاون  
 فلما سمع كلامي لم يتلفظ بكلمة مافقت له ان الملك لما بلغه التأثيرات العجيبة  
 الناتجة من دوائه لوزيره أمره ورخه بدرج هذه المسئلة في تاريخ المملكة  
 ويجمعها من النوادر المهمة التي حصلت مدة حكمه حتى شاع هذا الامر  
 وكان له وقع عظيم داخل مراية جلالته لان كثيرا من السنان تعرضوا  
 واشناقوا جدا لتجربته محاسنه وان محبوبه الملك الجارية الجرجانية قد  
 أضر بها المرض حقيقة حتى ان رئيس الطواشية بناء على ارادة جلالته  
 المخصوصية ندبني للحصول على دواء من عينه الدواء الذي اسعمله الصدر  
 الاعظم ثم سألت الحكيم ان يسعني حالا بجزء من هذا الدواء

فلما سمع كلامي أظهر لي اقتضاه على ما قلته وبعد ان تأمل قليلا أجابني انها  
 ليست عادته أن يعطي الدواء بدون كشفه على المريض أولا لانه بذلك  
 ربما يحصل له ضرر عوضا عن الشفاء واذا وجد الجارية في حاجة لمساعدته  
 يكون مسرورا للالتفات اليها ومراعاة خاطرها فاجبته أمام من جهة

كونك تريد النظر لوجه الجارية الجرجانية فامر لا يتأتى ويستحيل وقوعه  
لعدم السماح لاحد ما في بلاد العجم بالنظر الى المرأة الاجنبية خلاف  
زوجها وأما اذا الجأنا للضرورة وكان الالم شديداً يخشى منه فحين ذاك  
يؤذن للحكيم بحس نبضها ولا يفعل ذلك ما لم تلف يد ها بمحاجر من القماش  
فاجابني الحكيم الافرنجي عن ذلك اني لاجل أن أكون على معلوميه تامة  
مما يشكو به المريض لم أجس النبض فقط لابل وانظر اللسان أيضاً فقلت  
امامسئلة النظر في اللسان فشيء مستحيل لم يسمع به الا أن انسان في بلاد  
العجم وأنا على يقين من عدم امكان التعليل بهذه الرؤية الا بمقتضى ارادة  
خصوصية من عظمة الملك بما ان الاغنياء يقطع لسانه أولاً سهلاً له  
من هذه المسئلة

(قال الحكيم) لا بأس من ذلك ولكن تبصر في أمرك وهو اني اذا أعطيتك  
الدواء أكون خالي المسؤولية مما يحصل منه من التأثيرات لانها ان لم تشف  
فلربما تميت

فلما أيقنت له عدم مسه بضر رأو وهم يتخ من ذلك مطلقاً فتح صندوقاً  
كبيراً يظهر انه مملوء من أصناف العطارة وأخرج منه جزأين براقين دار  
معلوم من مسحوق أبيض وخرجه ببعض الخبز وجعله على شكل حبة ثم  
لقها في ورقة وناولها لي بعدما أورا في الوسائط الكلبة في كيفية استعمالها  
ولما تبين لي منه عدم اخفائه شيئاً من معرفته ابتدته بالسؤال عن أصل  
وخواص هذا الدواء الخصوصي واستعماله على وجه الاطلاق فاجابني  
بدون ملاحظة شيء ليس مثل حكائنا الاعاجم الذين يتفخرون فقط  
بمذوبة الالفاظ ويصلحون كل مرض بصادقهم بما يبالعون في كتب  
جالينوس ومعتقداتهم وابن سينا

ثم اتني بعدما التقطت منه ما أمكني معرفته تركته مظهره لعلامات المودة



والشكر ورجعت حالا الى مرزا أحق الذي كان ينتظرني بلا صبر الا انني  
 زعت ملابسي المؤجرة ودخلت عليه بوجه سقيم على حسب ما أمرني في  
 أول الامر لا دخل في ذهنه ان الخس والقضاء حصل منهما تاثير وكنت كلما  
 أكله بكلمة ادعي بحصول ضربان في قلبي واستمررت بهذه الحالة متظاهرا  
 بسوء عاقبة الالم حتى ان طبيعة مرزا أحق التي جبلت على القظاظنة  
 والعبوسة والصلاية لمحت ببعض اشارات من الشفقة والاسف نحوى  
 وذلك انه بحال دخولي عليه صحت قائلا (باسم الله خذ غنيمتك) وأنا  
 مظهر الالم ومحني نصفين ومعبس وجهي لا تخر درجة وأتأوه بانين من  
 صميم القواد وأقول لها قد نفذت أوامرك وقضيت حوائجك فها أنا الآن  
 اسلم نفسي لقبضة مروءتك وجودك

فاجتهد بوقتها للوقوف على اسباب الحصول عليها فتسكنت عليه الامر وفي  
 اثناء ما كنت اظهر له اني منتظر جائزة وقتية فكنت اريه بعض اشارات  
 تدل على ازدرادي اياها ان لم يناواني في يدي شيئا مكافأة لذلك ولكن  
 لما هو معتريه من الوجع الشديد لعدم قدرته على اجابة أسئلة الملك بخصوص  
 هذه الحبة ولكونه أيضا كان في شدة الاضطرار اليها وضع في يدي قطعة  
 من الذهب ولم أجد عاشقا يمكنه مقاضاة سيده بقوة عظيمة لقضاء معروف  
 زيادة عما فعله الحكيم معي بخصوص حيتي فوان كان في امكاني اطالة  
 الغش والاستمرار عليه واجتهادي في جذب قطعة اخرى من الذهب  
 الا انني لما رأيته يجهز لي جرعة لسهولة المي من مزوجه الخاص ووجدت  
 ان ذلك يأخذ زمانا طويلا فادعيت زوال الالم مرة واحدة وعدت عن  
 أخذ الدواء وأبطلت طلب مكافأة اخرى ولما ان صارت في حوزته تفرس  
 فيها وهو يقلبها يمينا وشمالا بدون أن يظهر فيها أدنى صناعة تزيد على

معرفة الاصلية فاخير المارآيته على هذه الحالة فربكافى أمرها استاذنته  
بتطمين خاطره كليه وأخبرته أن الحكيم الافرنجي لم يخف شيئا منى وقت  
تركيبها وانها محتوية على الزئبق

فلما سمع مرزا أحق هذا الكلام صاح بأعلى صوته قائلاً يا للعجب انه حقيقة  
من الزئبق (جيوه) وقد خفى عني هذا الامر وذلك أن الكافر كلب النصارى  
يريد أن يسمنا بالزئبق فينشأ من فعله هذا اندثار شهرتى ووصفى للعلاج  
ولم يأتنى أحد وأصبح أضحوكة بين الناس فمن من العالم أتى بسامعه ان  
الزئبق يعطى للدواء فهو بارد والخس والقضاء أيضا باردان ولا يمكن  
يا حاجى استعمال الثلج لتحليل الثلج فالجبار لا يدري مبادئ أصول وظيفته  
وهذه الفعال لا تخلصنا يا حاجى ولا تقنع بذلك كما ولا نسمع بان الناس  
يضحكون على ذقوننا بهذه الحالة

(قال الحاج بابا) واستمر مرزا يهيج ويرى في حق خصمه زمانا طويلا ولولا  
ان آتاه كتاب من الملك لاستمر مليا في بذل الفتن والفساد ضده وفيه يامر به  
الملك بانه بمجرد وصول كتابه اليه لا يتأخر درجة عن الحضور امام جلالتـه  
بقدر ما يمكنه من السرعة وفي الحال توشح بوشاحه الرسمى وغير قاوروقه  
الاسود الذى من جلد الشاة باخر ملتف عليه طيلسان ولبس جواربه  
الجوخ الحمر وهو طائش العقل ودعا بحصان وركبـه وأخذ الحبة معه  
وتوجه بغاية السرعة متلبسا بالافكار الكثيرة عما ستكون نتائج هذه  
الجلسة

### ﴿الفصل الحادى والعشرون﴾

﴿فى بيان الكيفية التى يتعاطى بها الشاه الدواء﴾

(قال الحاج بابا) واستغرقت زيارة الحكيم مرزا عند الملك لهذا المساء وعند



عودته دعاني اليه وقد وجدته من هيئته الظاهرية مملواً من الغضب والغيظ الشديد ولما رأيته قادمًا عليه قال لي يا حاجي اقرب واجلس بجانبى وبعد أن أمر بصرف الحاضرين من أودته للاختلاف بي ساررتني بقوله ان هذا اللعين لا بد وان يكون متفقاً على أمر مجهول وهل لا تتصور ما حدث فان الشاء استشاره وعقد معه جلسة نحو الساعة في هذا الصباح بدون أن أعلم شيئاً عنها وقد أرسل لي جلالته ليخبرني بتقييمها والذي أراه مركز فكري ان الافرنجي اكتسب سلطة عظيمة ونجح في مشروع وعده ويظهر ان الملك شرح له تاريخ شكواه وما به من الضعف والربو المزمن وما عنده من التهمة وكان كلامه عن هذا الحقيير بفرح وانشراح بالنسبة لفظاته ومدخلته وقال انه قبل أن ينظر لسانه ويجس نبضه وقبل معاومته باصل الحالة سأل جلالته عما اذا كان جاري استعمال الماء الساخن على الدوام وهل يحدث له عوارض معاللة عندما يشرب الدخان وهل لم يكن متعوداً أثناء الطعام على استعمال المخلات في السفرة والحلويات والارز كثير السمن وان الملك اذن له بثلاثة أيام لفحص حالته واستشارة كتبه وجمع آراء عقلاء الافرنج عن المواضع المهمة الواقعة لحالة بلاد العجم وان يركب دواء مفيد او معيد البنية في اقرب وقت وبعد ذلك سألني عن كذا الكون أن أبدي آرائي وأمرني أن اشرح بكل حسارة طبائع وخصائص الافرنج عموماً وعن حالة علاجهم فأتبعاً الامر بجلالته لم أضيع هذه الفرصة في شرح جميع حوامي وبعد الانتهاء من خطبة حديثي العادية خاطبته قائلاً

اما طبائعتهم التي لا تخفى عن فطنة جلالة الشاء السامية وحكمته الباهرة فانهم كانوا قوماً عديمي الاعتقاد ونجسين وذلك لمعاملتهم بيميناً سوء غشاش ويا كلون لحسم الخسيز و يشربون النبيذ بدون تحريم وكانوا

كالنساء في المنظر والديب في الاحوال وكان الواجب التشديد بالحكم عليهم  
لما هم عليه من أعظم شبهة بان غرضهم النهائي الاستيلاء على الممالك  
وان يخضعوا ويذلوا الشاهات والامراء ويكونوا عبيدا خاضعين اليهم  
واقترع ما قد كان منهم في الهند

واما عن ادويتهم ففحمت قائل الله يحفظ جلالته منها فانها خائفة في  
التأثيرات كما ان الافرنج خائفون في سياستهم لانهم لا تعلمون ما يستعمله لحدوث  
اسباب الموت يدعون انه مفيد عندهم للشفاء وان الجزء الاصل الذي  
يدخلوه في تراكيهم هو الزئبق (وهنا أبرزت اليه حجتى) واما عن استعمال  
آلاتهم واسلحتهم فحدث ولا حرج فقد روى عنهم انهم ينشرون أعضاء  
الانسان أملا لنجاة حياته ثم اتنى أظهرت له صورة مبينا فيها التأثيرات القاتلة  
التي تنتج من استعمال العلاج الاجنبى حتى انى بهذه الاباطيل أضعفت ميل  
الشاه نحوهم وارعدانه لا يأخذ الدراء ما لم يعمل الاحتراسات القوية في  
اصل تركيبه كما يقتضيه تبصره وحكمته وقد حصل الاتفاق على ذلك  
وقال انه عند ما يرسل اليه الحكيم الافرنجى العلاج الجارى تركيبه  
يدعونى بليلة اخرى فالآن يا حاجى لا عس الملك علاج الافرنجى لانه  
لو تصادف وتعاطاه وكانت نتيجته مفيدة فتضيع شهرتى ويندثر اسمى  
ويكون عدى كى ياتى ومن ذا الذى يستشير مرزا الحق بعد ذلك ثانيا فلا بد  
من السعى والاجتهاد فى استبعاد هذه الحادثة ولو ألزم بأخذ جميع عطارته  
لنفسى

(قال الحاج بابا) ثم اقترعنا بوعده مرضى لبذل ما فى وسعنا لمعارضة الحكيم  
الكافر فى جميع حالاته ولم يعض على ذلك ثلاثة أيام الا والملاك طلب  
مرزا الحق للبحث عن الهيئة المعهودة المحتوية على علبة من الحبوب ومن  
المعلوم انه أوجد جميع انواع الرية والشكوك ضد فاعليتها وابدى بعض



اشارات مبهمه عما يحدث من الخطر من تعاطى أى تركيب يؤخذ من وكيل دولة أجنبية حتى انه أخيراً أمال عزم الملك لا حالة هذه المسئلة على وزرائه للتروى فيها ولما انتصب المجلس ثانى يوم كالمعتاد وجلس الملك على تختة وعلى يمينه وشماله الصدر الاعظم وخزنده العموى وناظر الداخلية وكاتب سر المملكة ورئيس خدمته ومير ياخوره والسر تشرىفانى ورئيس حكائه وكثير من طباط معيته العظام ابتداء جلالاته يخاطب وزيره الاعظم ذاكره الاخبار التى حدثت بينه وبين الحكيم الاجنبى المقيم الآن بدويانه وعن استرداد وتجديد الذات الملوكية وانه فى الجلسة الاولى التى امتحن فيها الحكيم الاجنبى عظمته الملوكية أوردى بوجود دلائل قوية دالة على ضعف بنيته وبعدها ان أكد للملك فى الجلسة الثانية انه أشغل نفسه ثلاثة أيام باكملها فى البحث فى كتبه وتواريخه وبعدها ان جمع منها آراء عقلاء مما كنه على هذا الموضوع استنبط جملة أجزاء مختلفة من العطاره وجعلها جزءاً واحداً وقال انها اذا استعملت من الداخل ينتج منها تأثيرات عجيبه حتى ان الطلاسم لا تؤثر ضد هاشم فان جلالاته انه دما بأرباب مجلسه وطيبه العموى الذى لتشوقه لزيادة ثروة بلاد الجهم بالغ بالافتخار الكلى وعلا بشهرة مملكته على نظمات وتأثيرات الاجنبى وأطنب فى قدحهم بالنسبة لما طرأ بعقله من الشكوك والمخذورات المعالومة له التى أبان فيها سببين عارض فيهما أولهما عن ماذا كان يستباح سياسيا التسليم للنظمات والهيئات الاجنبية فى تعاطى العلاج الداخلى للذات الملوكية وثانيهما عن ماذا لم يكن فى الدواء الموصوف فاعليات خفية ومهلكة ينشأ منها خطر كما من يظهر ضرره بالتدريج وينتهى بافتراس جسم عظمته الملوكية بعد ان كان يظن فيها استرداد وتقوية صحة وجسم جلالاته فبناء على هذه الاحوال قال جلالة سر كرا لكون بصوت عال فى هذا الوقت

لقد مر بفكري ان الاحسن الكف عن الشروع في تعاطي هذا الدواء  
وقد قصدت بنشر هذه القضية امامكم حتى بحكمتمكم الفاتحة وعقولكم  
النيرة انتظام هذا الرأي حتى يكون موافقا لعرضه امام الملك ولكي ان  
تستمر وافي موضوع القضية بمعاومية تامة عن الحالة عزمت بصفة قضية  
ابتدائية ان كل واحد منكم يتعاطى من هذا الدواء لشخصه خاصة وبذلك  
يمكنني ويمكن كل منكم يحكم في تأثيراته المختلفة فلما سمعوا كلام الملك صاح  
الصدر الاعظم والحاضرون بالديوان قائلين ادم يا الهى الشاه مؤيدا ولا  
ينقص ظله الملوكة سر مدافان سرورنا لم يقتصر فقط على أخذ العلاج بل  
لبذل أرواحنا في خدمة جلالتك فمن فدية عنك وعبيدين يديك  
ونسأل الله ان يهب جلالة الشاه أعظم صحة وينصره على أعداءه

فلما سمع الملك كلامهم أمر رئيس الخدمة باحضار علبة حبوب الحكيم  
الاجنبى من داخل الحرم الملوكة كي تقوجه وأحضرها وناولها جلالاته  
موضوعه على طبق من الذهب فدعا الملك برئيس حكمائه للاقتراب منه  
وأعطاه علبة الحبوب وأمره أن يتدنى من الصدر الاعظم وما جاوره من  
الامراء والذوات بالترتيب على حسب رتبهم ويعطى كل واحد حبة من  
العلبة لتعاطيمه ففعل ما أمر به الملك وبعد ان أخذ كل منهم حبة من الجرعة  
الموصوفة تبع ذلك توقف عام عن الكلام وفي أثنائه صار يتأمل الملك  
جدا بغاية الاعتناء لوجه كل واحد ليقف على أوائل تأثيرات العلاج

ولما هدأت الوجوه المعوجة كانت الدورة في المسدات كرات على مصالح  
أوربا وفيها سأل عظمته جملة أسئلة متعددة وأجيب عليها من الأشخاص  
الحاضرين باحسن ما يمكنهم من الاجابة ولم يمر غير قليل من الزمن الا وابتدأ  
ظهور فاعلية العلاج وذلك ان الحزب دارو هو رجل هائل المنظر غليظ الجسم



كان واقفا لهذا هذه الدقيقة بدون ان يتحرك ويقول (بلى بلى) نعم نعم عند ما يتسدى الملك بالكلام ولم يقل غير ذلك لما اعتراه من الضعف في هذا الوقت لان ما ابتلعه كان موجبا لقوة فعالة في جسمه تسبب منها هياج جملة امراض ساكنة وكانت أعين الجميع شاخصة اليه حتى نشأ من ذلك ازدياد حالته المزعجة

واما كاتب السرو وهو رجل رفيع طويل ونحيف الجسم قد اصفر لونه وتقاطر العرق من جميع مسام جسمه ثم تبعه ناظر الداخلية الذي التزم من سوء حالته الناتجة من تاثير العلاج الاستئذان من جلالته تاركا حضرة عظمته وقد أعقبه جميع الحاضرين بالتوالي وهم يتحركون بطرائق مختلفة عن بعضهم ماعدا الصدر الاعظم فانه كان رجلا هراما صغير الجسم مشهورا بشدة وصلابة طبيعته حيث كان يرى عليه انه كان يدارى وجهه بكفه ويضمك على ما يكابده رفقاؤه الذين في ديوانه من المشقة والمسكنة ولما عين الشاه تاثير العلاج أمر بانفضاض المجلس وأمر مرزا آقاي انه حال ما يتحقق نتيجة كل حبة وما نشأ عنها يقدم بجلالته بيا نارسيميا عن عموم الحادثة ثم قام ودخل حرمه الملوكي

(قال الحاج بابا) لقد تمكن الحكيم الهرم المكارم من السلطة على خصمه لانه من كل معلوم انه قد أجاد في بيان المسئلة جليلة أمام الملك وبذلك جلالته امتنع عن تجربة العلاج المجهز من الطبيب الاجنبى وأودعت المسئلة في زوايا النسيان حتى ان مرزا آقاي عندما قال لى ثاني مرة وبعد ان أخبرني بالقصة السالفة الذكر لم يتمكن من تكتم سروره وتخليسه بقوله لى لقد حاربنا وقاومنا عدونا يا صديقى الحاجى فان الكافر افكر اننا مجانين ولكن سنعلمه من هم الاطاحم ومن هو هذا الكلب حتى انه يصل لهذا الشرف السامى ويصف علاجا للشاهنشاه كذا فان هذا الامر من خصائصى فلان بلى

باعتشافاته المستجدة ولا تفيد ناشياً فما أخبرنا به آباؤنا من الاجراآت  
 والتجربات فحن نجريها بكل سرور والادوية التي شفت حدودنا تشفينا  
 أيضاً وما أمر به لقمان وابن سينا من وصف الادوية فحن تأمر به  
 (قال الحاج بابا) ثم ان مرزا آقاي أمرني بالانصراف ليقتلي بنفسه كي يتبصر  
 في الطرق المدمرة لمقاصد الحكيم الجديد اذا حصلت منه معارضات  
 مستقبله حيا في حفظ شهرته ومعارفه في الديوان الملوكي

### الفصل الثاني والعشرون

((في طلب الحاج بابا من الحكيم ترتيب ماهية له ونجاح مطالوبه))

(قال الحاج بابا) وأقت زمانا طويلا على هذه الحالة مع الحكيم وكانت اقامتي  
 معه ليست بصيفة خادم له بل تزيد عن محبة الصاحب حيث كان يأذن لي  
 بالجلوس في حضرته والاصول على مائدته كما والتدخين من شيشته وقد  
 تعرفت في ذلك الحين باتباعه فكنت آكل وأشرب وأتدخن معهم أيضا  
 ولكنني تأملت ان هذه الحالة التي تستغرق زمانا مديدا من حياتي لم توافق  
 آرائي ومستقبل آمالي فان الدراهم التي أخذتها منه هذه المدة هي القطعة  
 الذهب فقط المذكورة آنفا وتحصلت عليها بعھارقي ولم يكن له فضل فيها  
 وباستمرار الاشغال وتوالي الايام علمت انها آخر العطايا فلما رأيت نفسي  
 محروما من الدراهم ولم أنل شيئا مادمت في خدمته قويت عزمي بالاستفهام  
 منه عن الكيفية وعلى ذلك انتهزت الفرصة العظيمة لعرض شكواي وبث  
 مصائبي اليه في اليوم الذي انتصرف فيه على الحكيم الاجنبي وكان اذ ذلك  
 آتيا من جهة البوابه الملوكية بعد ان تشرف بمقابلة الشاه الذي استعطف  
 بخاطره بوقوفه ساعتين فقط بدون مسداس يجوار ينبوع من الجريد لا عن  
 ستة ساعات كما هي العادة في أغلب الاحيان وذلك انه لما رأى في صاح بفرح



زائد قائلا

ما أطيبه من ملك وما أحله وأبشه تحت قبة الفلك وباله من شفق أنعم  
على بالافضال التي يعجز لسانى عن حصرها فانه سب الحكيم الاجنبى وقدح  
في حقه بالنسبة لمعارفى الى ان قال انه لا يليق لحفظ مدا مى ثم أمر خادمه  
المتقرب اليه باحضار سماتين هديته لى من صيد الصقور الملوكة  
(فاجابه الحاج بابا) لقد صدق الشاه في مقالته فن ذا الذى يضا هيكن في بلاد  
البحر وانت فريد العصر ووحيد الدهر فان من سعد الشاه وجودك عنده  
وأعظم كثر حازه في ملكه ومن هم الا فرنج حتى يتداخلا في مسئلة العلاج  
فان كانوا في حاجة للتعليم والعلم والسطارة فعليهم بمرزا آحق  
فلما سمع كلامى أعجبه ثنائى وتبسم بطلافة واطمئنان وأخرج من فمه شيبك  
الدخان وناولنى اياه وهو يبرم في شاريه ويعشط طيسته وأنا مستمر في  
مقاتلى قائلا ان شاء الله يكون لى نصيب للاشتراك في مجد شهرتك الا انى  
أرى نفسى كالكلب ولا اساسى شيا كالا ولا اضا هي طينة جذور الورد  
فاجابنى الحكيم بقول ما هذا الذهول أمعترك جنون فقلت كلا  
ولكنى أسمعك حكاية وانزل لك الحكم بما يترأى لك فيها من عدلك وهى  
(حكى) ان كلبا من مدة كانت هيئته وطباعه مشابهة لهيئة وطباع  
الذئب تقريبا حتى ان الذئب سمعت له بالدخول في جمعياتها فكان يأكل  
ويشرب ويصطاد الغنم معها وبالاختصار كانت فعاله كفعال الذئب ولما  
يوجد مع الكلاب يعيش بعيشتها ويجرى اجرا آتها ويدخل في زميرتها  
أيضا ولكن شيا فشيأ رأت الكلاب أنه يجتمع بزمرة الذئاب فنفرت منه ثم  
وتصادف ان الذئب أيضا اكتشفت على أمره بانه كلب حقيقى ليس منهم  
فلم تسمع له مرة ثانية بالدخول في عصبتها فاصبح ذلك الكلب المسكين  
مهجورا وذليلا بين الفريقين ولكونه لا يطيق ان يحصل هذه الحالة

المهم - جهة قنوى على السلوك في أحد الأمرين إما أن يكون كلباً أو ذئباً حتى يتخلص من هذا الدل

ثم صحت قائلاً (وها أنا ذاك) لأنك تأذن لي بالجلوس والتدخين معك وهما أعظم غداء لي وتحدث معي وتشاروني في الأمور لغاية ما أصررتني بالدخول في جمعيات أصحابك ولكن ما الفائدة التي تعود علي من ذلك فاني ما زلت خدماً وما لم أتمتع بأحدى الفوائد لاني لا اكتسب شيئاً وعلى هذا ألتبس منك تعييني في الوظيفة التي تريد أن تقيدني فيها في خدمتك وتجعل لي من تبا فصرخ الحكيم قائلاً أحقية تطلب من تبا اني لا أعطي من تبات أصلاً فان أتباعي يأخذون ما يمكنهم من مرضاتي فافعل مثاهم وانهم يأكلون ما بقي من مائدتي ويأخذ كل واحد حبة سنوياً في عيد النيروز فما الذي يلزمهم زيادة على ذلك

(قال الحاج بابا) وبينما الحكيم في لهجته اذ دخل عليه أحد مشاة الشاه حاملاً على يده صينية من الفضة موضوعاً عليها السمانتان اللتان اهداهما الشاه للحكيم وناولهما بغاية الاحترام اليه فقام من كرسيه ووضع الصينية فوق رأسه داعياً للملك باعلى صوته قائلاً اللهم أكثر خير جلالته وزده و أطل لنا عمره وبعد ذلك أراد أن يعطي الرسول هدية فارسل له خمسة غروش فردها الرسول باحتقار فارسل له ثوماً فأقبل يقبله أيضاً ثم استقر الرأي أخيراً بعد اليأس على اعطائه خمسة تومان حيث هذا المبلغ وجد لا تقا به فاخذه وتوجه لحال سبيله وهذه الحالة السيئة أضعفت سروره الناتج من الهدية حتى ان الحكيم تفوه ببعض الفاظ غير لائقة لوتبا لغت لمسامع الملك فكانت سبباً لوقوعه في تعب شديد ومن ذلك قوله متعجباً باحتقار

ما هذه الهدايا ولا حاجة لي بها فاني أتمنى أن تكون مثل هذه الهدايا في الآخرة لا تناجارين دفع أجر باهظة تطير ذلك لا تبايع الملك وهم عصبية من القوم اللئام الطماعين الذين أزالوا عن وجوههم برقع الحياء ويطلبون



الاحسان بدون شفقة أو نجل والادهي من ذلك ان لم ندفع اليهم ما يرضيهم  
والافسكون تسيبنا لانفسنا في الاضرار وانذارنا بمستقبل الاتقام  
وحيثئذ لا نجد من راحم يأخذ لنا بناصر فاني لا أنسى ما قاله السعدي في  
حكمه بانك لا تأمن لصبة عظيم وأمن لمرافقة الفطيم فان الاول يغدر  
عليك من أوهي الامور والثاني يغدر بعض الليل وبالهار اليك عيل  
(قال الحاج بابا) لقد امتلا الحكيم رعبا وارتعاجا زائدا مما زلف منه من  
اقتناع كلامه بالفاظ غير لائقة حتى انه مما حاق به الخوف الشديد وضيق  
الدينا أمامه قبل على نفسه خسارة الخس تومان وتجنب ما كان يبيديه من  
اللام خوفا من أن تكون عاقبته عليه بالتلف والخسران فلما رأيت أنه على  
هذه الحالة استحسنيت عدم مفاخحته الا ان في موضوع طلباتي وأن أوجه  
لفرصة مستقبله الا انني قصدت في مري ترك خدمة لقمان عصره عند  
وجود وظيفة في جهة أخرى وأن أرضى بحالتي الحاضرة التي لم تعد بمثابة  
كلب ولا ذئب

### الفصل الثالث والعشرون

(عدم اقتناع الحاج بابا بوظيفته واهماله ووقوعه

في العشق والهيام ومكابدته لواعج الغرام)

(قال الحاج بابا) ولكوني غير مقتنع بقسوتي الحالية وجاهل لا بمقاصدي  
المستقبله فكانت أياحي تمر بالكسل الكلي والاهمال في تأدية أشغالي  
لعدم رغبتني في اتباع خدمة الطب التي تحصل عليها كثير من الناس قبلي  
بمجرد ارتكانهم على أساس واه لا يأتي بفائدة عظيمة لمستقبلهم كما حصل  
لي الا ان اعتمدت قليلا بالتفاني لبعض من معلومات مرزا آق  
ولولم تحصل لي الحادثة التي نشأت من حالة اقامتي الغير مناسبة وتسبب عنها

تأخيري بمنزله لكنت تركت عدمه بوقتها وبجشت على محل آخر وترك  
السعي والاجتهاد وقلت من قلة حيلتي ما ينفع المال اذا كان العسر فانيا  
وتمثلت بقول القائل

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته \* يبقى الاله وبودي المال والولد  
لم تغن عن هرمن يوما خزائنه \* والخلد قد حاولت فادفنا خلدوا  
ولا سليمان اذ تجرى الرياح له \* والجن والانس فيما بينهم يازد  
أين المسلول التي كانت توافلها \* من كل ارب اليها وافديفد  
حوض هنالك مورود بلا كذب \* لا بد من ورده يوما كما وردوا  
وهذه الحادثة قد اوجبت لي حاسبات ابطلت كلية ما عندي من الافكار  
التي كنت اتدبرها للمستقبل معيشتي واصبحتني عبد رقيق لديهم فكنت افاشي  
منهم أليم العذاب واتحتمل من حر كاتم شديد اللوعات حتى اعتقدت  
حقيقة ان الجنون مهم ما بلغ في الخبول لا يفوق عني في الجنون واني بعد هذا  
كله لا حاجة للتوضيح بان اقول اني وقعت في شرك الهوى

أرى التحمل شيا لست أحسنه \* وكيف أخفى الهوى والدمع يعلنه  
أم كيف صبر محب قلبه دنف \* الهجر ينحله والشوق يحزنه  
وانه حين لا وصل يساعفه \* يهوى السلول لكن ليس بمكبه  
وكيف ينسى الهوى من أنت همته \* وفترة اللعظ من عينيك تفتنه  
فان الحب لا يخفى على الصب وكفى قول من قال

لحب نار على عيني مضمرة \* لم تبلغ النار منها عشر معشار  
الماء ينبع منها من محاجرها \* بالسرجال لماء فاض من نار  
ولكن لم يكن لي حيلة الا ان الاسكوت والرضا بما أنا فيه حتى أظرم ما يكون  
من مستقبل وانا أصبر نفسي بهذين البيتين



ألا يا نفس ان ترضى بقوت \* فانت عزيزة أبدا غنية  
دعي عنك المطامع والاماني \* فكم أمنية جلبت منه  
والسبب في ذلك كله هو انه لما انتهى فصل الربيع وأقبلت علينا حارات  
أوائل الصيف التي تؤثر فيهم أوجبت أغلب سكان المدينة بنقل مفروشانها  
على أسطحة منازلهم للنوم عليها واستنشاق النسيم اللطيف والكوني  
لا أرغب أن أمضي ليالي مع الحدا ميين وهم الفراشون والطباخ الذين  
أغلب رقادهم سوية في محل أرضي فالفضاء والقدر فرشت فراشي على جانب  
سطح بطل على حوش منزل الحكيم الداخلي الموجود به مساكن النساء وهذا  
الحوش كان مريعا وجميع شبائك المحلات محبطة به من الاعلى وضررع في  
وسطه أشجار الورد والياسمين والمور وغير ذلك ويتخلله من الوسط كوشك  
مربع من الخشب يفرشونه بالمراتب للجلوس فيه وقاية من الحر الشديد وقد  
نظرت جملة من النساء جالسات متفرقات في جوانب الحوش ولم يحصل لي  
أدنى تأثير منهن أو انجذاب قلبي مطلقا لاحداهن وبذا لا ألتفت اليهن  
وبحيث لوداومت على ذلك طهرت من مشاهدتهن ولواكتشفن على  
أمرى لثراكم على المسبات واللعنات من كل جانب ويدعوتني بأفجع  
ما يمكنهن من الالقاب

وقد حدث في إحدى الليالي بعد غروب الشمس بينما أفرش فرشي اذ لمحت  
بالصدفة من خرق سور السطح مشقوق للسقف امرأة مشغولة في توضيب  
ونشر ورق الدخان وكان يرفعها الازرق ملقيا على رأسها قليلا وعندما همت  
للقيام وهي منحنية فكانت ضفائرها المسترسلة فوق جبهتها سائلة بروتق  
لطيف جدا مغطيه وجهها تقريبا الا أن أغلبه مكشوف حتى ان هذه  
الهبة أوجدت لي شوقا زائدا لمشاهدة باقي وجهها حيث كل ما رأيته فيها  
يشير على جمالها وحسن قوامها فكانت صغيرة اليدين مصبوغة بالحناء

وكذلك صغيرة القدمين وشكلها وصفاتها تدل على شدة حزنها وظرفها  
فتفرست فيها مليا ولم أتمالك نفسي من النظر إليها لما لحقني من هواها  
ومشاهدتي حسن محياها فلما أضربت بأرجلها في فؤادي صحت متأوها من  
شدة العذاب لعلها تشفيني برد الخطاب وعندما سمعتني تطاعت فحوى في  
الحال فأخذها النحل والنحل ومدت يدها تترى وجهها برفقها فتمكنت في  
أثناء تغطيتها بمشاهدة قوامها الفتان وجمالها الهائل حتى أصابتني بهر  
عينها واشتعل القلب في قلب من ورد خديها وقد سترت نفسها بغيظ  
ظاهري لاني شاهدت أنها كانت تساوي برفقها باجل وضع وأحسن صناعة  
حيث انهارت كتحولا كافيا مظللا حول عينها المتلاثلة تنظرني بهما  
وتشرح هيجاني وتزيد توقد نيران

وما نسيت وما أنسى تبسمها \* وملبس الجوع غفل غير ذي علم  
حتى اذا طاح عنها المرط من دهش \* وانحل بالضم عقد السلك في الظلم  
تبسمت فاضاء الجسود والتقطت \* حبات منتثر في ضوء منتظم  
فلما استمررت متطلعا إليها باهتا من نبل مقلتها وهي مع ذلك مشغولة بما  
لديها ضجرت مني وقالت بعد ان اثنت كالغصن الرطيب ومالت ما سبب  
تظرك ألم تعلم أنه حرام وموجب لارتكابك الآثام فحنت قائلا لها يا قرة  
العينين وحق الامام الحسين لا تحرميني من هذا القوام فليس في العشق  
من حرام فان عيونك السود كوت فؤادي وتبدل نومي بالسهاد فبحق  
أملك وغريبتني في البلاد تسمى بنظرة يميل محياك ونحيي فؤاد عبد أمسي  
من أسراك فأجابتن بصوت أرق ونفسمه ألين من ضرب العود بل أدق  
لماذا تسألني لتنظر لوجهي وأنت تعلم حرمة ذلك وما ينتج منه من المهالك  
وتحريم الاجنبية على الاجنبي وأنت لست بزوجي أو أخي أو أبي سيما  
لا أدري من أنت ومن أي البلاد أنت ألم يأخذك من ذلك عار حتى



تخاطب جارية من ذوات الحشمة والاعتبار فأنعت كلامها الا وسقط عن  
وجهها لثامها مظهرة عدم التعبد في وقوعه فقلبت من مشاهدتها وجهها  
وجاله وما حوى من الحسن الذي ما كنت أتصوره بتمامه فهبت  
بوصفها قائلاً

لله اية طبيعية صادقتها \* فسبت فؤادي بالجمال المفرد  
مذاً أرسلت لحظاً وما من قوامها \* صرت القليل بعامل ومهند  
لما رأني هائماً في حسيها \* كشفت قناعاً عن محياها الندي  
فتعمت في روض الجمال بنرجس \* من لحظها وبخدها المتورد  
ككلاء زجاء الحواجب ان رمت \* عن قوسها سلبت فؤاد الا صيد  
والانف مثل السيف زاه حسنه \* والثغر بالدر النفيس منضد  
ولها عقيقة مرشف من تحتها \* وشم يضلل بتاسك متعبد  
فضح الهلال جبينها لمابدا \* من تحت طرة شعرها المتجد  
طالعت في الغزل الرقيق فلم أجده \* كصفاتها وأظنها لم توجده  
كم تاه في ليل الذوائب عاشق \* لولا السنن من وجهها لم يمتد  
لو يسمع الشعراء حسن حديثها \* لنسوا به طرباً ملاحن معبد  
لو أنعمت يوماً بإسرت طرة \* أهدت شفاء لآعينون السميد  
فوددت من طربي أطيرو لعا \* كيما أفوز بلس قد أغيد  
فازداد شوقي نحوها وكدت أقترب منها لولا سماعي اسم زينب يتكرر  
المرار بلا اصطبار بصوت عال رنان فلما سمعت معشوقي اللطيفة قامت من  
مكانها وذهبت لمن ينادي لها أما أنا فقسمرت في محلي الذي تظننها منه أولاً  
وانتظرت مدة طويلة مؤملاً عودتها فلم ترجع فالقيت آذاني أستنشق  
خبرها بين الصبحات الحاصلة فاصممت شيئاً عما الا صوت غضوب يتردد  
بعنف وقسوة يتهدد ويرعب النسوة فعلت انه لاشك صوت زوجة الحكيم وهي

امرأة يقال عنها أنها أقل جلالاً من أهلها وان زوجها المسكين في قبضة يدها  
وخاضعاً لامرها

فلما انتهى النهار وأتى الليل بالاعتسار وقت اتجه يرفراشي وأنا قاطع  
اليأس من عودتها اذ سمعت ثانياً صوتاً يقول يا زينب أين تذهبي ولماذا لم  
تدخلي لفراسك

فطرق بسمعي جيداً جواباً معشوقتي وبجمال تذكري ما وقع منها انظرتها على  
السطوح فوصل في قلبي خفقان وضربات زائدة وعزمت على نط السور  
الفاصل بيننا فلم يمنعني عنها الا كوني رأيتها أخذت سلاماً ودخانا وتأخرت  
بسرعة والتفتت نحوى وقالت بنعمة رخيصة الصوت موعداً باللقاء غدا في  
المساء ثم مالت وانثنت وعن عيني اختفت فاضطرم في جسدي اللهب من  
حسن الفاظها ورقة نعماتها بحالة لم يسبق حصولها لي وكأني أخاطب  
بقول القائل

صادتك من بعض القصور \* بيض نواعم في الخدور

حور تحور الى صبا \* لباعين منهن حور

وكأنما بشغورهن جنى الرضاب من الخجور

يصبغن تهاج الخدور \* دجاء رمان الصددور

هذا ولم أمل من تكرار ما قالت وأنا أترنم آياتاً بما وعدت

وافت وقد رأت العذول بعرضه \* فقت وأومت بالطلاق في غد

يا حسنه وعدا ولكن قبله \* ليل يطول بلوعة وتسمد

ثم لعبت بي أيدي الغرام وأوردتني مناهل العشق والهيام وهي تخيل لي  
ما كان من معشوقتي

سألتها حين زارت نضوب رقعها الشصافي وايداع سمعي أطيب الخبر

فرحزحت شققا غشي سني قمر \* وساقطت لؤلؤاً من خاتم عطر



فلما جن الليل واشتد بي الهيام تبجرت في بحر الغرام وكنت كلما أغوض  
لحمة تزداد النار في فؤادي اضطرام حتى غشي علي ولم أدر بنفسي  
وسقطت ملقيا على فرشتي وقد آيست من انقطاع نفسي ولم أتيقظ الا في  
الصباح ففتحت عيني ووجدت أشعة الشمس في وجهي

### ﴿الفصل الرابع والعشرون﴾

﴿اختلاء الحاج بابا بمشوقته زينب اللطيفة ومسامرتها

معه عن حالتها وصرف أوقاتها بمنزل الحكيم﴾

(قال الحاج بابا) فقلت في نفسي بعد مسح عيني من النوم أهكذا أقع في  
المحبة ولكن صبرا حتى أنظر ما ينتج منها وأسألها هذه الليلة عن حالتها وصفتها  
وكيفية معيشتها واذا وجدت من جوارى الحكيم فبخراب بيته ان لم أعلمه  
كيفية التحفظ على أمتعته أما من جهة الزواج فيستحيل لرجل أن يعرض  
ابنته أو جاريته لزواجي لاني لحد الآن ليس لي مقدرة لشراء لباسين أستتر  
بهما وغير ذلك فانه يلزمني على الأقل القيام بمصاريف الفرح ولكن عشمي  
من الله سبحانه وتعالى حصول ذلك عند اقتداري على جمع بعض دراهم  
وليس لي الآن الا التحيل بالطرق العشيقية التي يلتزم بها الحكيم على دفع  
المصاريف

ثم قمت من فراشي بهذا العزم ولبست ملابسى بغاية الاعتناء فوق العادة  
ومشطت ضفائري وصلحتها باحسن وضع وساريت خزامى جيدا ووضعت  
طربوشى على رأى مائلا من جهة واحدة ولقفت فرشتى وجلتها الى قاعة  
الخدامين ونجرت الى المنزل قاصدا الاستحمام ليزداد رونق حلاوة وأستعد  
لاستقبال هذا المساء ومقابلة معشوقتي الحسنة

فتوجهت الحمام وأمضيت فيه أغلب النهار بالغناء والترنم بالاشعار ومشيت

أتسلى في شوارع المدينة أصرف الاوقات لاقترب الميعاد وأنا طائش  
العقل لا ألتفت لشي

هي شمس النهار في الحسن الا \* انها قضت بقتل اطراف  
غضه بضه رخيم لعوب \* وعشه المتن تحتة الاطراف  
زانها دلهها وثغر نسقي \* وحديث مر تل غير جاف  
وما زلت على هذا الحال حتى انتضى النهار وقل منى الاصطبار ولم أنتظر  
فقط الا (الشام) أكل المساء وبعد ما دعى بالم في رأسي وأطلب براحتي ولكن  
من سوء حظي تأخر الحكيمة زيادة عن عادته في خدمة الشاه ولما حضر  
وانتهى الطعام وتقدم ما بقى للخدام وجدت الوقت أزف فراد ما بي من  
الشغف حيث أخذت الشمس في الاصفرار والافول وما وصلت السطح  
وفرشتي تحت ذراعي الا وغابت الشمس وأضاء القمر فطرحتها وفرشتها  
وجريت وأنا خافق الى الحائط المخروق لا تظر معشوقتي فتطلعت منه ونجيتني  
التامة لم أرا أحدا غيرا كوام الدخان متلجطة وسلال منتشرة بحالة غير  
منتظمة يرى منها عدم انتهاء بعض الاشغال فنظرت لزوايا المكان يمينا  
وشمالا فلم أجدر ينب وتنهجت مرة ومرتين فلم أسمع أحدا الا صوت زوجة  
الحكيم كان يطرق بأذاني وهي تتسلط بقوتها على إحدى الجوارى في منزلها  
ومع ارتفاع صوتها السماء واختراقه الاسوار الا انه ما كان يمكنني الوقوف  
على سبب غضبها وهيجانها لهذا الحد من شدة لهجتها في الصباح ثم اقترب  
صوتها فخوى وخرج من المنور فسمعتها تقول

أنكلمني عن الشغل يا بنت الشيطان ومن أمرك بالتوجه الى الحمام  
وما الدواعي الموجهة لذهابك الى القبور فاظن اني أنا جاريتك وأنت تفعلين  
ما يشرحن وما السبب لعدم نهو شغلن فاعلمى انك لا تأكلين ولا تشربين  
ولا تنامين ما لم تخلصيه فاذهبي حالا اليه وان أتيت قبل خلاصه فوالله وبالله



والنبي لا ضرر بك على رجلين حتى تنساقط أظافرك  
 (قال الحاج بابا) ثم تلا ذلك الصوت الشديد طرد وتهديد وفي الحال لمحت  
 معشوقتي اللطيفة آتية إلى مكانها والحزن ظاهر على وجهها وكنت في  
 هذه الدقيقة أبيت من مشاهدتها ونهيتي بحضورتها وقد قام بي من  
 الهيجان ما أوقد بجحيم النيران فانشأ لسان حالي يستعطف خاطرها  
 حيث قال

أزيب لا تصغي لقول المقتد \* فليس عذول في الغرام يرشد  
 أزيب ان طال التهاجر بيننا \* خف الله في قتل المحب المسهد  
 أزيب ان أضيت جسمي كأنما \* أطول الضنا أغريت بالنوح عودي  
 أزيب مالي في الصباية منصف \* سوى الوصل ان الوصل منك لم يعدي  
 أزيب ان القدييدو كعامل \* ولحظك بسطو مثل نصل مجرد  
 أزيب مهلا ليس بالقلب مسكة \* فيقوى على ربح وسيف مهند  
 أزيب ان لم تسعني الصب بالمنا \* ونوفي فطيري الغداة باسعد  
 أزيب أفديك بنفسى وأسرني \* وأهلي ولا أرضى طريقي ومتلدي  
 أزيب مدقلت الغداة لقائنا \* فبتوكم حن الفؤاد الى الغد  
 خيلي ان الصب صعب مرأته \* وان بات في وعد وفي غير موعد  
 وقد تبين لي ان ما أجزته معشوقتي من الخيل والتدبيرات واستمرارها بدون  
 ان تخشى عاقبة أمر مخيف هو بقصد اجتماعنا وان كانت نظرتني الا انها لم  
 تلتفت بخوي لحين انقضاض الصباح الحاصل في بلوك سيدتها

هذا وبعد ان سكن الصباح أو مت الى بالحضور فلا يخفى على ذهن المطالع  
 حالي في هذا الوقت وتلهي فاني أسرعت لجانبها في أقل من طرفه عين ولم  
 يعلم مقدار ما تداركنا من الفرح والسرور لما نحن فيه من الهيام الا الذين  
 كابدهوا العشق وقد ظهروا لي من سياق حديث معشوقتي انها ابنة أحد رؤساء

الا كراد استأمر مع عائلته وخدمه ومواسيه وكانت اذ ذاك حديثه السن  
لا تدرك شيئاً ومن ضمن حكايتها التي ستقصها انها وقعت في يد الحكيم الذي  
هي الآن جارية له

ولما هدا ما جاش من هيامنا واطمان خاطرنا بلفائنا ابتدأت زينب تذكر  
ما تم من الكدر الناشئ من سوء معاملة سيدتها لها الآن فقالت

(آه) ألم تسمع يا حاجي ما نسبتي اليه تلك المرأة عديمة الايمان فهكذا  
معاملتها لي دواماً وهي لا تمل من لعني وتعنيتني حتى أصبحت أقل من الكلب  
وكل واحدة تهزأ بي وتسخر علي ولا يقترب مني أحد وقد ذاب كبدي وصار  
كالماء وآات روجي تبلغ التراقي ولم أعلم الموجب لنسبتي بابنة الشيطان وأنا  
كرديّة وزيدية وحقيقه أخاف الشيطان وأتوقاه ومن الذي لا يخافه الا  
اني لست ابنته (لان اليزيدية قبيلة من الاكراد ويقال انها تعبد  
الشيطان) آه وأسفاه لو كنت أقابلها على جبلنا لترى ماذا تفعل البنت  
الكرديّة من القوة والشجاعة ثم بكّت وأنت واشتكت ولسان حالها يقول

ياد هرو بحد كم أطلت تلهي \* وتشوقى للاهل والاطوان  
اذ كان فيك أنى زعيم عشيرة \* وأشدّهم بأساً ليوم طعان  
يحمى الزيل نهاره وبليله \* ما نام غفلاً عن قرى الضيفان  
واها العز كان يعهدانه \* ما لا يصاب بطارق الحدّثان  
فعدت عليه الحادّثان بغزوة \* شعّاء ما كانت على الحسابان  
ظفر العدو بها وساعده الفضا \* فاستأصّلت بالاهل والاخوان  
يا ويل قلبي من خطوب فرقت \* من شملنا بددا بكل مكان  
أودى أبى واستأمرت أمي وقد \* حلت بشاسعة من البلدان  
وغدوت في أبدي الذي يستامني \* من بعد عزلة جهوان  
فحسى الهى ان عمن يجـمعنا \* ماخاب عبيد لا ذبال رحمن



فاجتمعت في تسليتها بقدر ما كان في وتلطيف غضبها حين ما تمكن من فرصة  
تنتقم منها بنفسها فاستعالت حصول هذا الامر كلية لترقيهن الزائد الى  
جميع أفعالها وسيرها وانها لا تسلك من أودة الى أخرى بدون علم سيدتها  
ثم قالت زينب ان أصل زواج سيدتي بالحكيم هو ان الملك غضب على احدى  
الجواري (وهي سيدتي) فطردها من الحرم الملوكي لسوء سلوكها وأمر انها  
تزوج باقل الناس فلم يجدوا غير الحكيم فتأهل بها ولم تدخل له بشئ من  
المفائس سوى قبح الطبع وخر عظيم من الكبر تظهر به سلطتها السابقة  
في حرم جلالته ولذلك فانها تعتبر زوجها الحالى أقل قيمة من التراب الذي  
تحت قدميها ومنسطة بكبرها عليه وهو في يدها بحالة يرثي لها من الخضوع  
والذل وانه لا يتجاسر بالجلوس في حضرتها ما لم تؤذنه ولا يكون ذلك الا نادرا  
بخلاف ما بها من الغيرة الزائدة ولم توجد جارية في حرمها الا ويدخلها  
الوسواس من جهتها الشدة غيرتها

ومن وجه آخر قال الحكيم الذي ازداد طمعه واكتفى برفعة شأنه وعاقدره  
أصبح عرضة لاهوان الطبيعة البشرية وبذا صار لاحظ له ولا احساس  
ببسل طبيعته لمشاهدة محاسن وقدود جواريه الخورية وقد أخبرني زينب  
نفسها انها كانت في أوائل الامر مطمح اقطاره وافكاره الوحيدة وبذلك  
لا تسمح له روجته من شدة غيرتها بالنظر أو الاشارة اليها بشئ ولو بمجرد  
الابصار بخلاف ما هو حاصل من التجسس الكلى في الحرم عند توجه زوجة  
الحكيم الى الحمام أو الجامع فانها تحترس جدا بان توزع الجواري على  
الاشغال كما تقتضيه الظروف والاحوال مثل ما يصير تجهيز استعدادات  
لاعمال فرج ونياط كل منهن بأمر

(قال الحاج بابا) ولكوني لم أرم مطلقا مصالح داخلية مثل هذه أكثر  
مما رأيت منذ صغري في منزلنا لهذا الآن فأخذني العجب من ذلك والذي

أدهشني زيادة هو ما سمعته من ضمن تاريخ حياة زينب اللطيفة في منزل الحكيم وهو

(قالت زينب) اتنا خمسة جوارى بخلاف سيدتنا داخل الحرم وهن شيرين (أى الجميلة) الجارية الجرجانية والشابة نورجهان (أى نور الدنيا) الجارية الحبشية وفاطمة الطباخة وليلى العجوز القهرمانية أما وظيفتى فهى بصفة خادمة أمام الخاتم (وبذلك تسمى سيدتى لان معتبرى العجم يلقبون زوجاتهم بهذا الاسم) ومما يجب على أدائه التفانى لشبكها ومناتها القهوة وادخال الطعام وتوجيهى معها الحمام وتلبسها وتقليمها ومسح ملابسها وتصلحها وفرك التبغ ووقوفى امامها

أما (شيرين) الجرجانية فهى بصفة صندوقدار (حافظة المنزل أو خزانة) ومن خصائصها التفانى باللبس سيدي وسيدتى بل وملابس عموم الحرم أيضا وملاحظة المصاريف وتخزين غلال المنزل وما يلزم من المؤونة وفى عهدها الصينى والفضة والالوان وبالاختصار فانها مختصة بكل أمر سواه كان ذا قيمة أو من متعلقات العائلة

أما (نورجهان) فهى لوانجية (فراشة) وعليها تنظيف الاوساخ وفرش السجاج جيد وكنس الاودور وش الحوش ومساعدة الطباخة وتحمل البقج والرسائل وانها معدة لمساعدة كل من يدعوها

وأما (ليلى) العجوز فهى بصفة كينية (رئيسة) على جميع الجوارى ومصلحتها خارج المنزل فانها تقوم بقضاء المهمات الصغيرة التى تلزم الخاتم من حائل المنازل الاخر والمظنون فيها انها جاسوسة على أحوال الحكيم وساوكة فى الحرم وهى كذا تنقضى علينا أيامنا بالمجادلات والمشاجرات المكدره وانه فى بعض الاحيان يتحد جاريتان منا مع بعضهما ويتفقا غاية الاتفاق بالصحة المتينة على مضادة رفقائهما بقصد طردهن وحرمانهن



من التفات سيدته

والآن حاصل بيني وبين الجارية الجرجانية شقاق عظيم وسبب ذلك انه لما  
تبادى عليها الزمن ورأت ان أيامها انقضت عليها بالشؤم وعدم القبول  
عند سيدتها عملت كل حيلة للحصول على حجاب محبة من أحد الدراويش  
وبعد استحوادها عليه في أسرع مدة لم يتم ثاني يوم الا وانلخا ثم أهدها  
بصلطة وقد أوجب هذا الامر عدى غيرة شديدة حتى بذلت ما في وسعي  
للاتفاق مع الدراويش بان يكتب لي حجابا يسبب لي زواجا صالحا وفي مساء ذلك  
اليوم الذي أحضره لي الدراويش نظرتك على السطح فاستبشرت بتحصين  
حالي وقد وقعت مسألة أسست بيني وبين شيرين المناقصة وكانت عاقبتها  
البغضة والعداوة وأصبحنا الآن من أشد الأعداء نتمنى موت بعضنا بعضا  
انما يحتمل في زمن مستقبل العودة للمحبة ثانية في لحظة واني الآن في غاية  
الصحبة الثابتة مع نورجهان وبالنسبة لاغرائي لها فهي جارية لقاء الفن  
والدسائس للخناخنة وانخبارها بوقائع قبجة ضد عدوتي المذكورة

أما السبب الناشئ عنه هذه العداوة هو انه تصادف في احدى الايام اعمال  
بعض حلويات وقطورات في السراية الملوكية ولتدرة صناعتها أرسلت  
احدى حرم الشاه جزأ منها هدية لسيدتنا فامر تنابا تحفظ عليها فتسلطت  
عليها الفيران وأكلت منها قسما كبيرا ولما سئلنا عن ذلك نسبنا الالهمال  
والذنب الى الجرجانية فغضبت سيدتنا لهذا الامر واغتاضت منها وأمرت  
سيدتنا نورجهان بضميمها بالقوها الجوارى على الارض وقامت نورجهان  
بأمر سيدتها

وأما أنا فكسرت كأس الشرب تعلق سيدتي وكان عزيزا عندها فاصدقت  
ان رأت شيرين ذلك الا وابلغت سيدتها وأرتها اني أنا المتسببة في كسره  
فالزمتني بشراء كأس غيره واني أعلم انها ما زالت الآن تلقى الفن وتدس

الدسائس ضدى نظرا لتقربها من ليلى وصحة ما معها لكونها محبوبه عند سيدتنا فى هذه الايام ولذا فاقى فى غاية الاحتراس من عدم اكل وشرب شئ من يدها خوفا من السم وهى تقابلنى ايضا بمثل ذلك ولم تبلغ درجة التسمم هنا فقط لابل فان عموم العائلات الاخر يتخذون الاحتياطات عند حصول ما يماثل هذا الامر بينهم

وايضاً قد وصلت المسئلة من مدة ايام لضرب بعضنا بالكفوف لانها قورت غضبى وهيجت ببيصقها على قولها الى (لعن بى شيطان) اللعنة على الشيطان تريد بذلك انا طنى ولا يخفك يا حاجى ان هذه اعظم مسببة للزيادة فاشند ذلك غضبى وطار عقلى وهجمت عليها ودعوتها باقبح الاسماء التى تعلمها باللغة الفارسية ولويت شعرها على يدي وجذبتة فقلعته من جذوره ولم يفرق بيننا الا (ليلى) التى كان لها نصيب من المسببة بعد ان استمرينا ناعن ونسخر بعضنا مدة طويلة حتى يست ازوارنا من شدة الغضب والصراخ وكدنا نقطع النفس وقد هداروعنا وشنى غلبتنا لحد الان بهذه المشاجرة ولكن كراهنها الى الان لم تنقص لانها مازالت تظهر سلطتها فى النيمة ضدى فى أى وقت تتمكن من القائها للنايم بواسطة صاحبها ليلى

(قال الحاج بابا) وما زالت زينب تتسامر معى بهذه الحالة بقصد تسليتى حتى لاح الفجر الاول ومعنا المؤذن يؤذن فى الجامع لاجتماع المصلين فاستحسننا مفارقة بعضنا خوفا من كشف سترنا بعد ان تواعدنا بالمقابلة فى أى وقت يسمح لنا بذلك واتفقت معى انها عندما تجدد وقتنا بواسطة تدبيراتها تتمكن فيه من اجتماعنا نانيا فتعلق برقها على فرع شجرة فى الحوش تتمكن من نظره من السطح وان لم أجده فيكون ذلك دليلا على عدم المقابلة تلك الدلية واقرقنا بهذا الشرط



﴿الفصل الخامس والعشرون﴾

﴿اجتماع العاشقين ثانيا وما حصل لهما من الانبساط

وانشاد الحاج بابا الاشعار﴾

(قال الحاج بابا) فطلعت في مساء الغد على السطح مؤملا رؤية ما يبتنا من  
الاشارات التي اتفقنا عليها ولكن تأسفت بعد العدم رؤية البرقع معلقا على  
الشجرة فجلست على الارض فاطع اليأس ولم أرا الدخان وآلات التنظيف  
في محلها ووجدت البيت ساكنا ليس به صوت آدمي لا ولا صوت زوجة  
الحكيم الذي لا ينقطع مطلقا فكنت في هذا الوقت أترقب سماعه حيث نهيا  
لي انه أطرب وألذ صوت موافق على وجهه الارض لتلذذي بسماعه وان  
الطبيعة البشرية في حاجة اليه وأيضارة النعال التي لا أشك فيها انها ناشئة  
من ديب لبلي العجوز اذ انها علامة على وجود أحد بالمنازل  
وما زلت على هذه الحالة حتى طرق آذاني بالتعاقب صوت موسيقى الملك على  
بعد وضرب الطبول وقعقة الترمييطات وكان كل ذلك دلالة على غروب  
الشمس وبعدها سمعت جملة مؤذنين مختلفين يدعون المصلين لصلاة  
المغرب هذا ومعظم افكارى متجهة للوقوف على خبر معشوقتي  
واسمعت منظر احنى سمعت أيضا طبل الضابطية تأمر الناس بهفل  
دكا كينهم وتوجههم لمنازلهم وكذلك كنت أسمع مناداة الدورية التي تخفر  
الملك على أسوار السراية من مسافات بعيدة وقد جن الليل واحتبك الظلام  
ومع كل فان منزل الحكيم في غاية السكون ولم أشعر بديب أحد فيه فقلت في  
نفسى ياترى ما الداعي لذلك كله فلو فرض وتوجهوا الحمام فانهم لا يتأخرون  
لهذا الوقت ومع ذلك فان حمامات النساء لا تنقع الا في الصباح فقط انما لا بد  
وانهم جار بين عادة مريض أو توجهوا في عرس أو ولادة أو لم يتوجهوا

للمدفن أو يحتمل ان الحكيم أتت له داهية وينما أنا على هذه الحالة وقد  
 قتلت نفسي من الافكار اذ سمعت الباب يطرق بقوة على حين غفلة وبمجرد  
 فتحه وقعت الشباشب وعلت أصوات جلة نساء مختلفة ومن ضمنها صوت  
 الخاتم المشهور يد مدموح مهم عليهن كالصاعقة وكان يبنن جلة فوانيس  
 من الأمام والخلف وقد أظهر لي نورها هيئته النساء حتى انه بحال رفع  
 براقهن من فوق وجوههن تحققت من مشاهدة زينب معشوقتي  
 فقلت في نفسي لا بد من الانتظار لعل أخطى وأتبارك بموانسها قليلا حتى  
 ظهرت بقوامها المياس وساررتني بكل احتباس بقولها ان دواعي  
 الاحوال تمنعنا عن المجانسة في هذا الوقت ولا يمكنها التأخير وانها تجتهد في  
 تدبير حيلة للاجتماع في وقت آخر ثم أخبرتني بغاية الاجاز ان أسباب  
 خروجهن هو أن سيدتها أتانا خبر اخنار وهي إحدى الستات الموجودات  
 في مرآة الشاه انها فاجأها المرض وقضى نجمها الساعة والمظنون ان موتها  
 تسبب عن تعاطي السم بواسطة أحد أعبدائها وانها أخذت جميع  
 جوارحها صحتها لكي ان تزيد من غاغة الحزن الذي تعودوا على اجرائه في  
 مثل هذه الاحوال وتوجهن وقت الظهر وصرن يحمن ويصوتن بقوة وقد  
 امتلأ الجو بصياحهن وكاد أن يتحرق الهواء من ضجيجهن وماران على  
 هذه الحالة حتى اخشنت وبحثت أصواتهن وان سيدتها امرت ملاسم ان تريد  
 بذلك أداء فروض التوبة للعزاء وانها المأتملة في القستان الذي علمها انه  
 ذوقية عظيمة أمرت بشق فلقين أو ثلاثة منه وبما ان تشيع الجنازة  
 سيكون في ثاني يوم فصروري من وجودهن من صباح باكر هنالك  
 للاستمرار في اقامة المحرزة ثم قالت زينب على قبول المزاح ان سيدتي  
 ستأخذ مكافأة لها على هذه المصلحة مند بلاسودونا كل الحلوى وعلى  
 ذلك انصرفت معشوقتي بعد ان وعدتني انها ستبذل غاية جهدها في ايجاد



فرصة للمقابلة في مساء الغد ونهتني بالآلة فأتيت للاشارة المعلومة  
ولما أصبح الصبح رقت من فراشي وأنا شاخص بجهة معشوقتي  
فاندشت جد الرؤية الاشارة في هذا الوقت ثم لمحت زينب تشير لي بالذهاب  
لصوبها فاصدقت ان امرعت بالانزول من السطح كالطائر اليها من السلم  
التي كانت تستعمله للطلوع عليه ووجدت نفسي في لحظة واحدة واقفا في  
وسط الحرم فلما افقت من سكرتي هذه ورأيت نفسي اني في مكان لا يسمع  
لاي انسان مهما بلغ في الوقاحة أن يصل اليه تلبستي الخوف والاتراج  
الشديد ولكن بالنسبة لما كانت تسكن به روعي معشوقتي وتطمئن خاطري  
بحسن لطاقمها ورقة الفاظها قويت نفسي وتبعتها

ثم قالت تفضل يا حاجي ودع عندك الخوف والجزع فلا أحد هنا خلاف زينب  
معشوقتك وان أسعدنا زماننا فنتا آنس يومنا باجتماعنا في غياب عوارتنا  
فاجبتنا وقد أخذ العجب مني كل مأخذ كيف فعلت ذلك وهل يتأتى منك لهذا  
الحسد فان الحسنان وأين النساء وان لم يكن هنا فكيف الفرار من مخالب  
الحكيم

فقلت زينب مكررة لا تخف يا حاجي فاني أغلقت جميع الابواب ولو تصادف  
وحضر أحد فالوقت كافي جسد الهروبك قبل الفتح لهن فلا تخش أمر من  
هذا القبيل لان جميع النساء توجهن للجنائز واما من جهة مرزا أحق فان  
سببتي في أمان من عدم حضوره في مثل هذه الاحوال بالنسبة  
للاحتياطات الكلية التي تجريها نحوه ولكوني الآن بالمنزل بمفردي فلا  
يتجاسر أن يقترب من منزله على بعد فرسخ

ولتعلم يا حاجي بما أراه فيك من الاندهاش العظيم المتلبس بكل جسمك ان  
جميع ما قدر علينا لا بد من اتقائه عما قليل وان أول ساعة رأينا بعضنا فيها  
لا سعدا لساعات حيث من بعدها جميع الامور متيسرة لنا وكل ما نطلبه

نجدد مملأ والسبب في ذلك هو ان الجارية الجرجانية عدوتى أدخلت في فهم  
الحائض مسئلة تخصنى اذ قالت لها لما أرادت التوجه للجنائز بما أن لبلى  
معدة من التواحين المستعدين في المحازن وانما تعلمت هذا الفن بجميع  
فروعه منذ صبا ما فلا يستغنى الحال مطلقا لوجود هذه المرأة في مثل هذا  
الوقت ولذا قلها الافضل في التوجه بدلا عنى (زينب) بما أنى كريمة  
ولا أعرف الا قليلا من عوائد العجم وانها لم تفعل ذلك الا لكرهتى وقصد  
حرمانى من المنديل الاسود ومنافع أخرى وعلى ذلك تركونى في المنزل  
بمفردى وتوجه جميعهن لمنزل المتوفية ومع ما كنت أدعيه من الغضب  
ومقاومة لبلى في توجهها بدلا عنى بحدة ظاهرة حسدت الله لاجتماعنا  
سوية فلنغتنى الا آن لذة وقتنا هذا بالانس والانشراح

(قال الحاج بابا) ثم انما توجهت الى المطبخ لتجهيز صينية طعام لقطورى  
وتركتنى أمتع نظرى وأسلى نفسى بما خفى داخل الحرم عن العراب مثلى  
فدخلت أولا الى بلوكات الحائض المخصوصة فوجدتها مطلة على بستان وبها  
شباك عريض متسع يدرف من الزجاج الملون وباحدى زواياه مخدع معد  
لجلوسها وعليه سجادة ثينة مطبوعة تصفين وبأسفله وسادة لراحة رجلها  
مكسية بالجوخ المطرز بالقصب وفي كلا طرفيه ازور من السجق الغالى ومغطاة  
بغطاء من الشاش ويحاذى المخدع مرآة لطيفة مدهونة بلبوية الجيلة  
وصندوق مشتمل على جميع أنواع العجائب وبه زجاجات الفطرة وآلاتها  
الصغيرة وألوان مختلفة من الصبغى وزوج علاقات مربوط بهما التمام وبه  
من أنواع الزينة ما يلصق بالشعرو يعلق على الجبهة وأيضاً سكاكين  
ومقصات وأشياء أخرى وبالقرب من المخدع وتروط بعبورة وأمامها رانب  
نومها فوضوعة مطبقة في ركن آخر أبعد من هذا وملفوفة بغطاء من قماش  
أزرق وأبيض ثم رأيت جملة رسومات بدون براوير معلقة على الحائط وباعلى



سور المكان رف من دحم بأنواع الزجاج والطشوت وخلافها وعثرت في ركن آخر على جملة زجاجات من نيدشيراز ومن ضمنها زجاجة مغطاة بزهرة يرى ان الخاتم شريت منها هذا الصباح لتنعش جسمها وتقوى نفسها المدة الذي تمكثها في المحزنة

(قلت في نفسي) ان النبي عليه السلام لم يراع كثيرا في هذا المنزل ولكن ذلك مما يجعلني مرة أخرى أعرف قيمة ما يدعون به رياء امام الناس من الطهارة وثبات الايمان وان حكيمنا مع ما يظهره من التقوى الاسلامية واعطاء الجرع والشراب في الخارج يستعمل بدل ذلك الكمية الوافرة من النيد في منزله

وبحال ما انتهيت من القرجة على هذا المحل وما فيه من الجائب التي أدهشتني وعلى محلات الخدم أيضا كانت زينب جهزت الفطور في أودة الخاتم فجلسنا على المائدة قبال بعضنا واتكأت على المائدة السابقة الذكر ولم أجد في عمري الآن هذا الطعام طعما وصناعة حيث يحتوى على صحن من الارز المقلقل الابيض بلون الثلج وبجانبه صحن من اللحم المشوية مقطعة قطعاً صغيرة وموضوعة داخل شقة كبيرة من الخبز ثم وبطبخة أصهبانية مشقوقة قطعاً مستطيلة وبعض من الكمثرى والمشمش وأيضاً عجة مسخنة يظهر انهم من قايما طعام وجينة وبصل وكرات وزبدية من اللبن الحامض وصنفين مختلفين من الشراب وزيادة على ذلك بعض الحلوى وصحن مملوء من العسل الجديد

فلما رأيتها جالسة أمامي كالبدرة في ليلة أربعة عشر زادهي وتوقدت نيرانى فابتدرتهم بالتحية والتهانى بما عناه لسان حالى

أهلاً وسهلاً بالحبيب ومرحباً \* فلقد وفاقى بالوعود وأطرباً  
أحباً فؤاداً كاد يتلفه الامى \* مذبذباً في أيدي الغرام معذباً

لولا الصبا من فحوز ينب كان ينشئ شه لا ودي طائع لولا الصبا  
 فاستبشري يا عين بالقبول يا \* قلبي تنأ فالطيب تقريبا  
 فاعجبها كلامي وشكرتني على نظامي ثم صحت وانا أبرم في شواربي بعدان  
 تأملت في الاصناف اللطيفة التي اماي قائلا \* وحياة املك يا زينب \* اني  
 اني غاية العجب من سرعة توبيخك هذا الطعام كله في اقرب وقت وان هذا  
 لفظور يحق تقديمه للشاه فقالت زينب

(آه يا حاجي) اما من جهة هذا فلا تنب افكارك بل امد يدك وتناول  
 منه قدر طاقتك فان السبب في السرعة هو ان سبدي امرت بتعضير  
 الفطور قبل دخول الليل ثم عاودت افكارها هذا الصباح بالا كل في منزل  
 المتوفية وزكته لي وما ذلك بكثير اليس فلنا كل فقد طاب الوقت بالانس  
 والانشراح

(قال الحاج بابا) فأكلنا ونحن مسرورون وفرحون ونحن نتسامر بلذيق  
 الحديث من قديم وحديث وتركنا جزأ يسيرا منه على حسب العادة  
 احتراماً للمائدة وبما باتى أحد من بعدنا يريد الاكل وبعد ان غسلنا أيدينا  
 وضعنا النبيذ امامنا وخلعنا العذار وكشفنا عن الهوى الاستار ونحن  
 نهي بعضنا باجتماع حيث وجدنا أنفسنا في خلوة بعيدة عن فكر الرقيب  
 ومتمتعين بأعظم لذة ونقول اننا الآن أسعد الناس على وجه الارض  
 ثم انهم امدت يدها الى طبق الفاكهة وناولتني تفاحة فاخذتها وقبلتها  
 ووضعها اماي وعدت للعود ووصلته وغنيت

فديت من حيا بتفاحة \* كأنها في اللون من وجنته  
 نسجها يخبرني انها \* تسترق الانفاس من نكهته  
 لما حكى نوعين من وصفه \* قبلتها شوقا الى رؤيته  
 فاعجبها كلامي واخذت سكيناً وشرطتها نصفين ووضعت منها قطعة في فمي



فأكلتها وغنيت هذين البيتين

أعطت يداء محبة تقاحة \* تعطي المحب امانه من صده  
فعلت حين لثمتها من كفه \* اني سألتم مثلها في حسده  
فقلت لقد أجدت في المقال وأحييت قلبا أبراء السقام ثم أشارت الى  
الكمنري وقالت بم نصف هذا القوام فقلت

وكمنري تراه حين يبدو \* على الاغصان مختصر الثياب  
كئدي ملبعة أبدته بها \* له طعم الذمن الشراب  
فقلت عجبا وانتنت طربا وأخذت سفرجلة من الطبق وقطعتها  
كالحلق وناولتني قطعة وقالت كيف تجده هذا المذاق أيها العاشق  
المشتاق فقلت

حاز السفرجل أوصاف الوري فغدا \* على الفواكه بالتفضيل مشكورا  
كالراح طعما ونشر المسك رائحة \* والتبرلونا وشكل البسدر تدويرا  
فقامت واعتنقتني ومالت علي وقبلتني وقالت لقد شفيت الفؤاد بعد  
ان أحرمتني طيب الرقاد ولم يبق عندنا غير المشمش فهل لك من واحدة  
فانه للقلب منعش فقبلتها وقبلتها وقالت

ومشمش جاء نأمن أعجب العجب \* أشهى الى من اللذات والطرب  
كأنه وهب سوب الريح تنثره \* بنادق خرطت من خالص الذهب  
ثم انها ملأت كأسا من النبيذ وناولته لي فشربته وأعقبته بالثاني والثالث  
حتى تخيلت أمانى انهما من الحور فاخذت العود وغنيت هذين البيتين  
وكردى اللعاطز روم قتلى \* عقارب صدغه فاقول روى  
ومن شغفى بحس القدمه \* أعار على الغصون من النسيم  
فلا ت كأسا رابعا وأرادت تناولي اياه فاقسمت عليها بشربه وملأت لها  
آخر فشربته فزاد حسداها في الاجرار ومن شدة انبساطها أخذت العود

وضربت عليه جملة أدوار ثم قالت زدني سروراً بما عندك من لطائف  
الاشعار فان هذا ما يولد الافراح ويطيب به شرب الراح فاخذته منها  
وأصلحته وغنيت هذه الايات

أدم يارب خلواتي بحبي \* لا قضي بالتواصل منه ديني  
ولا تجعل هنالك سوى لسانى \* سفيراً بين أحبابي وبينى  
وان قدرت انساناً يرانا \* بحقك فليكن انسان عيني  
قالت لا تخف أيها الحبيب فليس هنأ من رقيب فعند ذلك اشتد بي الفرح  
والسرور ولعبت بعقلي النجور وعدت للعود بمعدان وضعت جانبي  
ونسيت مخذورات مستقبلتي وأصلحت أوتارها وغنيت أياتاً من كلام الحافظ  
تعلتها في صغري وكنت اغنى بها في الحمام لا طرب بها من يسمعي وهي شبيهة  
بقول محمد بن العفيف حيث قال

سهر العيون يلد للمشتاق \* والسقم خير ملابس العشاق  
فاختر سهادك في الهوى عوض الكرى

واختر قنأك في جمال الباقي

وصل المدامة والنديم ومنزل الشحانات وانضع ساجد الساق  
واسكن جنان الخلد بالنار التي \* لم ترم غدير الهم بالاحراق  
صهبا ترمق من جفون حبابها \* من غير ما هذب ولا آماق  
يسمى بها دن القوام مهفهف \* كالغصن ماس مروثق الاوراق  
أحداقه ملئت من الاقداح أم \* أقداحه ملئت من الاحداق  
فما انتهيت من غنائى الا وانطربت ومالت وانثنت وغشى عليها فلما آفاقت  
قالت انهم لم يرمروا ولا لذة مدة حياتها أحسن من هذه الساعة وانها  
نسبت ان كلانا أقل الناس ذلاً واحتقاراً وانها جارية في الاسر وأنا أخرج  
جميع أهل العصر ومازلنا على تلك الحالة والنهر يلعب به يقولنا حتى نهبأ لنا



ان جميع الادوات التي حولنا هي ملك لنا وان الجرو وعشقنا لا ينقضيان مدى  
 الدهر هذا و بعد ان غنيت جملة ادوار ونحن غملا كاسا بعد كاس حتى  
 افرغنا الزجاجة وحدث الوقت فسيماقتشوقت لسماع تار يخها فقلت لها  
 ((يا زينب)) لقد وعدتيني من مدة ان تحدثيني بتار يخك وما جرى لك  
 واسباب أسرك وطاوعك من بلدك لهذا لانني أرى ان هذا الوقت  
 أسعد الاوقات وفيه تستحب المسامرات سيما ما حصل لك من المخاطر  
 بما ان اجتماعنا بالليل غير معاوم بالتحقيق فأجابت طلي بغاية البشاشة  
 وهي مسرورة الخاطر وقالت ان رحلتى عجيبه وحكايتى غريبة وما فيها  
 من المخاطر والمشاق تدعى الناس لسماعها بكل اشتياق فالتق الى آذانك  
 واسمع يا حاسي بابا تار يخى الذى لم يطرق مثله لاسماعك



» انتهى الجزء الاول ويليه الجزء الثانى وأوله الفصل الاول  
 والعشرون فى تاريخ زينب الجارية الكريمة

### ﴿التفات﴾

من أراد الحصول على الجزء الثانى فعليه أن يدفع خمسة غروش البنا وذلك  
 للمشارك وسبعة غروش لغير المشارك لغاية صفر سنة ١٣٠٩ ومن يرغب  
 الجزء من معافى يدفع عشرة غروش و بعد هذا الميعاد يكون ثمن الجزء الثانى  
 عشرة غروش لعظم حجمه عن الاول  
 هذا وأرجو من اولى الالباب أن بغضوا النظر عما يرووه من الهفوات فاني  
 ما زلت مقرا بالجزء والتقصير وأسأل الله أن يرد غيظ القادح فى نحره  
 ويكفينى مقالة حضرة صاحب نهاية الارب فى شعر العرب حيث اقتصرها  
 بالرد على القادح وقال ملخصا

لطفي

قادحيك معاصريك





